Uneven pages within the book only.

يطلب من

الْبَنِيَ الْمُحْلِقُ فَي كَلِي الْمُحْلِقِ الْمُعِلِي الْمُحْلِقِ الْمُحْلِقِ

MOLVI MOHAMMED BIN GULAMRASUL SURTI'S SONS-BOOK Sellers, Printers & Publishers, Jamli Moholla, BOMBAY: 3.

مكتبتنا

هي أشهر مكتبة ، يوجد فيها عموم الكتب العربية وبها مصاحف اسلامبولية ومصرية ودلايل الخيرات من جميع الاعتناس والمقاسات ، وكتب التفاسير ، والاعاديث النبوية والتوحيد ، والعقائد ، والفقه على المذاهب الأربعة ، والمنطق والحكمة ، والنحو ، والبلاغة ، والتصوف ، والمواعظ والطبقات والكتب الادبية ، والدواوين الشعرية من أدب ومدائح نبويه ، والتاريخ ، والسير ، والخطب المنسيرية والصلوات ، والكتب الروحانية ، والطب وتفسير الرؤيا والقصص ، والنوادر ، الخ

فتوجه اليها لطلب ما يلزم لك تجده بأسعار متهاودة جدا وهي أيضا مستعدة لارسال أى طلب لكل الجهات بأسرع مايمكن والتجربة أحسن برهان ممكتبة أبناء مولوي محمد بن غلام رسول السورتي تجار الكتب جاملي محله بمسي. نمرة م



صور وجدانية وأدبية واجتماعية

بست. اکتورزی میازك

الطبعة الثانية سنة ١٩٥٥ م – ١٩٥٤ هـ حقوق الطبع محفوظة مطلب من يطلب من عنوية المؤتنية المؤتني

الاهداء

إلى الطبيب الموفّق الدكتور محمد عبد الحي المدى هذا الحكتاب.

المخلص زکی مبارك

مصر الجديدة في أول رجب سنة ١٣٥٤ هـ

طبع فى المطبن لمحمّودَية إلتجارَةِ بالأزهريمصر

مقترمة

الطبعة الثانية

بَيْمُ الْمِيالِيْحُ الْجَمْيَةِ

فى مثل هذه ألا يام من سنة ١٩١٤ يدأت أنشر بعض الرسائل، الادبية فى جريدة الافكار ، ولا أزال مع تقادم العهد أتذكر كيف تخيلت عنوان تلك الرسائل ، وكيف طاب لى أن أسميها البدائع، أما أثر المقال الأول في نفسى فسيظل باقيا ما حييت ، وما ظن القارى، بشاب يتوهم أن الادباء هم الناس كل الناس ، وأن مظهر الادب مقال ينشر فى جريدة سيارة فيحدث الناس عنه ، ويمسى موضع الاسهار فى الاندية و المجتمعات!

وكم تمنيت لو اتسع الوقت فأرجع إلى مجموعة (الأفكار) فى دار الكتب المصرية لأرى بواكير (البدائع) وأشهد كيفواجهت الجمهور أول مرة ، وكيف كان أسلوبى فى ذلك الحين

ولكن ماحاجتي إلى ذلك وأنا أعرف أني لم أصدر يوما إلاعن نفسي، فكان أسلوبي دائما صورة لما أنا عليه من حلم وجهل وشك ويقين، وعقل وفتون، وإني لاتذكر أنى نرقبت مقالى الاول وأنى قرأته حين ظهر نحوخمس مرات، فمن الخير أن أصارح قرائي بأني لا أزال أترقب مقالاتي في البلاغ وأكون أول قارى، في أكثر الاحيان فان لم يكن بد من بيان المنهج الذي سلكته منذ ابتدأت أكتب إلى اليوم، فاني أحدث قرائي بأن السرفي نجاحي يرجع إلى أصلين يالصدق والوضوح

أماالصدق فالناس جميعاً يشهدون أثره فيها نشرت من الرسائل. والقصائد ، وقد أفصحت عن سرائر نفسى مرات كثيرة ' أظهرها' ما جاء فى كتاب « ذكريات باريس » إذ أقول:

« وأعود إليك ياصديقي فأخبرك أن الآزمة الباقية هي أزمة القلب : فقد فهمت كل شي، وعرفت كل شي، وبقى قلبي كالغابة في ضمير الظلماء . فإن قلت لك إني أشكو خيبة في الحب ، أو إخفاقا في المجد ، أو غدرا من الأصدقاء ، فاعلم أن هذه كلما محرجات هيئة تزعج النفس لحظة ثم تزول . وأكاد أحسب أن الناس يتخذون من الحبو الصداقة و المجد علالات لقلوبهم و أرواحهم ، وأظنهم كذلك ينزعون إلى الأحزاب السياسية و الدينية و الاجتماعية لينسوا ما في أنفسهم من القلاقل و الثورات

وأنا لم أنجح فى شىء من ذلك: لأن استقلال إرادتى حال بينى وبين الاندماج التام فى هيئة من الهيئات أو حزب من الأحزاب فانا عندأنصار الحزب الوطنى شعبى يناصر الوفديين، وعند الوفديين وطنى يتشبث بالملحقات من زيلع إلى جغبوب

وأنابين المؤمنين ملحد، وبين الملحدين مؤمن، وأنا برعند الفجار وفاجر عند الأبرار، فأنا في كل بيئة أجنبي وفي كل أرض غريب » وأما الوضوح فهو عندي ميزة أصيلة ولا أكاد أخط سطرا إلا بعد أن تتمثل الفكرة أمامي في مثل بياض الصبح المشرق، وما عرضت لمعنى دقيق إلا كشفته ، ورفعت عنه أستار الغموض ، وتركته يصافح القارئين وكائه من البديهيات

ويضاف إلى هاتين المزيتين مزية ثالثة هي الحيوية العنيفة في. نقد الآراء ؛ فانا في كل ما أكتب وما أقول محارب لايرى الحياة إلا فى حومة القتال ، وليس الآدب عندى مزاحا أتلهى به فى الأسمار والاحاديث ، وإنما هو عراك فى ميادين الفكر والعقل والخيال

وهذه المجموعة التي سميتها البدائع تمثل مذهبي في الأدبأصدق تمثيل، وما ترونه فيها من الكلام عن الأشخاص لا يقل حيوية عاتحدثت عنه في عالم المعاني، وقد وفقت إلى رسم شخصية الشيخ محمد المهدى والشيخ سيدالمرصني وهما إمامان نسيهما الناس، واستطعت أن أدل القارئ على بعض الملامح من اسهاعيل رأفت ولطني السيد وتحدثت عن السباعي وشوقي وحافظ باسهاب، أما الغراب طه حسين فقدتر فقت به وزففته إلى قراء البدائع في جلوة طريفة ستنتقل أخبارها من جيل إلى جيل

يبدو كتاب البدائع فى الطبعة الثانية وكأنه كتاب جديد ،كان جزءاً واحدا فأصبح جزاين ، و نظر المؤلف فى الطبعة الأولى فحذف منها اشياء كثيرة لم يرها اهلا للطبعة الثانية ، و كان فى الطبعة الأولى اشعار كثيرة فاكتفى المؤلف بحياتها فى الديوان ، ولم يثبت فى الطبعة الجديدة إلا قصيدة « ساعة حب» التى نظمها بعد ظهور الديوان

وقد حرص المؤلف على تأريخ الرسائل ليستطيع درس نفسه حين يشاء ، أو حين يشاء التاريخ ، فسيكون لمؤلف « النثر الفني » منزلة فى تاريخ الآدب بعد أن تفنى النزوات الوقتية التى يمليها الحقد على خصومه من أبناء الزمان

فان رأیت ایها القاری شواهد من اختلاف الفکرة و الاسلوب فتذکر آنی اردت آن أدلك علی التطور الذی اتصل بشخصیة زکی مبارك من سنة ۱۹۱۶ إلی سنة ۱۹۳۵

وفي هذا الكتاب فصول كان كتبها «الفتي الأزهري» بين.

سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٢ والفتى الأزهرى صديق حميم كان ألف لجنة لاصلاح الآزهر والمعاهد الدينية ، وكانت رسائله يوم صدورها ثورة فكرية ضج لها المسئولون فى تلك المعاهد وتركت فى أنفسهم أثرا بليغا

وإنما اثبت رسائل « الفتى الأزهرى » لتكون صورة تاريخية للحياة الأزهرية ، ويسرني ان اسجل ان الأزهر تطور فى حدود ما رسم « الفتى الازهرى » من ضروب الاصلاح والتجديد لذلك البيت العتيق

وفى الكتاب فصول كتبها المؤلف وهو فى باريس ، وبعض تلك الفصول يشرح الحياة التعليمية فى البلاد الفرنسية ، وبعضها يشرح ما فى باريس من ضروب الغى والرشد والعقل والجنون وفى الكتاب فصل مطول عن دواعى الشعركان نشره المؤلف في جريدة الأفكار سنة ١٩١٩ وفيه حوار بين المؤلف وبين السيد حسن القاياتى، ومزية هذا الفصل أنه يسجل انزواه الشعراء فى ذلك العهد، ويبين كيف انطوت صحيفة الشعر فى أيام الدماء، وماأردت باستبقاء هذا الفصل أن أتجنى على فلان أو فلان ، وإنما هو واجب نؤديه لذمة التاريخ

وقد خلا الكتاب من الذكريات السياسية فلم يقع فيه من ذلك غير رسالتين،أو لاهماكتبها المؤلف وهومعتقلسنة ٢٠ ه ٩ والثانية كتبها أخيرا عن ذكرى شهر مارس سنة ١٩١٩ ولم يرد باثبات هاتين الرسالتين إلاتسجيل حالة نفسية عاناها واكتوى بنارها يوم كانمن خطباء الثورة المصرية

وفى الكتاب أقباس من النزق والطيش أبقاها المؤلف وهو

كاره، لآنه يعلم أن من حق نزواته وبدواته أن تسجل فى كتاب، وفى النزق والطيش عناصر من نور الحق لو يعلم المتزمتون، وهل كنت أولكاتب سطرت يمناه ما يملى الهوى والوجدان حتى أطوى ماكتبت فى اللهو الجامح والوجد المشبوب؟

ومن العجب والله أن نعتذر عن تسجيل ما أملته سرائر القلب والروح ، ولكن هذا الاعتذار هو الشاهد على ما يسود هذا العصر من التزمت والرياء

ألم يكف مانعاني من لؤم الحاسدين والحانقين ؟

ومن هو الرجل الصالح الذي تفرض علينا تقواه أن نطوى ما كتبناه في الوجد والتشبيب؟

أكتب هذا لمن عساه يعترض حين يرانى أقول فى رسالتى عن عيد الحرية فى باريس :

« إن الفوز الأكبر أن يكون الرجل ابن قلبه وعقله وروحه أما هذه الصور التي لا تضحك ولا تعبس إلا وفقا لشائع الأهواء والأغراض فهي أقل حياة من الدى والتماثيل، وأبن يكون أصحابنا المتزمتون من الدى والتماثيل وهي لم تصنع إلا لتمثيل ما دق ولطف من وثبات العقول، وشهوات القلوب، ونزوات النفوس، يشهد القارىء في هذا الكتاب طوائف مختلفة من الصور الوجدانية والآدبية والاجتماعية، وما أدعى أن القارىء سيرضى عنها جميعا، وهل فكرت في رضاه حتى أنتظر منه ذلك؟ ولكنه سيؤمن ولا ربب أنه يواجه شخصية مستقلة تمام الاستقلال، فان رأى علما فهو علم المؤلف، وإن رأى جهلا فهو جهل المؤلف،

. ومن الناس من يعلم عن جهل ، ويجهل عن جهل ، كما يتفق للغراب « طه حسين »

فى هذا الكتاب صورنا الحياة كاعرفناها بالعقل والقلب والوجدان ، فلم يأسرنا أحد من أهل المشرق أو المغرب ، فان رأى القارى. أطيافا لما قرأنا فى الآداب العربية والفرنسية فليعلم أن ذلك لم يقع إلا طوعا لتجاوب العقول والقلوب ، وليعرف أناكنا صادقين يوم قلنا فى مقدمة الطبعة الأولى :

«ما بال فريق من الناس يؤمنون بما خلقت له أيديهم وأرجلهم وعيونهم وآذانهم ، ثم ير تابون فيها خلقت له عقولهم و فلا وربك لا يؤمنون حتى يعرفوا أن المؤمن عن نعمة العقل مسئول. وما كنت لأعق العقل وقد حكمه الله يوم هدانى إلى الايمان ، فمن كان يريد أن يرى غضبتى للحق وعبادتى للجهال ، فليقرأ هذا الكتاب ، ومن كان يريد أن يرى صورة مكررة لمن سلف من الكتاب ، والشعراء ، فليعلم أن الخول أحب إلى من أن أكون صدى لأحد من القدماء ، أو المحدثين ، وما أهون التضحية في سبيل الابداع إذا من التحصرت في الحنول »

* *

أما بعد: فالى قراء اللغة العربية أقدم هذا الكتاب راجيا أن يتجاوز برحمته يقع من المنصفين منهم موقع القبول، وأسأل الله أن يتجاوز برحمته حما أخشى أن يكون وقع فيه من عنف الرأى وطغيان البيان يكارك وكارك مبارك

بنمالنيالغ الخفين

كتاب العهد الماضي

تمہیــــد

كتب الدكتورطه حسين فصلا ممتعاً في المقتطف عن « النثر العربي في نصف قرن » تناول فيه طائفة من المسائل التي تعني مؤرخ الآداب حين يراجع أساليب الكتاب واتجاهاتهم العقلية في الحسين سنة الماضية ، وأعني نفسه من التحدث إلى القارئ «عن شخصيات الكتاب الناثرين في مصر وغير مصر ، وآثار هذه الشخصيات في أساليبهم النثرية » وقد رأيت بهذه المناسبة أن أتكلم عن شخصية واحدة من شخصيات الكتاب في العمد الماضي ، وهي شخصية رجل عرفته وصحبته وأخذت عنه : هي شخصية المرحوم الأستاذ الشيخ محمد المهدى بك ، المتوفى في ١٩ يناير سنة ١٩٢٤

حياته وآراؤه

ولد المرحوم الشيخ محمد الهدى في قرية من قرى مديرية الشرقيه، وطلب العلم في الجامع الأزهر وفي مدرسة دار العلوم وقام بطائفة من الاعمال العلمية أهنها تدريس آداب اللغة العربية

بمدرسة القضاء الشرعي والجامعة المصرية ، وأشهر الأساتذة الذن. تلقى عنهم: الشيخ محمد عبده ، والشيخ حمزة فتح الله ، وأشهر من أخذ عنه من رجال الأدب: الدكتور طه حسين. وله معه مواقف فى النزاع بين القديم و الجديد كانت تصل أحيانا إلى الجدل العنيف كان الاستاذ المهدى أول من تلقيت عليه الادب في الجامعة المصرية، وقد صحبته فيها أربع سنين، وسمعت محاضراته عن عهد. الجاهليه، وعهد بني أمية ، وعصر بني العباس ، وخص الأدب في الأندلس بسنة كاملة كانت من أخصب سنيه في العهد الأخير، وكنت أصل جناحه بعد المحاضرة حتى يصل إلى المحطة ، وقد كان رحمه الله يؤثر سكني الضواحي على سكني العاصمة ، فكانت الفرص كثيرة. لمخاطبته فى شتى المسائل وشجون الحديث، ويمكن الحكم بأنه كان. من نوادر الأساتذة الذين فهموا روح هذا العصر ، واستمعوا نداء هذا الجل.

كان يؤثر اللغة الفصيحة في جميع محادثاته ، وكان يتحرز من اللحن ويتوقاه كما يتوقى الحر مدارج الهوان ، وكان يرى من الممكن أن نتفاهم مع جميع الطبقات باللغة الفصيحة ، ولايكلفنا ذلك أكثر من اختيار الإلفاظ المألوفة حين نحاو رمن لايفهمون الجزل من الكلام الفصيح ، وكان كثيرا مايتهكم بعلماء الازهر حين يلحنون وهم يعربون في مثل عبارة « مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وقدنشاً عن حرصه على اللغة الفصيحة أن ذاعت عنه الفكاهات والملح وقدنشاً عن حرصه على اللغة الفصيحة أن ذاعت عنه الفكاهات والملح

بين زملائه وبين تلامذته ، فهذا يقول إنه اختلف مرة بسبب لغته مع سائق الترام ، وذاك يفول إنه ساق أحد الباعة إلى القسم بعد أن تلاحيا: أو لهما بلغة السوق و ثانيهما بلغة القرآن!

وكان من رأيه أنه يجب أن لانهجر الألفاظ الغريبة فى الكتابات الأدبية والعلمية والفنية ، لأن غرابة الألفاظ لم تنشأ إلا حين هجرها الأدباء والعلماء والفنيون ، فلو أننا أحيينا فى كل رسالة كلمة أو كلمتين لبعثنا ميت اللغة وأثرنا دفين التعابير ، وكان لنا من ذلك غناء أى غناء

كان رحمه الله من المجددين ، مع شيء من الحيطة والحذر ، فربى ابنته تربية حديثة ومكن لها من ورود مناهل العلم فى الغرب ، وزار بنفسه العواصم الأوروبية ، وإن لم يتكلم غير العربية ، وكان لكل مدينة فى نفسه تقدير خاص ، ولايزال تلامذته يتندرون بقوله فى وصف إحدى الحواضر الاسبانية «تصر فى منديل»! وتزوج فى أخريات أيامه امرأة جميلة ، وقد حدثنى رحمه الله أنه اشترط «أن يرى وجهها وأن يسمع صوتها » إذ كان يعتقد أنه لا قيمة للوجه الحسن بدون الصوت الجميل ، وكان كثيراً ما يسوقه مثل هذا الحديث إلى الكلام عما فعلته الخنساء حين اختبرت من جاء يخطبها لنفسه ، فلما زهدت فه قال :

وتزعم أننى شيخ كبير فهل حدثتها أنى ابن أمس؟ وكان الاستاذ يقول وهو يؤكد وجوب اختيار الزوجة «إنك لاتشترى حزمة فجل قبل أن تقلبها؛ فكيف تأخذ العشيرة قبل أن تعرفها » وكان يأسف على حرمان المرأة من النهوض ، ويعجب من استصغار جملة الأدب ورواة الشعر لشأن المرأة ، وغمطهم من حقها وإهمالهم الآدب إذا كان من جانبها ، وقلة عنايتهم بتدوينه إذا كان مرويا عنها ، ويقول : « فان لم يكن ذلك كذلك فما بالنا نسمع من أسهاء الشواعر فىالجاهلية العدد العديد ولانرى لواحدة منهن ديوانا حافلا مجموعاً مرتبامشروحا كما نرى ذلك لأكثرالشعراء، فقد عني العلماء بدواوينهم رواية وشرحا وترتيباً ومفاضلة ، وبذلوا وسعهم في إظهار معانيها المخترعة ومقابلة بعضها ببعض، ومآخذ المشترك منها والموازنة بين المأخوذ والمأخوذ منه ، ومقارنة الديباجة والوضوح والمتانة والسلاسة والسلامة مرب عيوب اللفظ وما شاكل ذلك بنظائرها من كلام الشاعر الآخر ، ولم يكن لعلما. اللغة ورواتهامثل هذه العناية لشاعرة من شواعر الجاهلية فيما أعلم ، حتى الذين تخيروا الشعرالجيد منهم وجمعوه فىديوان ليحفظ، كا"نهم لم يريدوا أن بختاروا قصيدة لامرأة لتكون بجانب قصائد الرجال» وكان يعزز رأيه هذا بأن أبا زيد القرشي قد اختار تسعاً وأربعين قصيدة من القصائد الطوال ولم بجيء فيها بواحدة لامرأة ، لا من الجاهلية ولا من الاسلام، مع أن في كلام ليلي العفيفة وجليلة بنت مرة والخنساء وليلي الأخيلية ما لا يذكر بجانبه شعر كثير من أصحاب المذهبات والمشوبات والملحمات والمنتقيات ، وأن المفضل الضي اختار مائة وعشرين قصيدة وقطعة ليس فيها إلا خمسة أبيات لامرأة مجهولة من

بني حنيفة ، مم يقول : « فهذه مـكانة شعر النساء في نظر المؤدبين والرواة والعلماء في ذلك الزمن ،وكأنما الذين جاءوا بعدهم احتذوهم حذو النعل بالنعل ، فما رأيتهم دونوا شعر ليلي الأخيلية في ديوان كما دونوا شعر المجنون ، ولاشعر علية بنت المهدى كما دونوا شعر أبى العتاهية ، ولا دونوا شعر ولادة بنت المستكفى كما دونوا شعر ابن زيدون، وقس على هذا سائر الفضليات بعدهن ، خصوصا بعد سقوط بغداد ثم أفول قرطبة . فان شعر المرأة في هذا الزمان قد اختباً تحت جهالات الرجال ، ولم يظهر منه إلا بروق لا تلبث أن تزول » وقد وصل بدراسته الدقيقة إلى أن الفروق بين أشعار الرجال وأشعار النساء من جهتين : الأولى من جهة صفة الشعر والثانية من جهة فنونه . وملخص الجهة الأولى أن شعر المرأة بجلي أخلاقها أكثر مما يجلى شعر الرجل أخلاقه ، وأنه يدور حول موضوعها ولا يكاد يخرج عنه ، وأنه بعيد عن الحوشية قريب من الفطرة ومتناول العامة ، وأنه أصرح من شعر الرجل لأنها لا تكاد تبقى شيئًا في نفسها ، وأنه أشد أثرا في النفوس من شعر الرجل وخصوصاً ما كان منه في الفجائع . وأما منجهة الفنون فقدهجرت المرأة وصف الجمال ومجالس الشراب لغلبة الحياء عليها ولاستقباح ذلك منها ، وأن مادتها أغزر من مادة الرجل في الرثاء ·

أسلوبه فىالالقا. والانشا.

كان رحمه الله من أبرع الناس في الالقاء، وأجملهم في الآداء،

كان فصيح المنطق حلو اللسان ، لايمل حديثه و لاخطابه ، و إن طال . وكان ينشد الشعر كما يجب أن ينشد ، و كما يتمنى قائله أن ينشد . و لقد كان ينشد الشعر و هو يحاضر فى الجامعة المصرية فيقع من نفسى ومن أنفس السامعين أجمل موقع ، فاذا عدت إلى الشعر نفسه فى مظانه و جدته دون ما سمعت فى الروعة و الجمال ، و علمت أن لأسلوب المحاضر فى الأداء أثرا كبيرا فى تكييف النثر الجيد و الشعر البليغ

أما منهجه فى الانشاء فهو إيثار الصراحة والوضوح والجلاء وأسلوبه فى الكتابة من الأساليب النقية الجميلة ، وهو عندى أبرع كتاب مصر فى المدة التى أرخها الدكتور طه حسين ، لولا أنه كان من المقلين

مثال

أراد رحمه الله أن يحدد (معنى الأدب) فقال:

« الأدب مصدر أدب الانسان فهو أديب، ومثله أرب فهو أريب ، إذا صار فيه خلق يدعو إلى المحامد، وينهى عن المقابح . والتأديب التقويم على أشرف الحلال ، ومنه الحديث: « أدبنى ربى فأحسن تأديبى» والأدب والتأديب بهذا المعنى يكادان يدخلان فى كل شىء . ولهذا قسما إلى أقسام لا تكاد تنحصر ، فكانا فى النفس والدرس والمعاملة و المعاشرة وفى طبقات الناس وفى الأمم ، وفى الأكل والشرب والنوم واللباس والحديث إلى غير ذلك من كل ما

يعوزه التقويم . وقد أفرد له العلماء التآليف في فنونه الكثيرة وضروبه المختلفة ، وقام المصلحون في كل أمة بالدعوة إليه على وجها الصحيح ، ولتشعب هذه الأقسام وصعوبة للح الذهن لها جميعاً انحازت للا دب في الاذهان معان عدة متوزعة في أذهان الناس فاذا أطلقت كلمة الادب في حفل من غير إضافة ولا قرينة ذهبت الظنون فيها مذاهب، وفهمها كل قوم على مقدار ما تبين لهم من معناها بعرف أو دين أو قانون أو اصطلاح

«وقدكانت هذه الحال عندالعرب أنفسهم: فانا رأيناهم يطلقونه على معان عدة لا تـكاد تخرج عن المعنى العام لها . فانهم يطلقونه على الظرف ، ويريدون منه تارة البراعة وذكاء القلب ، وتارة الحذق بالشيء ، وقد يريدون حسن الهيئة وحسن التناول ، وربمـــا أرادوا به الظرف في اللسان وهو ضرب من الأدب ، ومنه قول عمر رضى الله عنه في الحديث: إذا كان اللص ظريفاً لم يقطع. ومعناها: إذا كان بليغاً جيد الكلام احتج عن نفسه بما يسقط عنه الحد . ومثل ذلك إطلاقه على الكياسة ، وقد جاء في حديث ابن سيرين: الكلام أكثر من أن يكذب ظريف. ومعناه: أن الظريف لا تضيق عليه معانى الـكلمات فهو يـكنى ويعرض ولا يكذب . وقد اجتاز العرب هذا الحد ، وأطلقوه على الرياضة والخضوع في الدواب ، ومنه قول مزاحم العقيلي :

وهن يصرفن النوى بين عالج ونجران تصريف الأديب المذلل

فقد سمى الجمل أديبآ

« وإذا كانت هذه المعانى وأشباهها فى لسان العرب فليس من البدع أن يذهب مدونو الأدب في تدوينه طرائق ، كل على حسب المعنى الذى مثل فى ذهنه : فمن نحا به نحو الخلق وطهارة النفس وتهذيبها من أدران الرذائل ألف في مكارم الأخلاق ، وسمى تآليفه أدباً . ومن نحا به منهم نحو حسن التناول ألف في محاسن المعاشرة والتعامل ، ومن نحا به منهم نحو الظرف في اللسان وهو البراعةوذكاءالقلب ألف فىالنوادر والأجوبة المسكتة والطرائف المستملحة ، وسمى ذلك أدبا . ومن نحا به منهم نحو الصواب في المنطق وصون اللسان عن الخطأ في كلام العرب ألف في الفنون. العربية ، و الناحونهذا المنحى هم حملة اللسأن إلينا وهم السوادالأعظم من مؤلفي الأدب، وهم طوائف كثيرة، نظرت كل طائفة إلى حال من أحوال اللفظ العربي وألفت فيه: فنظرت طائفة إليه من جهةمعانيه فدونت معانى الألفاظ ، وهم علماء متن اللغة . ولمحته فئة من جهةهيئته وصورته فألفت علم الصرف ، وتتبعه قوم من جهة انتساب بعضه إلى بعض بالأصالة و التوليد فألفوا علم الاشتقاق ، وتأمله آخرون من جهة تركيبه وأحوال أواخر مفرداته فى التراكيب فألفوا علم النحو . واتجهت طائفة إليه من ناحية الأسلوب ومطابقته لمقتضي حال الخطاب فألفت علم المعانى ، وتفقده آخرون من جهة مراتب وضوحه فألفوا علم البيان ، وبهر قوما محاسنه اللفظية والمعنوية

فألفوا البديع . ولمح قوم الموزون منه فألفوا العروض والقافية ونظر قوم إلى الثمرة من كلام العرب وأنها القدرة على البيان قولا وكتابة فألفوا فن الانشاء وهو الاجادة فى المنثور ، ونظر آخرون إلى محاكاته بالموزون فألفوا قرض الشعر ، وقوم رأوه من جهة رسمه ودلالته الكتابية فألفوا الخط ، وآخرون رأوه من جهات عدة فقطفوا مر كل روض زهرة وألفوا فن للحاضرات وهو لا يختص بشيء »

ثم قال « بقي أن ننظر إلى المراد بالأدب هنا في دروس الجامعة فنقول: المراد منه كل ما ينمى ملكة اللغة فى اللسان والقلم وتربية الذوق في الاختيار والانشاء ، والارشاد إلى مناهج النقد الصحيح. والوسيلة إلى ذلك اختيار الرائع من الأساليب والرائع من المعانى وعرضه على الطلبة لبيان وجوه الحسن فيه ، والمقار نات بين الفحول. من الشعراء ، والمصاقع مرب الخطباء ، والبلغاء من الكتاب ، وبيان وجوه التفوق مع الالماع إلى أمهات المسائل من فنون اللغة أثناء الموازنات والنقد ، ومعرفة أذواق العصور المختلفة والنصعلي أجودها وأسلمها. وهذامؤد إلى الالمام بشيء من تاريخ الأدب لربط الموضوعات بعضها ببعض مما لا يسع الأديب أن يجهله ولا يتم له العلم بدونه كالأغراض التي قيل فيها الشعر ، والبواعث عليه من السياسة والجوائز والعشق ، وكتقسيم الشعراء في بعض العصور إلى أحزاب وبيان أثركل حزب ، فان ذلك بما يتوقف عليه فهم مرامى

أشعارهم ، وكذكر تاريخ الشاعر الموازن أو الخطيب أو الكاتب أو المؤلف وأثره ومؤلفاته ، وماذا بقى منها وما الذى وصل إلينا »

نقد هذا المثال

يرى القارئ أن هذه الكلمة التي حدد بهاكاتبها «معنى الأدب» غاية في الوضوح والجلاء، وهي تاريخ مضبوط لتطور كلمة الأدب و تنوع مدلولها في مختلف العصور ، وهي كذلك غاية في الاحاطة والشمول ، ويبعد أن تجـد فها أثراً للضعف أو الغموض أو الاضطراب. وقد اقتطفنا هذه الكلمة من المحاضرة التي ألقاها رحمه الله في الجامعة المصرية في ٤ نو فمبر سنة ١٩١٦ وهي تدل على تطور معنى الأدب وتاريخه في نفسه أيضاً ، فقد رأيته يتردد وهو بحاضر بالجامعة في أوائل نوفمبر سنة ١٩١٣ في التفرقة بين الأدب وبين تاريخ الأدب ، ويكاد ينكر أن يكون بين الأدب و تاريخه فرق ، أو أن يـكون لـكل منهما وجود خاص ، وقد كان هذا التردد طبيعياً فى ذلك الحين إذ كانهذا الفن حديث النشأة في اللغة العربية ، وكان الباحثون فيه لا يجدون ما يحتذونه مر. _ نماذج القدماء أو المحدثين على أنه رحمه الله ظل إلى أخريات أيامه يعتمد في دراسة الأدب على تفقد ما للشعراء من نضارة الديباجة ، وبلاغة المعنى ، وغزارة الفنون، وحضور البديهة، وقلة السقط، وكثرة الغوص على المعانى وجمال الآخذ، ووفرة المادة، وبراعة الأسلوب، وكان هذا يضطره خقط « إلى الالمام بشيء مر . تاريخ الأدب لربط الموضوعات

بعضها ببعض» كما قال ، وكذلك ظل منهجه منهجا وسطا بين الأساليب القديمة والمناهج الحديثة ، فلم يكن يسلك سبيل المؤلفين المتقدمين الذين كانوا يجمعون في كتبهم بين الشعر الجيد ، والنثر المختار والحكم المأثورة ، مع ذكر شيء من المشاهد والأيام والمفاخرات والمنافرات ؛ ثم يستطردون إلى شتى المسائل في التصريف والاعراب، ثم يعودون إلى التحدث عن أخبار الملوك، ونوادر الشعراء والخطباء؛ ولم يكن يسلك سبيل المجددين في تاريخ الآداب الذين يرون من الواجب درس الحياة الاجتماعية قبل نقد آثار العقول و رون من الواجب كذلك أن يدرس سقط القول كمايدرس جيده وأن يتتبع الناقد حياة من ينقده من الكتاب والخطباء والشعراء والمؤلفين ليرى كيف كانت ألوان نفسه في أشكال حياته _ ولكل حياة طائفة من الأشكال ــ وإنما كان يحاول رحمه الله أن تـكون أبحاثه متعة من متع النفس، لا دروساً تتناول بالنقد والاختبار والتحليل ماترك لنا الأولون من أثر قوى أو ضعيف

والذى يعنينى من ذلك كله هو أسلوبه الحالص من شوائب الضعف والتكلف ، والبرىء من موجبات اللبس والغموض وقد يتعذر أن يجد فيه القارىء جملة تنقصها كلمة ، أو يمكن فيها الاستغناء عن كلمة ، وإني لأشبهه بالصيدلى البارع الذى يحكم الجمع بين أجزاء الدواء بحيث لو حذف جزء لأصبح الدواء ضاراً أو غير مفيد.

مثال ثارن

وأراد أن يمهد للموازنة بين الخطباء فقال :

« ليت وهل ينفع شيئاً ليت! ليت مخترع الحاكى كان حياً فى السنين الحوالى وأسعد التاريخ والعلم والأدب بحفظ أصوات الحطباء وهم يتدفقون على منابرهم تدفق السيل فى منحدر الوادى حتى إذا حاولنا أن نقارن اليوم بين خطيبين أحضرنا منهما صورتين ناطقتين لايفوتنا منهما إلا رؤية أشباحهما فحكمنا حكما دليله اليقين الحس به لا الظن المتحسس منه . وكان طريق الاستنباط من المحتوب المسموع ميسوراً لكل سامع ، لاكطريق الاستنباط من المكتوب الذى قطعه التاريخ فتقطعت به سبل العلم ، وأنفق الباحثون أمو الهم وأعمارهم فى جمع شتاته ، وقلما يجدون جزءاً يلتم مع جزء

ماذا تفيد الأمانى! قد انهار هذا الركن الركين من بناء الموازنة التى نحن بصددها بموت أولئك الخطباء ، ولم يجىء فى بال الأولين من الرواة والكتاب أن يصوروا لنا فى روايتهم عنهم ، وكتابتهم فيهم ، حالهم فى الأداء ، وكيف كانت أصواتهم فى مفاتح الخطب ومقاطعها، وعند الطلب والاستنهاض والاسترحام والاشفاق والرجاء والغضب والرضا والحياء والبذاء والتواضع والاستكبار والشجاعة والجبن والتسرع والتأنى والالحام وإقامة الحجة ، وما شاكل هذا من أطوار الخطباء — وقد كنا نتهم أنفسنا بقصر النظر وقلة البحث ونبرىء الأولين بحسن ظننا فيهم أن يكونوا قد فاتهم هذا ، فبحثنا

جد البحث في المظان التي وصلت إلينا فما شفينا منها غلة ، ولاوصلنا إلا إلى شيء قليل من غير طلبتنا كلباس الخطيب وإشارته واتخاذ المخصرة والاتسكا. علمها والاشارة بها ، ونحو هذا ممــا هو قشور بالاضافة إلى اللب المتروك. وإن أعجب من هؤلاء فعجى منأنفسنا اليوم أشد؛ فاننا فيما أعلم لم نقيد خطبة و احدة فى الحاكم من خطب مشهورينا ، وقلما يشير كتابنا إلى صوت الخطيب إذا نوهوا بخطبته .وأكثرهم لا يزيد عن مثل قوله « أجاد وأفاد ، وأغرب وأطرب وسحر وبهر ، وجال في كل مجال ، و تفتحت له الآذان ، وشخصت له الأبصار ، وأخذت الدرر تتحدر من فيه تحدر اللآلي. من العقد النظيم » وهكذا من كل ما يفيد التقريظ العام ، ولا يصور من الخطابة إلاصورة مبهمة ، ولم نر من عنى من الأدباء وأصحاب الصحف بوصف خطابة من خطب من عصرنا وصفاً ممثلا من جهة الأدا. كأن يقول: « إن صوت الخطيب كان عند هذه الجملة عالياً ، وعند هذه منخفضاً ، وعند تلك يكاد يكون همساً ، وعندكذا كان صياحاً أوكان بطيئًا في كيت سريعاً فيذيت ، أوكان يقول والألفاظ تواتيه كأنه يقرأ من صحيفة أو تتعاصى عليه كأنه يقتلعصخراً ، أو يتحسس منهاكالذي ينشد الضالة ، أو أنهاكانت مرتبة متناسقة ، أو مقتضبة مفككة ، أو غير ذلك مما يشخص مجموعه الخطابة . ومن منا استفاد تشخيص خطابة المرحوم عبد الله افندى نديم بماكتبته عنه الجرائد والمجلات؟

هذا عيب من عيوبنا القديمة يجب أن يتقيه قادة الكتاب اليوم حتى يكرنوا أسوة لسواهم — وإذاكانت الموازنة بين أصوات الحنطباء المتقدمين غير ميسورة؛ وفاتنا أن نقارن فى جهارة الصوت وهزاته وإيقاعه ومخارج الحروف والطلاقة والاحتباس كمافاتنا أن نقارن بين وحى الملاحظ وحركات الاستحسان من الجمهور ، فلا يفوتنا أن ننظر إلى الوجوه التى أبقى لنا التاريخ صورها ونقارن بينها » إلى آخر ما قال

نقد هذا المثال

في هذه الكامة تظهر تلك العقلية السليمة ظهوراً قويا ، ويرى القارى ، كيف تمثلت فكرة الخطابة في نفس ذلك الباحث الفنان فهو يتمنى لو أن الحاكى كان حيا في السنين الخيرالي وأسعد العلم والأدب والتاريخ بحفظ أصوات الخطباء «حتى إذا حاولنا اليوم أن نقارن بين خطيبين أحضرنا منهما صورتين ناطقتين ، لا يفوتنا منهما إلا رؤية أشباحهما فحكمنا حكادليله اليقين المحس به ، لاالظن المتحسس منه »وهذه عبارة غاية في الدقة وحسن الأداء ، ثم يعجب لأن يفوتنا اليوم أن نسجل في الحاكى خطب المشاهير من رجال البيان . ولينظر القارئ كيف سخر ذلك الناقد البصير من العبارات المبهمة والأوصاف الفضفاضة التي تصلح لبوساً لكل موصوف المبهمة والأوصاف الفضفاضة التي تصلح لبوساً لكل موصوف كقولهم «أجاد وأفاد ، وأغرب وأطرب، وسحر وبهر» وكيف تنبه إلى أن الكاتب يجب أن يصف الخطابة «وصفاً عمثلا من جهة الأداء

كأن يقول: إن صوت الخطيب كان عند هذه الجملة عالياً وعند هذه منخفضاً ، وعند تلك يكاد يـكون همساً ، وعندكذاكان صياحاً ، أو كان بطيئاً في كيت ، سريعاً في ذيت ، أوكان يقول والألفاظ تواتیه کأنه یقرأ من صحیفة ، أو تتعاصی علیه کأنه یقتلع صخرآ أو يتحسس منها كالذي ينشد الضالة ، أو أنهاكانت مرتبة متناسقة أو مقتضبة مفككة ، أو غير ذلك مما يشخص مجموعه الخطابة »-وقد لام المتقدمين على إغفالهم هذا النوع من الوصف وهم يتحدثون عن الخطباء، وذكر أنه لم يصل بعد البحث إلا إلى شيء قليــل من غير طلبتنا كلباس الخطيب وشارته واتخاذ المخصرة والاتكاء عليها والاشارة بها ، ونحوهذا مما هو قشور بالاضافه إلى اللب المتروك» وهو في هذا اللوم يتجني على المتقدمين ، فقد عني كثير منهم بوصف الخطابة «وصفاعثلا منجهة الأداء» ولوشئت لضربت لذلك الأمثال ويكنى أن نراجع بعض ما قيل في الخطباء مدحا أو هجاء لنرى كيف تنبه الأولون إلى الجوهر فيها يوصف به الخطيب، فقول مكى ابن سوادة:

ملىء ببهر والتفات وسعلة ومسحة عثنون وفتل الأصابع من الأوصاف الدقيقة التي تنطبق علىكثير من الخطباء المتخلفين ومثله قول الراجز في خطيب متعثر اللسان:

كأن فيـــه لفف إذا نطق من طول تحبيس وهم وأرق وفي جهارة الصوت وجودة الخطبة ، ومواتاة القريحة ، يقول.

شاعر فی مدحمعاویة :

ركوب المنابر وثابها معن بخطبته مجهر تربع إليه هوادى الكلا م إذا ضل خطبته المهذر وفي وصف الحظيب بالحزم ومراعاة مقتضى الحال يقول الشاعر في خطباء إياد:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى الملاحظ خيفة الرقباء آثاره الادبية

وقد يحسن أن ننص على أن هذا الأسلوب البارع لم يكن أسلوب الاستاذ المهدى رحمه الله طول حياته ، فقد رأيت له طائفة من الرسائل كتبها فى العهد الأول من حياته الأدبية ، وفى تلك الرسائل يكثر السجع و تكثر معه زخارف البديع ، وقدكان ذلك الطراز بدعة شائعة فى ذلك الحين ، والسجع فى ذاته حلية نفيسة لولا أنه قيد يضطر الكاتب إلى التعشر فتظهر فى عباراته آثار الاضطراب

ولم يعن رحمه الله باظهار آثاره ، وهي الآن متفرقة في أماكن شتى بعضها في أيدى أهله ، وبعضها في مكاتب أبنائه من طلبة القضاء الشرعي والجامعة المصرية ، وعندى من آثاره رحمه الله طائفة من المحاضرات القيمة ، سمعتها منه وراجعتها عليه ، وقد أستطيع يوما جمع شتات تلك الآثار في سفر خاص . والله بالترفيق كفيل .

في سبيل الو فاء

وفي أخريات سنة ١٩١٧ استقال رحمه الله من منصبه بالجامعة المصرية ، واستقال معه حضرة صاحب العزة الاستاذ محمد بك الخضرى ـ باشارة منوزارة الحقانية ـ وكانت الجامعة يومئذ أهلية لاتنال من الحكومة ماهي خليقة به من التأييد ، فأقام طلبة الجامعة اللائستاذين المهدى والخضرى حفلة تكريم فىفندق شبرد فى مارس سنة ١٩١٨ وقـد قلت لتلك المناسبة قصيدة في توديع الاستاذ المهدى ، ليست عندى من الشعر المختار ،ولكن لا بأس من إيراد القطعة الآتية في سبيل الوفاء

وما كانت الآداب إلا طرائفا فأبرزها المهدى عذراء غضة مباحث لو غدی زهیر بروحها و لو فقه النيل المبارك كنها ولو أذن الدهر العبوس لوقعها. ولو عرفت مصر المفداة قدرها فيا واحدا عز البيان بفضله البعدك في الأحشاء نار ذكية صبرت عليها يعلم الله راغمـــــأ وإنىلارجو أن أكون حددت شخصية الاستاذ المهدى بعض

من الشعر أو مايستجاد من النشر تأود تحتالحلي فيالحلل الخضر لأضحت قوافيه أدق منالسحر لحول ذياك المزيج إلى خمـــر لأصبحت الآيام ضاحكة الثغر لباتت لما يلقى البيان على جمر على طول مالاقي البيان من الهجر تفتت من كبدى و تأكل من صدرى على حين لا غوث يؤمل ن حر

النحديد فى هذا البحث الوجيز ، وأن أكون وفقت إلى بعض ماا يوجبه الوفاء بالعهد ، والاعتراف بالجميل ، نحو أستاذ أنالفضله مدى. الدهر مدين . والسلام .

يونيه سنة ١٩٢٦

اخلاق الناس

قلب ما شئت من مؤلفات القدماء فسترى أن المؤلفين كانوا يهتمون فى أكثر الأحيان بمحاربة الرذائل الاجتماعية ، لاسيما الغيبة والنميمة لانهما من أخطر أسباب القطيعة بين الناس . أما المؤلفون فى العصر الحاضر فيرون الغيبة والنميمة من الموضوعات البالية التي لا تصلح لاقلام المحدثين ، وإنى لا كتب هذه الفقرات، في هيبة وحذر خشية أن يقول قائل : ماهذه الرجعة إلى أوهام الأولين !

ويسألني من أرى من الأصدقاء: أين تسهر؟ وأين نراك؟ والسهرات عند هؤلاء هي جلسات سخيفة تؤكل فيها لحوم الناس ويجرى فيها من السفه والبذاءة مايندي لهالجبين! وياويل من تكرم عليه نفسه فلا يشترك في لغو الحديث ، فهو عندهم ثقيل الظل بارد الأنفاس!

والتظرف في عصرنا هو مضغ أخبار الأدباء والشعراء والمؤلفين

وفى شباب اليوم أفراد يعيشون من هذا الرزق الحرام ، فهم زينة الاندية الرقيعة التي لا تجرى فيها كلمة خير ، ولا تعرف زواياها غير الافك والبهتان من عبث القيل والقال . وفى كهول اليوم طوائف تتلمس هذه الأنواع البشرية التي تحسن تلفيق الأراجيف والأكاذيب ، وإنك لتعجب كيف يتفق لمن يسمونهم أدباء الشباب وأدباء الكهول أن يجيدوا شيئا ، وهم يقضون ثلاثة أرباع الوقت في تلك الأحاديث الممجوجة التي تتنافر مع سماحة الطبع ، وسلامة الذوق ، ورجاحة العقل

أين أسهر ؟ ؟ أنا أسهر فى بيتى حيث آنس بوحشة الليل ، فقد ضجرت من إخوان الزمان ، وعادت الوحدة أحب إلى نفسى من صحبة من يلبسون ثوبا للمحضر وثوبا للمغيب!!

أين من يعرف أدب النفس في هذه الأيام ؟ وأين الرجل الذي تتق بكرمه ومروءته ، وتطمئن إلى أن أذنه لا تفتح لأهل اللغو والفضول عن يبعثرون النهائم ذات اليمين وذات الشهال ؟ وأين من يزن ما يقول ، ويفكر في عواقب ما يقول ؟ وأين من سلم أديمه في هذا البلد فلم تمزقه الأقاويل والأراجيف ؟ دلونا أيهاالناس على رجل واحد سلم عرضه وشرفه ، وحفظ معروفه وجميله ، واستطاع الفضل أن يحميه من لغو المرجفين ، وكيد المفسدين .

لقد صحبت طوائف من المصريين وطوائف من الأجانب وانتهيت إلى النتيجة الآتية: الغيبة والنميمة من الرذائل الانسانية

يقع فيها المصريون وغير المصريين، ومع هذا لاحظت أن المثقفين من الأجانب قد يستبيحون الاغتياب ، ولكنهم لا يستبيحون البهتان. فالرجل قد يغتابك ولكنه يتحرج من أن يصفك بماليس فيك ، وقد ينم ولكن نمائمه خالصة من المفتريات.

أما المثقفون منا ـــوا أسفاه! ــ فيجمعون بين الرذيلتين: النميمة والافتراء (١)

ومعنى هـذا أن من الأجانب من يعصمه الحياء من خلق الأكاذيب ، وأن فينا من تنقصه فضيلة الحياء

إننا نتحدث كثيرا عن الوطنية ، والوطنية لا تقوم إلا على فكرة الوطن ، والوطن لا يحب إلا حين يكون لنا فيه أصدقا وأخلاء فان المودات والعلاقات هي أساس التقديس للافكار والأشخاص

أيها المغتابون والنمامون! أنتم أعداء الصدق والكرامة والوطنية وأنتم أعداء أنفسكم لو تعلمون!

١٩٣١ سنة

⁽۱) أظن أن الدكتور يريد طائفة خاصة من أدعياء المعرفة والثقافة وإلا فكيف تجتمع الثقافة الحقة وتلك الرذائل فى شخص جدير بأن يكون مثقفا. اه مصححه

الشياب المصرى

بين التردد والاقدام

قلق الشباب ورغبته في معالى الا مور _ مهرة بعض الرؤسا. من الشخصيات القوية _ كلمة عمن يتمرغون في وحل الميرى وفي ترابه _ غفلة الشبان عن تقدير الحرية _ اعتماد الشبان على الحكومة هو السبب في قتل عزائمهم

كتب إلى موظف شاب لم يشأ ذكر اسمه رسالة جاءت فيها الـكلمة الآتية :

«كتبت إليك رسالتي هذه راجيا منك أن تطرق موضوعا ما أحوجنا نحن شبان مصر إليه ، ألاوهو مرض التردد وخو رالعزيمة فكثيرا ما يحاول الانسان تنفيذ خطة يرسمها فاذا به بعدأن كان متحمساً نحو هذه الخطة وما يعود عليه من نتائجها خامل يؤثر الكسل والاسترسال في الاماني والاحلام ، وأصار حك ياسيدى بأني من هؤلاء وأن مثلي كثيرون . فاني اقتطعت دراستي والتحقت بوظيفة وأصبحت أندب حظى لعدم استكمال تعليمي ، وكل همي أن أواصل والمستذكار والتهام العلوم حتى أحصل على شهادة أقنع بها نفسي . ولكني رغم هذه الرغبة أجد عزيمتي الخائرة تخونني في تنفيذ ذلك رغم محاولتي مقاومتها . . . وتنقضي الأيام والشهور بل والسنين فأراجع نفسي فأجد أني لم أتقدم خطوة واحدة إلى الامام ، وهذا ما

أفز عنى من نفسى و جعلنى أقصدك كى تعالج هذا المرض. وقداختر تك من بين الأدباء والمصلحين لعلمى أنك الرجل العصامى الذى طلب العلم ومازال يطلبه دون أن يقف فى وجهه ما يعوقه _ وما أكثر تلك العوائق _ فأرجو أن تقبل رجاء شاب كل مافى استطاعته أن يدعو لك الله من قلبه ليحفظك ، والله ولى جزائكم بما تخدمون به الوطن والانسانية »

ويستخلص من هذه الرسالة ما يأتي:

أولاً عندنا شبان لايرضون بالدون من حظوظ الحياة وتسمو بهم أنفسهم إلى احتلال الصفوف الأولى فى ميادين العلوم و الآداب ثانياً – يقاسى أولئك الشبان مرارة الحيبة والاخفاق أحيانا ويودون أن لا تقف بهم جهودهم عند الأمانى والأحلام.

ثالثــا – بين أولئك الشبان من يدرس نفسه ويحاسبها حسابا عسيرا يصل به إلى الحنوف والفزع والاشفاق

رابعا -من أولئك الشبان من يطلب الغوث ويستعين من يرجو أن تكون لديهم كلمة طيبة تنتشلهم من وهاد التردد والخور والخود أما أنا فلست أخشى خطرا على صاحب هذه الرسالة ، فانها تدل على أنه يستوحش من الكسل و يتطلع إلى حياة الجد والاقدام . والشعور بالنقص هو الخطوة الأولى نحو الكال ، وسأحتفظ برسالته ليظل اسمه عندى أعرفه به يوم يقدمه جده وسعيه ، وترفعه نفسه إلى بعض مايريد ، لأنه لا يصل إلى «كل » مايريد إلاالقانعون نفسه إلى بعض مايريد ، لأنه لا يصل إلى «كل » مايريد إلاالقانعون

يالقليل، والانسان أسمى من أن تقف نفسه عند مطمع مهما ابتسمت له الحظوظ. وقديما حدثنا ابن المقفع أن الرجل الكامل المروءة لايرى إلا في مكانين ولا يليق به غيرهما: إما مع الملوك مكرما، أو مع النساك متبتلا، كالفيل إنما جماله وبهاؤه في مكانين: إما في البرية وحشيا، أو مركبا للملوك.

على أنه من الخير أن نبحث الأسباب التي تقتل رجولة الشباب في العصر الحاضر وتحبب اليهم الكسل و الخول ، وأهم تلك الأسباب أولا __ شعور جمهور الشباب بأن المناصب الرفيعة لا يصل إليها الرجل بالعلم الواسع والحلق المتين ، وإنما يصل إليها عن طريق السفالة والنذالة والانحطاط وبرهانهم على ذلك أن هناك ناســـا ارتفعوا بلا مؤهلات ، وأنهم يتطلعون فيرون المرونة والليونة والوصولية هي المؤهلات النافعة في هذا العصر ، وأن الاستعداد لبيع الضمير والخلق كاف لأن يصل بالمر. إلى ما يريد من المنازل العالية ، وأنهم يرون في المعاهد العلمية وفي الدواوين شو اهدكثيرة لهذه الحال. فـكم من رجل تبوأ منصباً وهو لا يدرك خطره ولا يعرف قيمته ، وإنما وصل إليه عن طريق التزلف والتسفل والاسفاف ، ومن البلية أن يكون فيمن يشغلون مناصب التعليم نفسه أشخاص لم يصلوا إلى مراكزهم إلا لأن رؤساءهم رأوا فيهم صلاحية للتجسس ونقل الأخبار ، وهذه ظاهرة شنيعة ملموسة الأثر في كل مكان

وتلك الفئات الوضيعة تنشر الشر ذات اليمين وذات الشمال وأهون ما ترمى به الشبان من الماتم هو ما يقررونه في أذهان من يلاقون من زملائهم وأصدقائهم من أن الفضيلة خيال في خيال وأن الحزم في اقتناص الفرص قبل أن تشرد ، وأن الشخصية الكريمة وبال على صاحبها لآنها تحول بينه وبين طيبات الأرزاق ولعل الدنيا لم تفسد يوماً كما فسدت في هذه الآيام ، فقد استطال الأوغاد ، وأصبح الأحرار يعيشون في أوطانهم كأنهم غرباء وكثيراً ما نجد الوصولي السافل يقول عن رفيق له نأت به كرامته عن مواطن الضيم والهوان:

« حضرته عامل راجل »!

والمسئول عن هذا التدهور هو الفريق الجبان من الرؤساء الذين لا يأنسون بغير الضعفاء ، ولا يسلمون الأعمال إلا لكل شاب رخو لاينتظر منه إلاكلمة «بيك أفندم» كماكان يقول الأتراك وأين أين الرئيس الذي يحب في مرءوسيه إباء النفس ، وقوة الشكيمة ، وصلابة العود ؟

أين أين الرئيس الذي يعد مراوسيه ليكونوا ذخر الوطن ورجاء البلاد ، فيوصيهم بالترفع عن الصغار والذل، ويغريهم بحب البأس والاستطالة والكبرياء ، لأنه لا يسقط المصرى إلا حيث تخذله نفسه ولا يجد من مضاء العزيمة وعزة النفس ما يدفع به عادية الطامعين .

ونتيجة هذا أن أصبح الشبان يرون أن سلاح العلم والفضل والنبل والشهامة سلاح مفلول ، وأرن الزاد الانفع هو التملق والمداهنة والرياء.

وقد أذكر أني لقيت مرة شابا أعرفه فسألته عن عمله وقد قضى عهد الدراسة العالية فأجاب:

> « أتمرغ فى تراب الميرى » فابتسمت وقلت : لا بأس!

ثم علمت بعد حين أنه يتولى عملا يلحقه بمن يتمرغون فى وحل الميرى لا فى ترابه!

هذا مع أن الشبان أولى الناس بالكرامة وأجدرهم بالحرص عليها ، لأن الشباب فى ذاته قوة يجب أن تعصم صاحبها من التسفل وهو وحده حصن يجب أن يمنع صاحبه من الابتذال ، والمرء إن لم يقف على قدميه فى شبابه فمتى يرجى أن يستقيم له رأى ، أو تصلح له حال ! وإذا كان أصحاب السواعد الفتية لا يستطيعون النهوض بأنفسهم فكيف يلام الحهول على تخاذلهم وهم مهيضو الجناح ورحم الله من قال :

إذا المرء أعيته المروءة يافعا فهطلبها كهلا عليه شديد ثانيا — غفلة الشبان عن تقدير الحرية ، فان الزاهدين في الرقى ليسوا إلا قوما ألفوا الاستعباد ، ولو عشق الشبان الحرية وعرفوا فضلها لما سكتوا عن تكميل أنفسهم وتزويدها بالعلوم والآداب م ع بد

والفتيان الذين نراهم يدأبون على الدرس بعد التوظف ويطمعون في حال أحسن من حالهم يمثلون الرغبة فى الحرية أشرف تمثيل فأكثرهم يعز عليه أن يظل طول حياته تابعاً ذليلا ، يزجر فيزدجر ويؤمر فيطيع .

والعلم هو الذي يصيرنا سادة أنفسنا و يمكننا من نواصي المراتب الرفيعة . ولا يطمع في السيادة إلا من يعد نفسه لها إعدادا صحيحا أما الخامل الراضي عن حاله فلاحظ له من الرفعة ، ولا نصيب له من الاستقلال . وفي خلق الله ناس فطروا على العبودية وهؤلاء خلقوا لحكمة يعلمها الله ، فليكن في ضمير الرجل الحر أنه خلق خلقا آخر ، وأن له أن يبحث عن مكانة عالية تليق بمن خلق ليسود .

ثالثا — اعتماد الشبان على الحكومة هو من أخطر الأسباب فى قتسل عزائمهم ، فهم ينتظرون أن يكونوا دائما (مسنودين) بقوة الدولة لا يتقدمون ولا يتأخرون إلا فى ظلال من يملكون الأمور ولكل شاب عذر من حكومته : فهو يعلل تأخره بتأخر الحكم فى زمانه ويأسى على أن لم يولد فى عهد من كانوا يمنحون الحظوظ بغير حساب اوقديما قال المتنى:

أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم فتلك إذن علالة قديمة يستريح إلى ترديدها المتخلفون. ونحن لا نريد لشباننا أن يعتمدوا على الدولة فى إنهاضهم من كبواتهم فانه لا خير فيمن يعتمد على سواه، إنما نريد لهم أن يكونوا أقوياء بأنفسهم، وأن يكون الفتى قوة كاملة هى فى ذاتها دولة ذات حول وطول وسلطان.

. الغزل في شعر شــوقي

رسائل ثلاث في نقد الغزل في شعر شوقى كتبها المؤلف فى باريس فى شهر مارس سنة ١٩٣١

--) ---

تفضل احد الأصدقاء المقيمين في باريس فأعار في الجزء الثاني من الشوقيات ، فرأيت أن أنقد منه باب النسيب ، وإنما اقتصرت على هذا الباب لأن أحد الكتاب كان وعد بنقد ذلك الديوان ، فمن الخير إذن ألا يتكرر ما يكتب ، وإن كان لكل منا مذهبه الخاص ولاقيد أولا أن شوقي مسئول عن ذلك الشرح الموجز الذي ذيلت به الشوقيات ، فهو في أغلب الاحيان شرح ضعيف وقد يتعدى الضعف أحيانا إلى الغلط الشنيع . ومرب أمثلة ذلك التعليق على قوله :

لو جلوا حسنك أو غنوا به للبيد في الثمانين صبا فقد جاء في الشرح ما نصه: هو لبيد بن ربيعة الشاعر الذي قال حين بلغ الثمانين وقد شكا ثقل السمع وتهدم الشيخوخة: إن الثمانين وبلغتها قداحوجت سمعى إلى ترجمان وهذا خطأ يؤخذ به أمير الشعراء الذى ظل يراجع هذا الجزء من ديوانه نحو خمسة أعوام أو تزيد؛ فليس هذا البيت من شعر لبيد وإنما هو من قصيدة لأبى محلم الشيبانى _ إن لم تخنى الذاكرة _ والقصيدة برمتها مثبتة فى الجزء الأول من أمالى القالى

* * *

إن شوقى يعرف رأيى فى شعره ، وقد أكون أول من أنصفه بين النقاد المعاصرين ، فهو إذن خليق بأن يفترض أني لاأتحامل عليه إن قلت إن أضعف الجوانب فى ديوانه هو باب النسيب

لقد عتب على مرة لأنى لم أختر من شعره فى كتاب « مدامع العشاق » غير أربعة أبيات ، ولعله يفهم أن عذرى فى ذلك مقبول لأن شعره فى الغزل أضعف من أن يمس القلوب ، فضلا عن أن يفصح عن مدامع العشاق

إن النسيب فى جملته يرجع إلى عنصرين: الأول وصف ما يجد المحب من لوعة الشوق ، والثانى وصف ما فى المحبوب من الملاحة والجمال ، ويمكن أن يقال إن شعر شوقى خال من أوصاف الوجد المبرح لانه عاش مقسم القلب ، موزع الاحساس . فكان يتنقل من حب إلى حب ، ومن حسن إلى حسن ، فلم يقع لذلك فى وقدة الهجر أو أسر الصدود .

ذلك اعتذارنا عنه ، لأننا نؤثر الرفق بشاعرنا المجيد ، ولو آثرنا

الصدق لصارحنا أمير الشعراء بأنه لم يكن من رقة القلب ودقة الاحساس بحيث تنزى كبده من الشغف المهلك بما رأت عينه من أسراب الملاح

إنها لفكرة ساذجة أن يظن أن الوجد المبرح لا يقع إلا لمن يحبون فى قصد وفى عفاف ، هى فكرة ساذجة دافعت عنها فيما سلف. أما الواقع فهو أن الشاعر المرهف الاحساس يتزايد بلاؤه وشقاؤه كلما طال عهده بمواجهة الصباحة ومطالعة الجمال

الشاعر أشقى النياس بشاعريته ، لأنه أعرفهم بخطر ما تبدع الطبيعة مر. أسباب الحسن والفتون ، وقد أتيح لشوقى أن يشهد من روعة الجمال مايندر أن يتاح نظيره لرجل سواه ، ولكنه لم يقل شيئا عن القلوب التي أشقتها السعادة فى الحب ، ولم يتحدث عن آلام السعداء الأشقياء الذبن يحترقون وهم فى كوثر الوصال

إنه لعزيز أن يدور شعراؤنا حول الحسن فلا يرون منه غير ماكان يرى الأقدمون: فحيرة الشاعر اليوم هي حيرة اسلافه منذ قرون، مع أن النفوس قد تعقدت أشد التعقد. وهذا الحسن _ إن لم يلطف الله _ ماض فى الفتك بلفائف القلوب، وقد جدت للارواح أزمات جديدة، ومطامح جديدة، لم يشق بها الأولون فليس من المغالاة فى شيء أن نصارح القراء بأن الغزل فى شعر شوقى وأضرابه من المعاصرين أصبح أعجز ما يكون عن وصف مافى نفوسنا وأرواحنا وقلوبنا من ألوان القلق والظمأ والالتياع

وهذه المؤاخذة توجه إلى الأدب فى جملته ، لأن قراء العربية فى هذا العهدهم ضحايا الشعراء والكتاب والمؤلفين الذين عميت عيونهم وصمت آذانهم ، وجمدت مشاعرهم ، عن فهم مافى هذا العصر من شتى الانقلابات الأدبية والعقلية والروحية ، والأذكياء منهم جبناء يكتبون غير ما يشعرون ، وهذا هو السر فى انحطاط الأدب العربى الحديث . . . وإلا فأين فى مصر الشاعر أو الكاتب الذى استطاع بقوة روحه أن ينقل قراءه من ضلال إلى هدى ، أو من هدى إلى ضلال ؟

أكثرالشعراء والكتاب ينظمون ويكتبون للعوام وأشباههم، من أدعياء الخواص، وقد وقفت مطامح كثير من حملة الأقلام عند تلك الغايات الصغيرة، وبذلك ظلت عقول الصفوة المختارة من مفكرى القراء في حيرة داجية سوداء ، حيث لا يجدون من يترجم عن ظمأ أرواحهم ، وهيام قلوبهم ، وقلق نفوسهم ، وكان الظن بمن أغناهم الله وأراحهم من تكاليف العيش أن يقدموا إلى الجمهور غذاءه الروحي والعقلي في صورة أخاذة تلقى شيئا من النور في طريق الأرواح الحائرة ، أو تلقي قبسا من الثورة في أنفس من تغشاهم الخود

ولعل أفظع رزء منى به الشرق هو الغفلة عن تربية العواطف وغض الأبصارعن روائع الجمال ، ومصدر ذلك فيها أظن أنه يندر في الشرق أن يكون شيء مرب الأمر بيد الشباب : فنحن نعيش

فى قيود وأغلال طرق حديدها جماعة من الحمقى البلداء الذين. يحقدون أشد الحقد على كل شاب قوى العقل واضح الفكر مضىء الادراك

* *

لنترك هذه الخواطر التي تقض بعض المضاجع ، ولنأخذ في. الـكلام عن غزل شوقي :

لاحظت أن شوقی حین جمع دیوانه لم تسمح نفسه باغفال شیء من شعره القدیم ، فتجاور فی دیوانه التلید و الطریف ، و الغث و السمین ، و أنا لا أكتم القراء أن هذه آفة الشعراء و الكتاب جمیعا فمن العسیر علی الشاعر أو الـكاتب أن یتنادی شیئا من منظومه أو منثوره ، وكل رجل منا حین یعود إلی آثاره یقع صریع الفتنة و الاعجاب ، و أكثر الذین جمعوا قصائدهم و رسائلهم قد تسامحوا مع أنفسهم : فقد یتفق أن یسوء رأی المرء فی إحدی قصائده أو رسائله و لكمه مع ذلك یضعف فیری فیها جوانب من الحسن تستحق الحلود! و قد كانت لبشار بن برد مقطوعات سخیفة فسأله بعض أصدقائه أن یه بها للنسیان ، فرفض ذلك محتجا بأن قصائد الشاعر كا بنائه يتساوی حظهم عنده من البر و الاشفاق

وقدأحرق البحترى جملة من أهاجيه حتى لا تكون بابا من الشر لابنه من بعده، وعندى أن تلك جرأة عظيمة أن يتلف الرجل بعض. آثاره مراعاة لمصالح الاهل والأقرباء وفي ظنى أن ذلك ماكان يقع لو قيل للبحترى: أحرق هذه الاهاجي لانها ضعيفة لاتستحق البقاء وإنما أثبتنا هذه الملاحظة لنعتذر بهاعن شوقى فهو فى رأيناأبعد نظرًا من أن يخفى عليه ضعف الابيات الآتية:

لا والقوام الذي والا عين اللاتي ماخنت رب القناو المشرفيات ولاسلوت ولم أهمم ولاخطرت بالبال سلواك في ماض ولا آت وخاتم الملك للحاجات مطلب وثغرك المتمنى كل حاجاتي

فليس في هذه الابيات من سمات الشعر غير الوزن والقافية ولكنه أثبتها في الديوان لأنه قالها ، وكلام أمير الشعر يجب أن يظل على أى حال أمير الكلام!! وإلا فما هو القوام الذي ، وما هي الأعين اللاتي؛ اللهم إلاأن يريد أن يأتي بشاهد جديد لحذف صلة الموصول! ثم مامعنی قوله:

وخاتم الملك للحاجات مطلب وثغرك المتمنى كل حاجاتي وكيف غابت عليه تفاهة كلمة «حاجات» في مقام التشبيب ومن الغزل البارع جداً قول شوقى:

> ياناعما رقدت جفـــونه عــــد منعــها أولاتعـــــد بيني وبينـك في الهـــوي , رشأ يعــــاب الســــاحرو الروح مسلك يمينسه

مضن_اك لاتهدا شجونه إن لم تعنه فمر. يعينه أودعت سرك من يصونه سبب سيجمعنا متينه ن وسحرهم إلاجفونه يفديه ما ملكت يمينه ما البان إلا قدده لوتيمت قلبا غصونه هذه قطعة جميلة ، لم يضعف منها إلاقوله :

رشأ يعاب الساحرو ن وسحرهم إلاجفونه لأنه لا يكفى أن يقال: « السحر معيب، ولكن سحر هذه الجفون لا عيب فيه » والشاعر يعلم أن سحر العيون أسمى وأعز من أن ينزل إلى توافه المشكلات. فهل يدرى القارىء ماذا أضاف شوقى إلى هذه القطعة الجيدة؟ لننظر كيف يقول:

ويزين كل يتيمة فهـ وتحسبها تزينه فا معنى هذا ؟ معناه أن ثنايا المحبوب تزين اللا لىء ، على حين يظن أن اللا لىء تزينها ... وما نظن شوقى يقدر أن هذا معنى جميل . والخطأ وقع له من اختلاس قول بعض الاقدمين ولعله الحسين بن مطير

منعمة الأطراف زانت عقودها بأجمل مما زينتها عقودها فان هذا الشاعر وقع على المعنى المقبول: لأن النحور قد تكون أجمل وأروع من نفائس العقود . أما أن تكون الثنايا أجمل من اللالىء التي تزدان بها فذلك خيال مقلوب

ثم مامعنی قوله بعد ذلك

ما العمر إلا ليالة كان الصباح لها جبينه وهناك أبيات كثيرة كان يستطيع شوقي إسقاطها من الديوان ولكنه كما أشرت ضعف عن ذلك كا كثر الكتاب والشعراء

وسترى في الا مجاث الآتية مبلغ ماوصل اليه في فن النسيب

-- Y --

بين العاطفة والذكاء

لقد درج شعراء اللغة العربية منذ الزمن القديم على افتتاح القصائد بالنسيب ، وتلك طريقة لها محاسن ولها عيوب : فمن محاسنها أنها تمهد للشاعر طريق السكلام ، وهي بذلك أشبه بالموسيق تتقدم الغناء ليثور قلب المغني ويرهف إحساسه للتلحين والتطريب ، ومن مساويهاأنها تفرض على الشاعر مالاقبل له باحتماله من التغني بعواطف قد تكون خمدت في صدره منذ أزمان . على أن الشعراء الأقدمين قد النزموا هذه القاعدة حتى وصلت ببعضهم إلى الاسفاف وحسب القارىء أن أذكر له أن من الشعراء الماضين من كان يفتتح وصلت بالنسيب ، وذلك أغرب ألوان الشذوذ ، وقد أحصيت من هذا النوع عشرين شاهدا هي في مذكر آتي بمصر ، فليعذر في القادىء إن اكتفيت بالاشاره اليها في هذا الحديث

وقدسلك شوقى هذا المسلك، فباب النسيب فى ديوانه أخذ أغلبه من طلائع مدائحه القديمة، فهو فى جملته نسيب مصنوع غابت عنه العاطفة وصاغه الذكاء. وهو فى هذا يشارك جمهور شعراء اللغة العربية الذين اتخذوا النسيب حلية للقصائد بدون أن يفهموا أن الجمال من النفحات السماوية التى لاينبغى أن يشرك

الشاعر بها أحدا من الناس

الجمال أعز وأسمى وأروع من أن يتخذه الشاعر وسيلة لقصائد المديح ، ولئن اغتفر للشعراء الأولين أن يتناسوا عظمة الجمال ويبتذلوه فى غير إشفاق فانه لايغتفر لشوقى وقد درس ميسيه ولامرتين وفرلين أن لايتقى الله فى لغته ويرحمها من ذلك الجدب الموحش الذى ابتليت به يوم كان الشعراء يتورعون فى جبن وغفلة وجود عن التسبيح بحمد الجمال

ومع هذا فلشوقى مقطوعات وأغان قليلة وهبها للحسن وحده وسنعود اليها فى الرسالة الآتية ، ولكنها لقلتها لا تسمو به إلى منزلة معاصريه فى الأمم الأوربية ، ولاتلحقه بمن أجادوا التشبيب من أسلافه كعمر بن أبى ربيعة والعباس بن الأحنف وأبي نواس وابن زيدون

* *

وقد عرض شوقى لتشطير بعض أبيات النسيب ، والتشطير والتخميس من الفنون المستحدثة فى الشعر العربى ، وهو عمل فنى لاأثر فيه للعاطفة وإنما يرجع إلى الذكاء . فلننظر كيف صنع شوقى مثلا فى قول أنى نواس :

ياويح أهلى يرونى بين أعينهم على الفراش ولايدرون مادائى والقارى، فى غنى عمن يرشده إلى روعة هذا البيت الجميــل وقد حوله شوقى إلى الصورة الآتية: ياويح أهلى أبلى بين أعينهم

ویدرج الموت فی جسمی و أعضائی وینظرون لجنب لاهدو، له علی الفراش و لایدرون مادائی

فان هذا التشطير لم يستقم لشوقى إلا بحذف كلمة «يرونى» ووضع كلمة «أبلى» مكانها ثم عاد فأتى بكلمة «وينظرون» في البيت الثانى ليستقيم له الشطر الاخير وقد عاد المعنى مغلقا بعض الشيء حين تدخل شوقى لاتمامه ، وكان قبل ذلك غاية في الرقة والوضوح

ولشوقى بيت سائر وهو قوله:

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

وهو بيت يعجب به الناس ، وقد أشرت مرة إلى أنه عرض فيه حوادث الحب على الطريقة السينهائية ، وهو فوق ذلك لا يمثل الحرائر من الحسان ، وإنما يمثل الساقطات اللائى تنبو عنهن العيون في الحانات ، وما أظن شوقى ظفر بتلك السعادة مع فتاة نبيلة اللهم إلا إن زعم أنه كان (إيروس) العصر والأوان!

وقد فتن شوقى بالسلاسة التى كانت من نصيب ذلك البيت فأراد أن يضيف إليه بيتا ثانيا لتتم بهما صور العشق فقال:

ففـــراق يكون فيه دواء أو فراق يكون منه الداء فأين هــذا من ذاك و ذاك بيت ألقت به السليقة فجاء غاية في الانستواء ، أما البيت الثاني فهو من آثار التــكلف ، لأن الشاعر توهم أن الصورة تتم به ، وكانت النتيجة ما نراه من تنافر الأخوين فان كان شوقى فى ريب من صدق هــذه الملاحظة فليحدثنا. كيف صح له أن يقول بعد ذلك:

يوم كنا ولا تسلكيف كنا نتهادى من الهوى ما نشاء فان ذلك وقع بالطبع بعد السلام والـكلام وقبل الفراق! وجاء في الديوان ما نصه:

وقال مشطرا حيث اجتمع بعض الأدباء في مجلس فذكر أحدهم بيتا للبها زهير وهو :

یقول أناس لو وصفت لنـا الهــوی فوالله ما أدری الهوی کیف یوصف

فقال:

يقول أناس لو وصفت لنـا الهـوى لعــل الذى لا يعرف الحب يعرف فقلت لقــــد ذقت الهوى ثم ذقتـه

فوالله ما أدرى الهوى كيف يوصف

وكان على شوقى أن يلاحظ أن بيت البها زهير هذا ليس من الجودة بحيث يستحق هذه العناية ، فان من السذاجة أن يتوجه الناس إلى المحب قائلين: نسمع أنك تحب؛ فهل لك أن تقول لنا ما طعم الحب وما لونه ، وأغرب من هذا وأدخل فى السذاجة أن يعلل شوقى وجاهة السؤال بقوله:

لعل الذي لا يعرف الحب يعـــرف فهل من الحق أنه لو أمكن وصف الحب للناس أصبحو امحبين أم الأمر لا يخرج عرب عبث الألفاظ!

وهناك قصيدة صنعها شوقي ليدل بها علىذكائه وانقياد النظم إليه ، فقد قال البارودي :

أتغلبي ذات الدلال على صبري و

ثم سكت . فرأى شوقى أن يكمل البيت هكذا :

إذن أنا أولى بالقناع وبالخدر

ثم مضى فأنشأ قصيدة طويلة من الوزن والقافية

وقبل نقدهذه القصيدة نسأل شوقي: هلكل مغلوب علىصبره في الحب خليق بالخدر والقناع ۽

لا أظن! وإلا فهناك قصائد صرح فيهاشو قي بآنه يائس مغلوب! و إلى القارى القطعة الآتية:

فـــا راعني إلا نساء لقينني

وليــل كائن الحشر مطلع فجره تراءت دموعي فيه سابقة الفجر سريت به طيفا إلى من أحبها وهل بالسهى فى حلة السقم من نكر طرقت حماها بعد ماهب أهلها أخوض غمارالظن والنظرالشزر يبالغن في زجري ويسرفن في نهري يقلن لمن أهوى وآنسن ريبــة نرى حالة بين الصبابة والسحر

إليكن جارات الحي عن ملامتي وذرن قضاء الله في خلقه يجرى وأحرجني دمعي فلما زجرته رددتقلوبالعاذلات إلىالعذر فساءلنها ما اسمى فسمت فجئني يقلن أمانا للعذاري من الشعر

فقلت أخاف الله فيكن إنني وجدت مقال الهجر يزرى بأن يزرى

ومن يهو يعدل في الوصــالوفي الهجر هذه أبيات في غاية الانسجام ، ولأجل هذا أثبتها شوقى بنى الديوان، ولكن مامعناها؟

الشاعر يذكر أنه كان يحب فتاة ، قاهرية بالطبع ، لان هذا من شعره القديم ، وللقاهريات تقاليد في الصيانة والعفاف . ومع هذا طرق حماها بالليل فهب أهلها مذعورين ، وأحاط به النساء يزجرنه وينهرنه ثم توجه أولئك النسـاء إلى محبوبته يسألنها ماشأن هذا الزائر ؟ وهنا أجهش الشاعر في البكاء فخمدت حمية النساء وسألن الفتاة عن اسمه فقالت شوقى! ولم تكد تلفظ هذا الاسم الكريم حتى تساقط النساء متخاذلات واهنــات يطلبن من الشعر الأمان! وفي هذا الموقفكان الشاعر كريما، فقد طمأنهن قائلا إنه يخاف فيهن الله!!

إن هذه الصورة المنكرة لاتقع في حي وضيع إلا موسومة بسقم الذوق ، فكيف صح وقوعها في مدينة القاهرة قبل

ثلاثين عاما!!

كل هذا لم يكن ، و لكن شوقى أراد أن يتكلم ، فليكن ما أراد لأنه يقول للشعركن فيكون

وعلى القارىء أن يروض نفسه على الاقتناع بأن نساء القاهرة كانت شمائلهن من هذا الطراز: ولو فى خيال أمير الشعراء!!

نجوى القلب

شوقى شاعر محسود ، فقد ملا محميع الأسماع وأشجى كثيراً من القلوب ، وقد أتيح له أن يظل زعيم الشعراء أكثر من أربعين عاما ، وهي زعامة حقة لايمترى فيها إلا المكابرون . وكم شقى خصومه في هدمه وهو على الزمن لا يصنع فيه النقد المغرض إلا كما يصنع المطر في متين الحصوب .

لا تسأل عن السر فى عظمة شوقى ، لأن الشعر فى أكثر الأحيان من النفحات الالهية التى لاتنال بالجد وعرق الجبين ، فليس هو بأعلم معاصريه و لاأذكاهم و لاأعرفهم بطبائع الحياة و سنن الوجود وقد أفصح عن ذلك أبدع إفصاح حين قال :

رب سامى البيان نبه شانى أنا أسمو إلى نباهة شانه

كان بالسبق والميادين أولى إنما أظهروا يد الله عندى ماالرحيق الذي يذوقون من كر وهبوني الحمام لذة سجمع وتر في اللهااة ما للغني

لوجرى الحيظ في سواء عنانه وأذاعوا الجميل من إحسانه مى وإن عشت طائفا بدنانه أين فضل الحمام في تحنانه من يد في صفائه وليانه

وكذلك يجيد شوقى حين يسلم خياله إلى فطرته الجيدة ، ويسف حين يتكلف ويتصنع ، لأنه لا يتقن الصنعة إلا الشعراء المحرومون من هبات الروح

وقد راجعت ما قال شوقی فی النسیب فكان أكثر ما شاقنی عنده نجواه لقلبه وقد ودع أحلام الشباب ، وكلمة الشباب لها فی شعر شوقی وفی حیاته معان ساحرة لا یفهمها حق الفهم إلا من عاشوا كما عاش ، أو رزقوا من رقة الحس مایتو همون به كیف كانت حیاة مثله بین فتن المال و الجمال و الشباب

وشوقى رجل ألتى فى غيابات الماضى أطيب الاحلام والأوهام فهو اليوم يعيش تحت أثقال السنين، ولكن كاهله لا يزال قوياولا يزال يقول: هات ما عندك يازمان! ولا يزال فى ذلك الجسم قلب. حساس يفيض بأقوى العواطف والمشاعر والاحاسيس.

غير أن شوقى أذكى من ذلك ، فهو يعلم علم اليقين أنه لا يأسر الجمال بصباه كما كان يفعل فى أيامه الحنو الى ، و إنما ينقاد الجمال إليه

لأن شهرته طبقت آفاق الأقطار العربية ، وطبعت اسمه في صدور الناطقين بالضاد .كل هذا جعل شوقى من أشعر الناسحين يتحدث عن هزيمته في الحب، وكان لا يعرف الهزائم في ذلك الميدان فيارحمة الله لقائد قضي عمره بين أكاليل النصر ، ثم كتب عليه أن يشهد في آخر أيامه وقائع الاخفاق!

وإلى القارى، نجوى شوقى لقلبه وقد تقطعت حبائله في أو دية الجمال:

أمشى مكانهما على الأشواك لما تلفت جهشة المتباكي فاذا أهيب به فليس بشاك من بعد طول تناول وفكاك بعد الشباب عزيزة الادراك الفتـوة أو فضـــلة لعراك ونشد شد العصبة الفتاك ما يبعث الناقوس في النساك

ورجعتأدراجالشبابوورده وبجــــانبي واه كائن خفوقه شاكي السلاح إذا خلابضلوعه ويح ابن جنــــــى كل غاية لذة لم تبق منــا يا فؤاد بقيـة كنا إذا صفقت نستبق الهوى واليوم تبعث في حين تهزني

وإلى القارى. قوله يخاطب قلبه مر. كلمة ثانية:

بجاذبني في الغيدرث عناني وهل للفتي بالمستحيل يدان وهل أنت إلا من دم وحنــان ولم تدكر إلفا فلست جنانى

صحا القلب إلا من خمار أماني حنانيك قلى هل أعيد لكالصبا تحر. _ إلىذاك الزمان وطيبه إذا لم تصن عهدا ولم ترع ذمة

اتذكر إذ نعطى الصبابة حقها وأنت خفوق والحبيب مباعد وأيام لاآلو رهانا مع الهوى لقدكنت أشكو من خفوقك دائبا سقاك التصابي بعد ماعلك الصبا ومازلت في ريع الشباب وإنما ولاأكذب البارى بني الله هيكلى أدين إذا اقتاد الجمال أزمتي

ونشرب من صرف الهوى بدنان وأنت خفوق والحبيب مدان وأنت فؤادى عند كل رهان فولى في الحفقات فولى في الحفقات فكيف ترى الكأسين تختلفان يشيب الفتى في مصر قبل أوان صنيعة إحسان ورق حسان وأعنو إذا اقتاد الجمال عناني

والفرق بين القطعتين واضح ، فالأولى قوية تزخر بالحياة لأن الشاعر ألتى بها وهو واجد محزون ، أما الثانية فوسط بين الجيد والردى الأن الشاعر قالها وهو شاب يتكلف سآمة الشيوخ ليثبت أن الفتى يشيب في مصر قبل أو ان المشيب والضعف ظاهر في قوله: أتذكر إذ نعطى الصبابة حقها ونشرب من صرف الهوى بدنان وقوله:

وأنت فؤادى عند كل رهان

وأيام لا آلو رهانا مع الهوى و الفتور ملموس فى قوله :

وأنت خفوق والحبيب مباعد وأنت خفوق والحبيب مدان على أنه اختلس هذا المعنى من قول بعض الأقدمين:

ولو وجد الهوى حلو المذاق مخــافة فرقـة أو لاشتيـاق

وما فى الأرض أشقى من محب تراه باكيا فى كل حال فيبكى إن نأوا شوقا إليهم ويبكى إن دنوا خوف الفراق فتسخن عينه عند التنائى وتسخن عينه عند التلاقى وفى القطعة الثانية عيب آخر وهو التناقض فى عرض نفسية الشاعر، فهو يحدثنا أولا أنه ودع عهد الشباب ويذكر أن رد الصبا من المستحيل، ثم يعود فيذكر أنه لايزال فى ريع الشباب وأن الله بنى هيكله صنيعة إحسان ورق حسان، فهو فى أول القطعة يندب شبابه، وهو فى آخرها يتغزل فى نفسه فيذكر أن قوامه كالغصن الرطيب! وفى هذه الحيرة الفنية دليل على أن الشاعر لا يعنى ما يقول ولننظر كيف يخاطب قلبه من كلمة ثالثة:

أرقت وعـادتنى لذكرى أحبتى شجون قيــام بالضلوع قعود ومن يحمــل الاشواق يتعب ويختلف

عليه قيديم في الهوى وجيديد

لقیت الذی لم یلق قلب من الهوی لك الله یا قلبی أ أنت حـــدید و هذا شعر لا بأس به و لكن مامعنی قوله:

لك الله ياقلي أأنت حديد ؟

إنا نظن أن هــذا التعبير لايخلو من ابتذال

ومن الانصاف أن نذكر أننا نستجيد من هذه القصيدة القطعة الآتية:

لهم ولأسرار الغرام مــــديد غصون قيــــام للنسيم سجود وروض كماشـــا، المحبون ظله تظللنــــا والطيرفي جنبـــاته

تميل الى مضنى الغرام و تارة مشى فى حواشيه الأصيل فذهبت وقامت لديها الطيرشتى: فآنس وباك و لادمع و شاك و لاجوى و ذو كبرة لم يعطبالدهر خبرة غشيناه و الآيام تندى شبيبة رأت شفقا ينعى النهار مضرجا فقالت و ما بالطير ؟ قلت سكينة أحل لنا صيدان: يوم الهوى مها يعطم رمح دوننا و مهند يعطم رمح دوننا و مهند و نحكم حتى يقبل الدهر حكمنا و مهند و فنعكم حتى يقبل الدهر حكمنا

يعارضها مضنى الصبا فتحيد وماس عليها الحلى وهى تميد بأهل ومفقود الأليف وحيد وجذلان يشدو فى الربى ويشيد وعريان كاس تزدهيه مهود ويقطر منها العيش وهو رغيد فقلت لهيا حتى النهار شهيد فقلت لهيا نبتغى ونصيد فياهى مما نبتغى ونصيد ويوم تسل المرهفات أسود وبقتلنا لحظ ويأسر جيد ونحن لسلطان الغرام عبيد

وهذامن الشعر البارع الجيد السبك و إن كنا ننكر عليه البيتين الأخيرين ، لأرن شوقى لم يكن يوماً من رجال السيف ، حتى يصطاد المهافى يوم الهوى ويصطاد الاسود في يوم الجلاد ، وهو قد سرق هذا المعنى من عبدالله بن طاهر إذ يقول :

نحن قوم تذیبنا الاعین النج ل علی أننا نذیب الحدیدا وترانا عندد الکریهة أحرا را وعند الغوانی عبیدا

وعبد الله بن طاهر يقول ويفعل : لآنه كان من كبـــار القواد ومن أقدر الناس على مقارعة الهيجاء، في حين أن شوقي حدثنا في مقدمته القديمة للشوقيات أنه كان يجتاز ميدان عابدين على ظهر أتان!

الجيزل والرقيق

شوق يؤثر الرقيق على الجزل فى الغزل والنسيب ، ولا عيب فيه إلا أنه كما قيل يسيل رقة حتى يصل إلى النعومة واللين ، وإلى القارىء هذه الأبيات :

ياحسنه بير. الحسان في شڪله إن قيل بان كالبـــدر تأخـذه العيو ن وما لهن به يدان ملك الجوانح والفؤا د فني يديه الخافقان ومنای منے نظرہ فعسی یشیر الحاجبار. من لا له في الحسين ثان فعسی یز کی حســـــنه فــــدعوه يعـــــدل أو بجو ر فانه ملك العنان. في كل جارحة مكان حق الدلال لمن لــه والتعبير عن ذلك المحبوب بأنه « حسن في شكله » من التعابير, العامية ، ولكن لابأس فلعل ذلك الظيكان يلعب في الحارة حينذاك وعبارة «من لاله» عبارة ثقيلة كان ينبغي نفيها عن هذا الغزل الرقيق و زكاة الحسن ماموضعها هنا؟ إن الشاءر بحارى بعض المتقدمين في هذا المعنى ، وكان ينبغيأن يلحظ أن هذا من أخيلة الفقهاء ولشوقي قطعة رقيقة قالها في بعض الناس ووهبها للغناء ، وهي

منك ياهاجر دائي وبـكفيك دوائي ى وسۇلى ورجائى أنت إن شئت نعيمي وإذا شئت شقائي لا ترى فيه لقائي وتمـــاتي في التنائبي فيكو اضحكمن بكائي ى يرضاه ولائي وكما تدرى وفائيي طــال بالواشي عنائبي وتواريت بدمعي مر. عيون الرقباء ضي الهوي من شركائي غرت حتى لترى أرضى غيرى من سمائي لك أو كنت ردائي

يامني روحي ودنيا لیس من عمــری یوم وحياتي في التداني نم على نسيان سهدى كل ما ترضاه يامولا وکما تعــــام حی فیك یا راحة روحی أنا أه**واك ولا** أر ليتني كنت رداء ليتني ماؤك في الغله ـة أو ليتك مائي

وهذا شعر مقبول ، ولكن هل يستطيع شوقى أن يدلنا على بيت واحد فيه شيء من الابداع ووما باله يرضي بأن يقدم للغناء. هذه المعاني التي رددها مئات الشعراء ?

وهناك قصيدة أجزل من هذا وهي التي يقول فيها : وقالوا فى البديل رضا وروح لقد رمت البديل فرمت صعبا وراجعت الرشاد عساى أسلو فما بالى مع السلوان أصبى. اذا ما الكائس لم تذهب همومى فقد تبت يد الساقى و تبا على اني أعف من احتساها وأكرم من عذارى الدير شربا وهى قصيدة أكثرها مستجاد ، وإنما نقلنا هذه الابيات لنسأل شوقى عن معنى قوله:

اذا ماالكائس لم تذهب همومى فقد تبت يد الساقى وتبا لأننا لانفهم موجب هذه الدعوة البشعة فى الشطر الأخير وماذنب الساقي إذا تحجرت نفس الشارب فى حضرة الصبباء ؟ وقد نفهم أن يكون شوقى أعف من احتسى الراح ، إن كانت تبقى على عفاف ، ولكننا لاندرى كيف رأى أن يحدثنا أنه أكرم من عذارى الدير شربا!! لقدكان أولى للشاعر أن يذكر أنه أقدى الشاربين فتكا ، لا أنه أكرم شربا من العذارى المتبتلات، فان الراح لا تشير معانى الحنان إلافى النفوس الضعاف!

ثم ماقيمة قوله فى كلمة أخرى:

حببتكذات الخال، والحب حالة إذا عرضت للمرء لم يدر ماهيا وإنك دنيا القلب مهما غدرته أني لك مملوء آمن الوجد وافيا ، وبين الهوى والعذل للقلب موقف كحالك بين السيف والنار ثاويا وبين المنى واليأس للصبر هزة كخصرك بين النهدو الردف واهيا وياليت الشاعر أسقط أمثال هذه الآبيات من الديوان وما قيمة قوله أيضاً يستعطف محبوبته:

· فحسب خدی من عینی ماشر با فمثل ما قد جری لم تلق عینان

وأين وجه الحسن في قوله :

يامن هجرت إلى الاوطان رؤيتها

فرحت أشوق مشتاق لأوطان أَتَذَكُرِ بن حنيني في الزمان لها وسكبي الدمع من تذكارها قاني وغبطي الطير ألقاه أصيح به ليت الكريم الذي أعطاك أعطاني

و بعد فقد كانت هذه الرسائل الثلاث تذكرة للقارىء بما في ماب النسيب من مواطن القوة والضعف ، أردنا بها توجيه الانظار الى الجزء الثاني من الشوقيات ، و نحن أبعد الناس عن التحامل على بلبل النيل الذي يقول:

وقلت له صبراً فكل أخي هوي علی ید من بهوی غداً سیتوب

لىالى الاعتقال

حضرة الآخ أنيس افندى ميخائيل

وصل خطابك البديع ،بعد عشرين يوماقضاها تحت أثقـال الرقابة ولم يصلني قبله في معتقل (سيدي بشر)غير خطاب الآخ الشيخ عبد المجيد زهران ؛ فما أوفاه ياصديقي وما أوفاك!

سأضرب صفحا عن الدمعة التي سكبتها على القرطاس، لأن مثلي لايبكي له ولايبكي عليه ، وإنما خلقت لأكون مثلا في الشمم والاباء ولوكان بى حب الدعة والطمأنينة لمامكثت في المعتقل هذه الشهور الطوال فقد فكر القوم في مساومتي لأول لحظة وطئت فيها تكنة . قصر النيل. ولكنى أقذيت عيونهم حين أريتهم كيف يطيب الشقاء فى سبيل البلاد. وأقسم لوسلم المصريون جميعاً وخرج مصطفى كامل من قبره فصافح الانجليز لماكان فى ذلك مايز حزحنى قيد أنملة عرب معاداتهم حتى يكون الجلاء، وأعيدك أن تحسب أن جلاءهم عن مصر إن تم ونحن أحياء ينسينا مافعلوا بنا وبأهلينا منذكان الاحتلال!

أترك ذلك . وأحدثك عما يجول بصدرى فى هذه الظلمات .أنا حزين يا أنيس! وكيف لا أحزن وفى المعتقلين أنفسهم أنصار لشروع ملنر الذى يعرض الآن بين التصفيق والهتاف! ياويلتاه! حتى المعتقلين المعذبين يصدقون بأن انجلترا منحتهم الاستقلال!! متى تنكشف هذه الغمة فأخرج من بين هذه الاسلاك الاساعد الحزب الوطنى فى الغارة الشعواء التى شنها على أولئك الشياطين الذين مكنتهم الليالى من ناصية هذا الشعب الوديع!

ليست انجاترا هي العدو الوحيد للامة المصرية؛ بل هناك عدو آخر لايزال يبطش بالأمة غير وان ولاراحم . ألاوهو الجهل . هذا هو العدو اللدود الذي تستعين به انجلترا لاغتصاب وادى النيل ولولاه لما رحب المرحبون بأعضاء الوفد حين جاءوا لعرض مشروع ملنر . بل لولاه لحقت على هؤلاء كلمة العذاب! وسأعرف ما اصنع حين أعود إلى القاهرة ولو بعد حين . سأعرف كيف أحارب الجهل ، وكيف أصب الصواعق على رءوس من يستغلون جهل

الأمة فينالون به ما لهم من سيء الاغراض ، ومنكر الشهوات ، والله بصير بما يعملون

تسألنى عن ليسالى الاعتقال ، وأجيبك بأنها ليسال سود لافرق بين أنصافها والسرار ، ويكنى أن أذكرلك أن هذه الليلة ليلة العيد ، ومنذ لحظة كان الاستاذ الشيخ عبد الباقى سرور يبتسم ويقول: لقد استرحت هذه الليلة من أو لادى ، فما يفك عمامتى أحد ولايضحك من صلاتي إنسان .

وكان الشيخ محمــد يوسف يرفأ قميصـه وهو ينشد قول ان الاحنف:

رحمتا للغريب بالبـلد النا زح ماذا بنفسـه صنعـا فارق أحبــابه فمـا انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعا وكانالشيخ شافعى البنا يلاعبالشمعة وهو يتغنى بقول المتنبى:

عيد بأية حال عدت ياعيد بمامضى أم لأمر فيك تجديد أما الأحبة فالبيدا، دونهمو فليت دونك بيدا دونها بيد

أما أنا فكنت أترنم بقولى:

ليالى النيل واللذات فاهبة وجدى عليكن أشجانى فأضنانى لويرجع الدهر لىمنكن واحدة في سنتريس ويدنى بعض خلانى إذا تبين دهرى كيف يرحمنى من ظلم همى ومن عدوان أحزانى و بمناسبة سنتريس أذكر أنى أرسلت خطابا للاخ الشيخ احمد الدكرورى أصف به شوقى إلى مغانى ذلك البلذ الجميل ،أين أنا من

سنتریس؟ وأین منی سنتریس ؟

بلد صحبت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب اللهو وهو جديد فاذا تمشدل فى الضمير رأيته وعليه أغصان الشباب تميد حسبك هدذا ياأنيس، ولاتنس أن تزور الشيخ عبد العزيز صقر، وأن تكاتب الأخ العزيز محمد افندى محمود حسين، فاما الشيخ على مبارك فسأعرف كيف أناقشه الحساب!

وأعود الى الثورة الخطيرة التى تشب فى جو انحى كلما فكرت فيها يعمل الانجليز لقهر الأمة المصرية. لبيك يامصر! لن تموتى ونحن أحيااه!

(ملحوظة): لاتذكر لأحدكيف وصلك هذا الخطاب فتشتد الرقابة على المعتقلين المعذبين!

مارس سنة ١٩٢٠

لا تسبوا الدهر !

لقيني أحد أصدقائي في الأسبوع الفائت وبادرني بقوله: لقد أغضبت الزمخشري حين فسرت قوله تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وقد عزمت بحول الله وقوته أن أغضب الزمخشري مرة ثانية بتأويل قوله عليه السلام: « لاتسبو االدهر فان الدهر هوالله فليس معنى هذا الحديث أن الدهر اسم من أسماء الله ، كما توهم ذلك

كثير من الفقهاء: ولكن معناه أن الدهر الذى تسبونه ــ وهو نظام الكون الذى تحرمونكل شيء حين تخرجون عليه ــ هو عند الله كاسمه و اجب التقديس!!

وسب الدهر عادة قديمة : فرد لها رواة الأدب بابا سموه (شكوى الزمان) وقد تنبه بعض الشعراء إلى هذه الضلالة الفاشية فرثى لأصحابها بقوله :

كل من لاقيت يشكو دهره ليت شعرى هذه الدنيا لمن وكائن رسول الله رأى جموع الكسالى الذين يحسبون أنفسهم خلقاء بأن يملكوا ناصية العالم، ولا يعملون شيئا، حتى إذا حاقت بهم عواقب كسلهم، بسطوا ألسنتهم في سب الدهر، وشكوى الزمان، فأراد عليه السلام أن ينهاهم عن هذ الخله النكراء بقوله: « لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله »!

لقد ملائتم الدنيا صراخا وعويلا: فهسل أغنى الصراخ والعويل ؟ أفسدتم على الناس فطرهم باذاعة الآراء السقيمة والمبادى المهلكة ؛ فتى تفتحون أعينكم لتروا نظام الكونكا خلقه الله ، لا كما صورته لكم شهواتكم ، وأهواؤكم !! نحن صرعى خطلكم ، وقتلى جهلكم ، فلاعفا الله عنكم ، ولاعاد زمن كنتم فيه من المكرمين!!

شکوی علیل

عزيزبي فتحيه

لاتطيق يمناى الكتابة إلا بألم شديد! وذلك لوتعلمين سبب حرماني من الكتابة إليك منذحين! وكم تمنيت كلما أدرت اللفائف على تلك الجريحة ، لوأن يمناك الجميلة هي التي تتولى برفقها ضمد ذلك الجرح البليغ! ولكن هيهات يافتحية ، ما كل مأمول ينال ، وكم أنشدت كلما أدنى الخيال محياك الجميل:

إن عيني تعودت كحل هند جمعت كفها مع الرفق لينا إي والله! فلو رأيتك الآن لفزعت إلى صدرك، كما يفزع الضحيان إلى الفلل الفلليل! وما كان هذا الجرح بباق بعد قدومك إلا كما يبقى الحزن بعد قدوم الرحيق! ولقد كنت خليقاً أن أطرب لذكر الك كلما ألح على المرض ، فاعتصمت بذكرى أيامنا الخوالى ، ولكنى مافكرت فيك إلا امتلائت حقدا على الدهر ، فسقطت صريع جرحين: جرح في اليد ، وجرح في الفؤاد! فياعجبا كيف صارت ذكر الك مثاراً للهم ، وكانت كالواحة في الوادى الجديب!! الآن _ وقد انتصف الليل ، ونامت عن شكواى العيون _ الآن _ وقد انتصف الليل ، ونامت عن شكواى العيون _ أتسمع لعل فنحية تطرق الباب ثم أتبين أنني أرجو مالايكون ، وأترقب المستحيل وهاأنذا أعود إلى مساهرة الآنين

سبحان من لوشا. سوى بيننا وأدال منك فقد أطلت عذابي سبتمبر سنة ١٩٢١

ارواح الكتاب

عزيزتى فتحية:

وصل إلى خطابك السادس، وكنت جديرا بشكر بمناك الجميلة على ماصنعت أناملها الحسان. ولكنى لاأزال أشعر بالوحشة ،كائن لم تكتبي إلى حرفا، ولم يصلنى منك كتاب! غير أنى لاأنكر أن قلبي يخفق فى كل صباح، كلما قرب قـــدوم البريد! ولقد صرت أحسب حملة الرسائل شرذمة من الملائكة، ينقلون السلام من قلب الىقلب، ويصلون بين النفس والنفس، حتى لقد هممت أن أسبح بحمدهم فى أوقات التوزيع، كما يسبح فريق من الناس للشمس عند الشروق!!

أجل! لا أزال أشكو الهجر والصدود! فاذا كنت تحسبين أن فى هذه الرسائل برءا لقلبى من جواه ، وجسمى من ضناه ، أو اذا كنت تظنين أن فى إرسالها إلى إمتاعا لنفسى التى تكلف بالحسن و تولع بالجمال ، أو إذا كنت تأملين أداء مايفرض الحب على فتاة تعلم أن حياة عاشقها أثر من آثار يديها ، كاكانت حياة الزهر أثرا لما للشمس من ضياء: اذا كنت تنتظرين شيئا من ذلك فأنت واهمة يافتحية! نعم واهمة وإن ألم فؤادك الذى يفيض بالاحساس يافتحية! نعم واهمة وإن ألم فؤادك الذى يفيض بالاحساس يافتحية!

ولكنهاكلمات منقولة من الروايات التي يتراسل فيها المحبون ، على أن الرسائل التي تكتب في القصص على هذا النحو لاتمثل أفئدة الأوانس ، لأن كتابها رجال يتمثلون عواطف النساء! فهم مقلدون وحاكون! وإنه لمن المخجل أن يملا عالم الأدب بتقليد التقليد! فأنت تمثلت عواطف رجل كان تمثل عواطف امرأة! وجدير بخطاب هو تمثيل التمثيل أن ينال من قلب القارىء ما ينال الحديث المعاد.

لم أكد أقرأ خطابك الأول حتى بعثت اليك بزجاجة من العطر كتب عليها تاجرها الخاص (احذروا من التقليد) وكنت رجوت أن لايفوتك النظر في هذه النصيحة الثمينة! ولكن خاب الرجاء ، وتوالت رسائلك على هذا النمط الذي أشفق على أصحابه أن يموتوا وهم أحياء ، وإنهم لميتون!

ستقولين عاشق لايحسن الخطاب ، وإنى لسكذلك فقلها يظرف الشيوخ ، ولكنك ستعلين الآن أبى لم أطع غير داعى الاخلاص . ألا تربن يافتحية أبى كثيرا ماأتحين الفرص لاحدثك وأنت غافلة ، وأنظر اليك من حيث لاتشعرين ، طمعاً فى أن أظفر منك بلفتة لم يشنها التصنع ، أو خطرة لم يفسدها التقليد ? أتحسبين أنه لو أقبلت على فتاة مل العين والقلب كان فى مقدور الجمال أن يزحزح هواك من قلبي حتى تحل منه مكانا كان قبلك غير مأهول ؟ وهل ترين أن ذلك لوصح على سبيل الفرض والتقدير - كنت أقدر على التفوه بكلمة الاخلاص والفناء فى الحبيب ، وإذا كان محالا أن

أفتح ذراعى لفتاة غيرك وهى تقبل على وتصدف عن سواى فكيف أطرب من كلمات تقدمها معشوقة إلى عاشق ، من حيث لايصح لفتاك المدله أن يسمع لغير ما يجرى على شفتيك من حديث المركف أعتد بخطاب وضعه رجل على لسان امرأة و فكان غاية فى المسخ والتشويه ?

لم يرقنى من تلك الرسائل إلا مافيها من الأغلاط الاملائية لأنها تمثلك وقد حفظت بعض القطع المختارة فبدا لك أن ترسلى شيئا منها إلى محبك المسكين ، ظنا منكأنه يسكن إلى الكلام الجزل ، ويخلد إلى القول الرصين ، وقد فاتك أن تذكرى أنى حفظت في عهد الحداثة أكثر ما كتب الحريرى ، والخوارزمى ، والبنديع ، ومن اليهم من فحول الأدب وأعلام البيان ، وأنى وإن نسيت أكثر ما حفظت لأأزال أملك من آثارهم ما يغنيني عن النظر في أكثر المخطوطات الجديدة التي تقترب في مبناها من تلك السبائك التي تعزعلي من رامها و تطول . فماكان أغناني إذا عن . . !!

حين الاختيار؛ ولولا أنها منك يافتحية ، لعددتها من سقط المتاع!! لأني لا أطرب للآداب والفنون، إلامن حيث هي وسائل إلى القلوب الصوادف، وقد منحتني قلبك والحمد لله والحب! فماالذي حال بينك وبين إرساله إلى في ثنايا الخطاب ؛ أتذكرين الكلمة البديعة التي وصلتني منك في العام السالف ۽ أنا أذكرها لك الآن لتعلمي أني أعشق الروح قبسل أن أعشق مايصور الروح ، تلك هي قولك في حلوالعتاب (والدى واخد على خاطره من سيادتكم) وكذلك فلتعلمي أن اللغة الفصيحة لاتحلو منك إلابعد أن تتذوق الآداب. وبهذه المناسبة أرجو أن لاتكتى إلى ثانية باللغة الفرنسوية لأنى لم أطمع بعد فى أن أسمع منك رجع الحمائم في أبراج باريس! وكم تمنيت أن تدرك الفتيات المصريات سر اللغة العربية فيسمع منهن المصريون ماكان يسمعه توبة من ليلي الأخيلية، وماكانت تدخل به ولادة على فؤاد ان زيدون

عفا الله عنك يافتحية فقد أخطأت كما يخطى، بعض الناس، وإني لأرجو أن لايكون النهوض فرديا فى مصر على حين أصبح خلقا عاما فى كثير من الامصار والممالك، فان عدت إلى التقليد بعد مبعث الابداع فسيطول اللوم والتأنيب. أما الآن فلك من غفلة الجمهور شفيع، والسلام

اكتوبر سنة ١٩١٨

حديث الحب

كتبت الآنسة الاديبة حياة فهمى كلمة عنوانها (لعن الله الحب) وقد أنحت فيها على الحب والمحبين وقالت في أثنائها عن نفسها: «لست ممن تغلب الحب على قلوبهم» ثم قالت: «الحب عدو لدود للانسان. فيجب أن يبعد عن القلوب ، ويجب أن تعيش القلوب في جو غير جو الحب»

(.... تباعدوا عن الحب)

وقد رأيت أن أجيبها عن كلمتها تلك بهذه الكلمة الصغيرة.قلت: تلوم حياة على العاشقــــينرويدا ورفقا بنا ياحياتى جهلت الغرام فلمت المحـــبهنيئالعينيك في الناعسات أليس كذلك أيها الاستاذ زكي مبارك؟ اليك يساق الحديث، والسلام

(السكرية) (شاعر)

⁽۱) كتبت هذه الرسائل فى أوائل سنة ۱۹۲۲

فى مصر شاعر كبير، وافر الآدب، كثير الحياء، يحدثك وكانه يستفيد منك فيملى عليك مايبهرك من آياته البينات، وما زلت أذكر كلمة صديقى الاستاذ الشيخ سليمان نوار وقد حادث هذا الشاعر الجليل منذ ثمان سنين، إذ قال لى بعد هذه المحادثة: انك لا تدرى أتعده من الشعراء، أم تعده من علماء الادب، فتذكرت إذ ذاك قول القدماء فى الاصمعى: إنه أعلم الشعراء، وأشعر العلماء ولهذا الشاعر طابع خاص فى النسيب، يكاد يتمثل فى قوله:

أحس فى القلب وقداً يارب لاكان حبا وقد اخترت هـذا البيت لقربه من كلتـه فى حوار الآنسة حياة فهمى:

تلوم حياة على العاشقين رويدا ورفقا بنا ياحياتى جهلت الغرام فلمت المحسب هنيئا لعينيك فى الناعسات ولهذا الشاعر المقيم (بالسكرية) فضل الاشادة بكاتب هذه السطور، فقد دعانى الى حساب الآنسة حياة، وهو يعلم كيف عجزت عن حساب الآنسة منيرة ، وإنى بهذا العجز لمختال فخور!!

يرى سيدى الشاعر أن الآنسة حياة جهلت الحب فلامت المحبين ولو قال غير ذلك لأصاب شاكلة الصواب ، لأن المرأة كالسياسي سواء بسواء يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم ، والله أعلم بما يكتبون ، فاذا قال السياسي (لا) فاعلم أنه يريد (نعم) وإذا

قال (نعم) فاعلم أنه يريد (لا) واذا قالت المرأة (لاأحب) فاعلم أنها (تحب) وإذا زعمت انها (كارهة) فاعلم انها(راضية)فان كنت فى ريب من ذلك ياصديق الاديب فانى أذكرك بقولك من قصيدة نشرتها لك فى جريدة الافكار سنة ١٩١٩

عهد السياسة كاذب ته درك ياسجاح

وقد قال (تاسو) الشاعر الايطالى المعروف: إن المرأة تفر وتود أن تلحق وهي فارة ، وتأبي وتود في إبائها أن تسرق ، وتناضل وترغب أن يظفر بها في النضال! فقول الآنسة حياة «لست بمن تغلب الحب على قلوبهم » معناه ان الحب صيرها باكية العين دامية الفؤاد!! وقولها (الحب عدو لدود للائسان ، فيجب أن يبعد عن القلوب) معناه: الحب مادة الحياة ، فيجب أن تزود به القلوب وقولها تباعدواءن الحب معناه: أقبلواعلى الحب ، بأشماعكم ، وابصاركم وقلوبكم أيها الشباب!

هذا یاصدیقی ماتریده الآنسة حیاة فهمی . فهی حین تقول « لعن الله الحب » انما ترید« حیا الله الحب » !

ولايفوتني قبل ختام هذه الكلمة أن أوجه للانسة حياة هذا السؤال: انت تأمر يننا بأن لانحب (سمعاً وطاعة!) ولو اني سمعت هذه النصيحة قبل خمسة عشر عاما لنجوت من الحب، ولاسترحت الآن من تسطير مدامع العشاق، ولكني يامولاتي لسوء الحظ قد أحببت، وقد ضربت بمحبتي الأمثال، وأريد أن أسلم من الحب

على يدك الطاهرة ، جعل الله فى يمناك الشفاء ، من كل داء ، فهل لك أن تصفى لى طريق الخلاص من هذا الضلال القديم ، ومن أسماء الحب الضلال ؟ ؟

أنا في انتظار الجواب!

ملحوظه _ أرجو أن تحترس الآنسة حياة ، وهي تكتب انواع العقاقير مرن أن تنهاني عن التطلع إلى العيون والخدود والثغور والنحور والنهود ، فانه لاسبيل إلى مثل هذا المتاب! وإنما أريد أن أسلو وأنا أعبث بأفنان الجمال ، كما يرد الشارب الكائس وهي تنوهج بين أنامل الساقي الجميل!!

__ Y ___

رغب الأديب الكبير النابه والكاتب الفنان اللبق الأستاذ زكى مبارك في كلمته الى السكاتبة الأديبة الآنسة «حياة» أن تصف له دواء للسلوة عن الحب. فقد اعتزم الأبلال منه فيها يقول بعد أن مست فيه العيون و توزعت لبه الغيد . بيد أنه اشترط عليها فيها استوصفها إياه من الوصفات والعقاقير الاتحميه بواعث الشوق ولا تحجر عليه أسباب الهوى ودواعى الشجن فقال «أرجوأن تحترس الآنسة حياة وهى تكتب أنواع العقاقير من أن تنهانى عن التطلع الى العيون والخدود والثغور والنحور والنهود: فانه التطلع الى مثل هذا المتاب . وانما أريد أن اسلو وأنا أعبث بأفنان السبيل الى مثل هذا المتاب . وانما أريد أن اسلو وأنا أعبث بأفنان

الجمال ؛ كما يردالشارب الكائس وهي تتوهج بين أنامل الساقي الجميل» فكان كمن يتقى الداء بالداء ويستكف النار بالحلفاء . وأكبر الظن أن تلك الوصفات وهذه العقاقير لاتصاب في «صيدلية» آنسة خفرة حيية مثل الآنسة حياة !

من أجل ذلك نتشهى على صديقنا النبيل أن يتقبل منا أن نستطب لدائه عنها ، و نصف له الدواء ، نحن لا هى . أجل إنه لعزيز علينا أن يرمى ذلك الجفن الغضيض بالاطراق ، ويندى ذلك الجبين الوضاح بالحفر ويضرج ذلك الخسد بالحياء ، فليأذن لى في أن أنشده قولى

تناهب لبـك سود العيو نوقسمت فى كل نهد ونحر دواؤك عند مراض اللحا ظولايبطل السحر الابسحر

ذلك دواؤك الذى يطيب لك ويقر بعينك تناوله. ولاندعو لك الله بالشفاء ، من ذلك الداء ، وإن أبيت إلا جفوة للحب ، وعربدة على من تحب ، فطالما سمعناك تنشد مثل قول الشاعر:

أعز الله أنصــار العيون وخـلد ملك هاتيك الجفون ودام لها على ضعفى اقتدار وإنهى أفسدت عقلى ودينى وبعد فهنيئالك تلك السلوة . وندعو الله لصاحبتك سالبة لبك بل ندعو عليك لالك بمثل ماقلته أنا لشبيهتها آنفا من كلمة :

وشفىمنجراح جفنيك مرضى. حسن القاياتي لا شفى الله منك جفنا مريضا آمين آمين . والسلام عليك

كيف عرفت فقيد اللغة والادب الشيخ سيد المرصفي

كلمسة رثاء _ كيف رأيت الشيخ المرصفي لاول مرة _ كيف كان يحاور الطلبة _ فضله على كاتب هذه الرسالة _ كيف نشأ وكيف تعلم _ تفرده بالتعمق فى فهم اللغة والادب _ رأيه فى قدم العالم _ كيف ثارت فى درسه مسألة القبر النبوى _ حقده على مشايخ الازهر _ ايمانه بجلال القرآن واحترامه للرسول _ رأيه فى محمد هلال _ موقفه فى مسألة الشيخ على عبد الرازق _ كيف ثار عليه الدكتور طه حسين _ اشتراكه فى الثورة العرابية ورأيه فى تضامن المصريين _ حبه للمال وسخريته من السخاء _ رأيه فى الحجاج _ كيف أقذى بصره تحت ضوء المصاح

باریس فی ۷ مارس سنة ۱۹۳۱

كنا فى ساعة أنس ، وكان الرفاق يتحدثون فى صفاء ، فيلقون المكلام على عواهنه ذات اليمين وذات الشهال ، وجرى فى المجلس تدريس الادب فى المعاهد المصرية ، فانطلق المحدثون يسلقون مدرسى الادب بألسنة حداد . فقلت : كيف غاب عنكم أيها الرفاق ان تذكروا دروس الشيخ المرصفى فى الازهر الشريف ، فقال منهم : أتريد الشيخ سيد المرصفى الذى مات منذ أسابيع ، وكيف ، لعله مرصفى آخر أيها الرفيق !

ـ المرصفى الذى نعته جريدة الاهرام و جريدة الشورى هو مؤلف أسرار الحماسة وشرح الكامل ، فهل هو صاحبك الذى تريد مم كانت لحظة دارت فيها الأرض ، ومادت السماء ، وانطلق الرفاق فى حديثهم لايلوون على شىء وظللت فى حزن صامت عميق هو أشجى وأوجع من البكاء والنحيب

أيتها النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا مات الشيخ المرصفى دون أن أبلل أكفانه بدموعى، ودون أن أحمل نعشه إلى مقره الاخبر

فيدا أيها الرجل الذي عرفت بفضله أسرار اللغمة العربية واستطعت بفضله أن أرفع رأسي بين أساتذة الأدب وحملة الأقلام أيها الرجل ، أنا مدين لك بكل شيء في حياتي اللغوية والأدبية ، ولا يزاحمك في قلبي إلا إنسان واحد هو فقيد الآدب والبيان الشيخ محمد المهدى الذي خلانا وراح مبكيا عليه منذ سنين

لست وحدى تليذك أيها الشيخ الجليل؛ فهناك مئات انتفعوا بعلمك وأدبك، ولكننى الرجل الوحيد الذى بكى لموتك فى حرارة دونها بكاء الأطفال، وكاد نعيك يقض مضجعه فى هدآت الليل وينسيه معاني الحياة فى مدينة الحياة

فى سنة ١٩١٣ رأيت فى الازهر رجلا نحيل الجسم ، غائر العينين ، لاتفصح سيماه عن شىء ، وحوله عشرة من الطلاب ، وهو ينشد بصوت شجى حنون :

حمامة بطن الواديين ترنمى سقاكمن الغر الغوادى مطيرها أبينى لنا لازال ريشك ناعما ولازلت فى خضراء جار نميرها

فجلست أستمع لانشاده ، وما هي إلا لحظة حتى تبينت أن الذي يحرم من دروس ذلك الرجل لا يخرج من الازهر إلابصفقة المغبون . ثم أخذت أو اظب على تلك الدروس في حماسة و إعجاب وكانت عادة الرجل أن يلتى الاسئلة على الطلبة في تجاهل العارف ، ثم يتركم يستنبطون الجواب ، وبعد يومين من اتصالى بدرسه جاءت كلمة ابن عباس (ماعصى الله بشعر أكثر مماعصى بشعر عمر بن أبي ربيعة) فقال الشيخ رحمه الله : أهذه مثلبة أم منقبة ، فأجاب أكثر الطلاب بأنها مثلبة ، وأجبت وحدى بأنها منقبة . فقال : وكيف ؟ فقلت يريد ابن عباس أن شعر ابن أبي ربيعة يفعل بالقلوب ما يفعل فقلل الشيخ الكراب أنها مثلبة ، وأجبت وحدى بأنها منقبة . فقال القلوب ما يفعل الشاراب فينقلها من الهدى إلى الضلال !

فقال الشيخ رحمه الله فى حماسة شديدة (إيه ياعروس الآدب!). وكانت أول كلمة حببت إلى قلى دراسة الآداب.

كان الشيخ خافت الصوت ، فكنت أبكر إلى درسه لأقرب

منه وكنت أكتبكل ماينطق به ، حتى جمعت من درسه ثلاثين كراساهى اليوم أنفس ماأملك من ذكريات الازهر الشريف . وكان الشيخ تعود أن يرانى أمامه ، فجئت يوما متأخرا ، ورفض الطلبة أن يفسحوا لى المجال ، فقال الشيخ : (أين زكى) فأجبت من بعد : هأنذا يامولاى ! فقال الشيخ رحمه الله : (وسعوا له وسعوا له لعله ينفع) !

فان كان من بين آلاف القراء قارى، واحداستطاب ما أكتب ولو مرة واحدة فليذكر أن الفضل فى ذلك يرجع إلى تشجيع الشيخ سيد المرصفى طيب الله ثراه وإنى لأذكر أنه كان يلقى درسا فى مسجد السلطان برقوق ، ثم حضر الشيخ على الزنكلونى حفظه الله فقال الشيخ: إنه ليحزننى ياشيخ على أن تظل مشيخة الأزهر غافلة عن تشجيع أبنائها ، وإنى لاخشى أن يضيع منا زكى مبارك كما ضاع منا طه حسين!

هده أشياء لاتقال ، ولكن لها دلالتها على رفق ذلك الرجل كان ـ بتلامذته ، وعطفه عليهم ، وتشجيعه إياهم ، فليس ذكرها من الزهو في شيء ، وقد يكون فيها تذكرة لبعض الاساتذة الذين يشيحون بوجوههم عن تلامذتهم ولا يعرفون أن التلميذ ينتظر من أستاذه ما ينتظر الابن من أبيه ، وأن كلمة واحدة قد تنقل الطالب من حال إلى حال : إن خيرا فخير ، وإن شرافشر

ثم ضاعف الشيخ رحمـه الله من حرصه على نفعي ، فكنت

أحضر جميع دروسه وأصاحبه فى الـطريق ، وأمضى إلى بيته فاطلع على مالديه من مكنون الذخائر الادبية واللغوية وأنشده شعرىفيقومه ويصلح منه فى رفق كثير .

وجاءت أيام شغلت فيها عنه ، فكتب إلى فى سنة ١٩٢٨ يقول «لقد شغلتك الشواغل كما شغلت ولدنا الدكتور طه حسين فماعدت أراه ولاأراك » فمضيت اليه أزوره فوجدته قعيد بيته وقد أضناه المرض وهو بالرغم من قسوة الهرم ماض فى تصحيح شرح الحامل فسألنى رحمه الله عماشغلنى عنه ، فاعتذر ت بدروسى فى الجامعة المصرية فقال : كم درسا تلقى فى الاسبوع ؛ فاجبت : عشرة! فقال : أنتم إذا فعلة لا أساتذة! ولماذا إذن تقولون جامعة و تشغلون بكم الناس! وتلك كانت آخر مرة رأيت فيها ذلك الاستاذ الجليل

** ** **

ولكن كيف نشأ الشيخ سيد المرصفى وكيف تعلم ؟ وكيف وصل إلى ذلك المركز الخطير ؟

المدهش حقا هو أن رى ذلك الرجل يصل إلى تلك القمة العالية فى فهم اللغة والأدب بدون أستاذ . وقد يقال : إن صيت الشيخ حسين المرصفى بلديه هو الذى أوحى اليه فكرة التعمق فى فى الدراسات اللغوية . ولكن الشيخ حسين المرصفى من طراز آخر ، وليس بين الرجلين صلة ظاهرة من الناحية العقلية . والذى

يقرأ كتاب الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفى لايرى فيه إلا بحموعة من معارف المتقدمين ، نقل أكثرها بلاتصرف عن كتاب الصناعتين

يضاف إلى ذلك أن الشيخ سيد نشأ فقيرا معدما ، وكان الازهر حين اتصل به لا يعرف ما اللغة ، ولا يدرى ماالادب ، وكان المتأدبون يعيشون بين أهله غرباء

والشيخ سيد حين دخل الأزهر عاش أزهريا صميما لأول. عهده ، فكان يحفظ المتون ، ويراجع الشروح والحواشى والتقريرات ، وكان يقع له أن يحدثنا فى درسه عن الساعات الطويلة التى كان يقضيها فى حضرة الشيخ الشربينى ، وبلغ به الأمر مرة أن لعن علماء الازهر أجمعين فى إحدى المناسبات ، فتأفف بعض الطلاب ، فقال الشيخ:

« أنا مالى ، أنا أفكر فيكم ، أنا خلصت ، أنا خلصت »

وكنت فى تلك اللحظة أتامل وجـه الشيخ وأرقب تغير أساريره، فرأيته يقول فى صوتخافت وقد واجهصفحات الأمالى « أنا خلصت! ولكن كيف ؟ بعد ماضيعت شبابي فيما لا يفيد من علوم هؤلاء الناس! »

فليت شعرى كيف استطاع الشيخ سيد أن يخلص من الدراسات الآزهرية ، ويفرغ لدراسة اللغة والآدب ، بحيث أمكنه أن يكون نسيج وحده في هذا الباب ?

وهنا لانجد بدا من أن نصارح القراء بأن الشيخ سيد المرصفى عاش وحيد زمانه فى مصر والشرق نحو ثلاثين عاما كان هو الحجة البالغة فى فهم اللغة والأدب والقرآن، وكان لايستطيع إنسان مهما كابر أن يزعم أنه يقارب الشيخ المرصفى فى فهم النصوص القديمة، وحسب القراء أن يذكروا أنه هو الرجل الفذ الذى تفرد بدرس الأراجين، ونسخها بخطه وشرحها شرحا وافيا لازيادة بعده لمستزيد ، فى عصر قل فيه من يستطيع أن يواجه رقبة أوالعجاج

وهذا الذي أقوله لا مبالغة فيه ، وهو رأى المنصفين من الذين تلقوا عن الشيخ المرصني أوصاحبوه ، وفي ذلك ما يضاعف الحيرة لمن يريد أن يعرف كيف انقطع ذلك الرجل لدراسة اللغة والأدب في عهد كان الانقطاع فيه إلى الأدب من أمارات الفلاكة والجنون وهل يستطيع القراء أن يدلونا كيف كان يمكن رجلا أزهريا فقيراً معدماً أن يصل بجهده إلى مقارعة الكسائي وسيبويه وابن الأعرابي والزمخشري في وكيف أمكنه أن يتفرد بتلك القوة نحو ثلاثين عاماً ؟

لقد فكرت كثيرا فىالظروف التىكونت الشيخ سيد المرصفى ثم انتهيت إلى أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء كان الشيخ المرصني غريبا بين الأزهريين لا يحب أحداً ولا يحبه أحداً ولا يحبه أحداً ولا يحبه أحداً ولا يحبه أحد، وقدمرت أيام كان يتقرب فيها إلى ربه بلعن علماء الأزهر ولذلك أسباب نبدى بعضها في هذا الحديث:

جرت فی درسه مرة عبارة : (العالم قدیم) فقال : إی و الله ! العالم قدیم

وهنا نقرر أن الشيخ المرصني كان له إيمان خاص ، وكان لا يتورع أن يذكر أن أكثر الناس على ضلال ، فلم يكدالازهريون يتسامعون بأنه يقول بقدم العالم وأنه يعتقد غير ما يعتقدون حتى انطلقت ألسننهم بذمه وثلبه ورميه بالكفر والفسوق.

وقد استطاع الأزهريون مرة أن يحملوا الشيخ حسونة النواوى على تعطيل درسه إلى أن أشار الشيخ محمد عبده باعادته ، وهناك حكاية مستفيضة لا بأس من ذكرها في هذا المقام ؛ فقد تحدثوا أنه مرت في درس الشيخ المرصني عبارة جاء فيها أن الحجاج قال عمن يطوفون بالقبر النبوى « إنما يطوفون حول جيفة » وكان الشيخ طه حسين يومذاك يواظب على دروس الشيخ المرصني ، وكان فيما زعموا يتشهى الالحاد والخروج على الدين ، فأخذ يقول : كلام الحجاج يتشهى الالحاد والخروج على الدين ، فأخذ يقول : كلام الحجاج صحيح ، وصحيح جدا ، ولم لا يكون صحيحاً وكل جسم ميت أو سيموت ، وكل ميت جيفة أو سيمير جيفة ، وجسم النبي ككل

الاجسام، وكل الأجسام تبلى فجسم النبى يبلى ، وكل بالجيفة فجسم النبى جيفة الخ ، فقامت مناوشة عنيفة بين الطلبة وبين الشيخ طه حسين ، ووصل الصدى إلى الشيخ حسونة فأمر بتعطيل درس. الشيخ المرصنى ، وكانت أول مرة اتهم فيها الدكتور طه بالمروق وأخذ الأزهريون ينسبون مروقه إلى الشيخ المرصنى ، في حين. أن الشيخ وتلميذه لم يقصدا الاساءة إلى الرسول .

وهذه القالة السيئة التى دارت حول الشيخ المرصنى جعلته يحتقر مشايخ الأزهر ويحقد عليهم ، ولايذكن أحدا منهم بخير حتى الأموات منهم . وأذكر أن المرحوم الشيخ مصطفى القاياتى كان يلتى دروسا فى الأدب والانشاء ، وكان الطلبة يقبلون عليه أيما إقبال وكنت من المعجبين بالطريقة الخطابية التى كانت تصبغ بها دروسه فسألت الشيخ المرصفى مرة عن رأيه فيه فأخذ يتجاهل السؤال فألحجت عليه ، فلم يكن منه إلا أن قال : وأين الشيخ مصطفى من أبيه و لقد كان أبوه ملكا . . وبهذا فر من الجواب!

ولكن هل معنى هذا أن الشيخ المرصفى كان رقيق الدين ؟ أستطيع أن أؤكد أن الشيخ المرصفى كان من أقرب الناس إلى ربه و إن لم يكن من أحرصهم على التمسك بالحروف ، فقد كان ذلك الرجل دقيق الاحساس أمام القرآن المجيد ، ولم أجد فيمن عرفت من كان يفهم القرآن كما يفهمه غير المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش. وكان جمال القرآن يحمله أحيانا على الذهول ، وكانت له لحظات

يقضيها أسير الخشوع لروعة القرآن الشريف، وكان يسمى النبى عليه السلام «سيدنا رسول الله » وكانت كلمة «سيدنا » حية في نفسه حياة قوية جدا لا يدركها إلا المؤمنون الفانون في الله والرسول

* * *

أشرت في صدر الكلام إلى أن هناك مئات انتفعوا بأدب الشيخ المرصفي، ولتحديد ذلك أذكر أن أدبه وعلمه وصلا إلى الناسءن طريق تلاميذه ، أما هو فلم يتتلمذ له شخصيا إلاعدد قليل ، ولذلك أسباب: منها انه كان ضعيف الصوت فلم يكن يستمع اليه في الازهر أكثر من عشرة طلاب ، ومنها أنه كان قاسيا عنيفا في معاملة الطلاب الذين حرموا سلامة الذوق واشتعال الذكاء، وكانت أصغر قذيفة يلقى بها فى وجه الطالب المتنطع عبارة : « نعم ، يا ابن. خروف!»وكان من العسير عليه أن يصبر على الطالب المتوسط الادر اك وكذلك كان يطرد بعض الطلاب في كثير من الأحيان، ومنها أنه كان يحبس الطلبة في درسه نحو ثلاث ساعات ، وأين من يصبر على ذلك في زمن عرف أهله بالسآمة والملال. لاسيما إذا لاحظناأنه كان يواجه مشاكل دقيقة من لغوية ونحوية وصرفيـة في عناية لا يصبر على لأو أنها إلا الأقلون

وأظهر الاسباب فى انصراف الناس عن درسه يرجع إلى أنه كان يفسد الطلبة على مشايخهم إفسادا لا صلاح بعده. فقد كان سىء الظن جدا بمدرسى الأزهر، وكان يراهم جميعا كسالى أدعياء، وكان فوق هذا يراهم فى الايمان من العوام المقلدين. ولهذا كان لا يتعلق به إلا الطلاب الذين يتأهبون للثورة على الازهر وتقاليده، حتى ليندر أن يوجد بين الثائرين على التعاليم الازهرية شاب لم يصله بالشيخ المرصفى سبب قريب أو بعيد

ولنقيد هنا أن تلامذة الشيخ المرصفى لم يقصروا على الأزهر وحده ، فقد كان يعطى كثيرا من الدروس الخصوصية لعشاق اللغة والأدب من غير الأزهريين وأظهر تلامذته الأجانب عن الأزهر الكاتب المعروف محمد إبراهيم هلال

كان محمد هلال بك غنيا ، وكان كريما ، وكان فيما يظهر خفيف الروح عددب الحديث فتعلق به الشيخ المرصفى تعلقا شديدا ، وظل يتغنى به طول حياته ، ولا أذكر أنه سألنى عنه إلا وعينه مغرورقة بالدمع .

ومن موجبات الأسى أن محمد هلال بك اضطر فى الأعوام الاخيرة أن يتكسب من قلمه المرهف البليغ ، فكانت أخبار ذلك تقع على الشيخ المرصفي وقع الصاعقة ويقول: لعا لك أيه الجواد المتلاف! كان الشيخ المرصفي شاعرا ، ولكنه لم يقل شيئا جيدا إلا فى محمد هلال بك ، وكان يرى أن الشعر لا يطيب فى إنسان سواه . .

وتلك إشارات نثبتها للادب والتاريخ

* *

ومن تلامذة الشيخ المرصفي على عبد الرازق، وطه حسين وقدكان هذان الرجلان يمجدانه كل التمجيد إلى أن جاءت حكاية كتاب الاسلام وأصول الحكم، فنفضا أيديهما من و داده آسفين وتفصيل القصة أن الشيخ المرصفي كـان عضوا في هيئة كبار العلماء التي قضت بحرمان الاستاذ على عبد الرازق من لقب العالمية وفصله من منصب القضاء. وقدكان حكم الهيئة بالاجماع ، وكان ينتظر من الشيخ المرصفي أن يدافع عن تلميذه ولكنه لم يفعل وكان هذا الموقف سببا كافيالان يبسط الدكتور طه لسانه في أستاذه القديم ، فكان يقول بدون تورع : ماذاتنتظرون منرجل كان يتقاضى سبعين قرشا فأصبح يتقاضى أربعين جنيها! يريد أن الشيخ المرصفي جبن عن نصرة تلميذه خوفا من الفقر وتعلقا بالثراء والواقع أن الظروف كانت سيئة جـدا ولم يستطع الشيـخ أبو الفضل الجيزاوي نفسه أن يدافع عن الشيخ على ، مع أنه كان من أكثر الناس احتراما لأسرة عبد الرازق ، والدكـتور طه نفسه لم يدخل الميدان مدافعا عن الشيخ على ، ولم يكتب في مناصر ته إلا مقالة واحدة لم يذيلها باسمه الصريح ، ولهذا معناه عند من يعقلون!

يضاف إلى ذلك أن الشيخ المرصني كان قد أسن جداً وفقد نشاطه ، وانضوى طائعاً بحكم السنين إلى صفوف المحافظين ، فسلم يكن ينتظر منه أن يناصر رجلا وصفوه بالكيد للدين والخروج. على التقاليد

وقد عاتبت الشيخ المرصني هـد ذلك فقال : الشيخ على رجل. فاضل ؛ ولـكن قلمه أحمق

فيادكتور طه ، من لك بأخيك كله ، لعل له عذرا و أنت تلوم!

** ** **

اشترك الشيخ المرصني في الثورة العرابية ، ثم اعتقل مدة قصيرة فلم يسأل عنه احد ولم يفكر فيه صديق . فلسا خرج من المعتقب وضع لنفسه خطة سار عليها طول حياته ، وهي سوء الظن بتضامن المصريين ، وقد بلغ به الأمر أن يرفض الاشتراك في جمعية أزهرية تكونت سنة ه ١ ٩ ١ للدفاع عن الدين ، وحجته في ذلك كانت أن العلماء كسائر المصريين لا تصح الثقة فيهم ، ولا يحسن الركون الجماعات المصرية أعلى من أن يصدق فيها هذا الرأى الفظيع . . وكذلك كان المصرية أعلى من أن يصدق فيها هذا الرأى الفظيع . . وكذلك كان رأى الشيخ المرصني سيئا في الهيئات الاسلامية جميعاً ، فلم يكن يفكر في شرق ولا غرب ، ولا تتعلق نفسه بشيء غير التدريس والتأليف في شرق ولا غرب ، ولا تتعلق نفسه بشيء غير التدريس والتأليف

وقف رجل على باب بيت وقال : هل من لبن يباع ؟ فقالت ربة البيت : إنك يا هذا لئيم ، أو حديث عهد بقوم لئام ! هل يبيع اللبن كريم ، أو يمنعه إلا لئيم ؟

فقال الشيخ: يا سبحان الله! أنا لا أفهم هذه الأشياء

وكان إذا سلم عليه أحد الطلبة فرأى يده ناعمة لينة قال له: مالك كده يدك زى يد الأولياء!

ثم ينطلق فيعجب كيف يأكل المتصوفة طعام الناس ثم تقبل أيديهم ، ويقول: هم الذين يجب عليهم أن يقبلوا أيديكم لأنكم تطعمونهم ، فما هذا الحال المقلوب!

وجاء فى درسه مرة قول بعض الأعراب يودع رفيقاله: انصرف راشدا ير حمك الله!

فقال الشيخ: هذا هو الكلام . ولكنكم تجدون علماء الأزهر جميعا يكتفون بعبارة واحدة:

« الله يفتح عليك »

وهى عبارة كانت تجرى على ألسنة المشايخ جميعاً حتى غيرها أستاذنا الشيخ الظواهرى بعبارة

« بارك الله فيك »

فهى الآن فيما أظن كلمة الشيوخ أجمعين أكتعين أبصعين! وكان الشيخ رحمه الله قد لق الأمرين من أصحاب المسكاتب فقد كانوا يأخذون مؤلفاته تم لايفكرون فى الحساب فقرران يبيعها بنفسه ، وهى خطة عوجاء ، وهذا هو السبب فيما أصيبت به مؤلفاته من الخول

كان الشيخ المرصفى بخيلا على نفسه فى كل شيء ، إلا فى اقتناء الكتب ، وقد شكوت إليه مرة أنى لا أملك نسخة من لسان العرب فقال فى انفعال : بع ثيابك واشتر نسخة من اللسان

وكان رحمه الله يرى أن العرب اختصوا من بين الأمم بالفصاحة والبيان ، فكان يقول كلما جاء شاهد جميل : هم العرب يقولون ما يشاءون !

وكان رحمه الله يحترم الجبابرة من القواد أمثال زياد والحجاج وكان يعيب على المشايخ أن يقولوا فى الحجاج: قبحه الله! وقدغضب أحد الطلبة يوما من ثناء الشيخ على الحجاج، فرفع الاستاذ بصره وقال للطالب: لو نشأت فى عصر الحجاج لكنت رجلا!

وقد نظر الشيخ مرة فى الكتاب فزاغت عينه عن السطر المطلوب فقال:

رحمة لك ياعيني ! لقد طال ما أقذيتك تحت ضوء المصباح !

• • •

و بعد فهذه كلمات تمثل شخصية الشيخ المرصفى بعض التمثيل أردنا بها التقريب لا الاستقصاء . فرحمة الله على ذلك الرجل الذي كل نفع من اتصلوا به ، وهداهم سواء السبيل فى فهم نصوص الآداب ومانزعم اننا وفيناه حقه ، وإنما أدينا بعض مايفرض الوفاء والسلام عليه بين الأبرار

فيه قولان!

الح بعض الأدعياء على أبيه أن يدعى العلم !! وزوده بهذه النصيحة : اذا سئلت عن شيء لم تعرف وجه القول فيه فليكن جوابك (فيه قولان) فسمع الوالد نصيحة ولده البار! وكان الناس قديما قلما يعنون بغير المسائل الفقهية والنحوية ، فسأله سائل عن طهارة المكلب فأجاب : فيه قولان، فقالوا صدق لأنها موضع خلاف بين الشافعية والمالكية!! وسأله آخر أيرفع الخبر أو ينصب بعد ما المأجاب فيمه قولان! فقالوا صدق لأن فيهما خلافا بين الحجازيين.

وكان فى المجلس رجل ماكر ظريف فلاحظ أن هذا الرجل بجاهل وأنه ينفذ خطة رسمت له . فسأله : أفى الله شك ، فأجاب المسكين فيه قولان!

فجاء ابنه ـــ رضى الله عنه ! ــ وقال صدق فى جوابه فان فيها ... قولين فى الاعراب! ولكن هيهات أن تغنى المغالطة بعد أن ضحك . الناس من عمامة أبيه!

وهكذا تجرى الحال فى مصر: فكل مشكلة لها وجهان، وكل أمر فيه قولان، ولا يعلم إلا الله متى يعرف المصريون كيف تحدد نقط الخلاف.

الادب الجدمد

أكنت تحسبنا في حاجة إلى أن نبني دارا جديدة للبرلمان لو أن قصر « اللابيرانت » موجود ? إننا لو فعلنا ذلك لكنا من المسرفين ... وهل ترى من الحزم أن نبني قناطر أخرى بمحاذاة القناطر الخيرية وهي ماهي في متانة البناء (١) ؟ وهل ترى من حسن الادارة أن نحفر مجرى آخر للنيل يساير فرع رشيد أو فرع دمياط على حين لم يشك أحد الظمأ بالقرب من هذين الفرعين ؟ وهل تجد من الرأى أن يبنى مسجد جديد فوق القلعة مع أن مسجد على يسم أضعاف المصلين هناك ؟

⁽١) تغيرت الحال، فقد كتب هذا المقال منذ زمان

الأمر واحد أيها القارى، في عالم المحسوسات وفي عالم المعقولات فما بالنا نبنى ما لا حاجة اليه في الآداب باسم التجديد والابداع وأريد أن أقدم لك هذا الموضوع بشي، من التفصيل: هل تذكر أن النقاد الاقدمين فضلوا جريرا على الفرزدق لان هذا ماتت امرأته «النوار» فلم يبكها إلا بقصيدة جرير في بكاء امرأته:

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار وهذا لايدل عندي على أن الفرزدق أضعف من جرير في الرثاء ولكنه يدل على حبه للقصد و بغضه للاسراف! وإلا فما الحاجة الى أن ينظم في رثاء امر أته قصيدة جديدة وأمامه قصيدة جرير تسعده على البكاء ?

إن عرائس الشعر في عالم المعقولات تشبه الأنهار في عالم المحسوسات ، ف كما لا يجوز أن تحفر نهرا جديدا تتلف في سبيله ماشئت من المباني والمزارع من غير حاجة ماسة ، لا يجوز أن تنشي قصيدة جديدة تسهر من أجلها ليلك من غير سبب معقول . وليس معنى التجديد والابداع أن تزيد أو تنقص ما أجاد فيه من قبلك الكتاب والشعراء ؛ وإنما تكون مبدعا حين تنشيء آثاراً جديدة فيما غفل عنه الاقدمون أوقصر فيه المحدثون . ولاضرب لك الامثال : ألم تشك مرة غدر الصديق ب الم تحاول النيل من أخكان وفاؤه طيب الحياة ، ثم عاد غدره نكد الحياة ، فان كنت وقفت هذا المحدثة في حياتك الوجدانية ؛ فهل تذكر أنك فزعت بعد نية القطيعة المحدثين في حياتك الوجدانية ؛ فهل تذكر أنك فزعت بعد نية القطيعة

إلى الصفح الجميل

كثير منا عالج هذا الموقف العصيب ، ثم هم بأن يحبر عنه رسالة أو ينظم فيه قصيدة ، ولكن ألايكون من العبث أن يفعل ذلك وقد سبقه الشريف الرضى إلى الغاية القصوى في استبقاء الصديق وإليك ماقال الشريف:

وللمصاحب كالرمح زاغت كعوبه تقبلت منه ظــاهرا متبلجا ولو أننى كشفته عن ضميره كعضو رمت فيه الليالي بقادح إذا أمر الطب اللبيب بقطعه صبرت على إيلامه خوف نقصه هى الكف مض تركها بعددائها دع المرء مطويا على ما ذعته إذا العضو لم يؤلمك إلاقطعته

آبى بعد طول الغمز أن يتقوما وأدمج دونى باطنا متجهما أقمت على مابيننا اليوم مأتما ومن حمل العضو الاليم تألما أقول عسى ضنا به ولعلما ومن لاممن لايرعوى كان ألوما وإن قطعت شانت ذراعاو معصما ولاتنشر الداء العضال فتندما على مضض لم تبق لحماو لادما

خبرنى بربك ما الذى ينقص هذهالصورة الشعرية حتى تحاول بناءها من جديد ، وما الذى بقى فى نفسك بعد هذا التفصيل حتى تتورط فى الفضول ؛ إذن فلتكن هذه القطعة أنشودتك حين يبدو لك ما يسوء من صديق قديم

و بعد هذا؛ أتذكر أنك ظمئت إلى بعض الثغور ، وأنك حين. وردت عدت وأنت صديان هائم ، ثم هممت بأن تقول شعراً في

هذا المعنى الجميل ؟

قل الحق فكلنا ظهاء، ولكن هل وجدت أبدع من قول ابن الرومي :

أعانقه والنفس بعد مشوقة الیه وهل بعد العناق تدان وألثم فاه کی تزول حرارتی فیشتد ما ألقی من الهیمان ولم یك مقدار الذی بی من الجوی

ليرويه ماتلثم الشفتان

كائن فؤادى ليس يشنى غليـله سوىأن يرى الروحين يمتزجان

وماذا عسى أن تصنع إذا حاولت بسط هذا المعنى البديع ? إنك لابد مفسده إذا أقدمت على هذه المحاولة ! ويجب أن تعلم أن الثوب حين يلابس الجسم لايجمل به بعد ذلك أن يتسع ولايحسن به أن يضيق ، وكذلك الصورة الشعرية حين تلابس المعنى المراد

وهل تذكر أنك هجرت بعض البيوت غير قال ولاصادف ثم أقبلت على بعض البيوت غير عاشق ولاوامق، وأنك عجبت لترك حبيبك إرضاء لبغيضك، حين أقبلت على بيت عدوك وأوليت بيت حبيبك الصدود ؟ وهل تجد في مثل هذا الموقف أجمل من قول الأحوص:

يابيت عاتكة الذى أتعزل أصبحت أمنحك الصدودوإننى فصددت عنك وماصددت لبغضة

حذر العدى وبه الفؤاد موكل قسما إليك مع الصدود لأميل أخشى مقالة كاشح لايعقل و تجنبی بیت الحبیب أوده أرضی البغیض به حدیث معضل ولئن صددت لانت لولا رقبتی أهوی من اللائی أزور وأدخل

فما الذي فات الشاعر في هذا الموقف حتى تضع له غير هذه الأبيات ، فني البيت الأول خلاصة الحديث وفي الأبيات التالية إيضاح وتفصيل ، ولعلك لاتجد أحكم من قوله :

و تجنبى بيت الحبيب أوده أرضى البغيض به حديث معضل وهل تذكر أن صديقا لج فى عتابك وكنت فى وده من الأوفياء وأنك أردت إقناعه بأن الحياة قصيرة، وأن الحزم كل الحزم فى الانصراف عن العتب واغتنام أوقات الصفاء ?

هذا معنى فطرى يجول فى جميع النفوس، ولكن هل تجد فيه أجمع من قول سعيد بن حميد:

> أقلل عتابك فالبقاء قليل والد لم أبك من زمن ذبمت صروفه إلا ولكل نائبة ألمت مدة ول والمنتمون إلى الاخاء جماعة إن فلئن سبقت لتبكين بحسرة ولي ولتفجعن بمخلص لك وامق حبل ولئن سبقت ـ ولاسبقت ـ ليمضين

والدهر يعدل تارة ويميل إلا بكيت عليه حين يزول ولحكل حال أقبلت تحويل إن حصلوا أفناهم التحصيل وليكثرن على منك عويل حبل الوفاء بحبله موصول حبل الوفاء بحبله موصول

من لا يشاكله لدى خليل وليذهبن بهاء كل مودة وليفقدن جمالهـــا المـــأهول وأراك تكلف بالعتاب وودنا باق عليه من الوفاء دليل ولعل أيام الحياة قصيرة فعلام يكثر عتبنا ويطول ؟! ولعل أيام الحياة وقد سد في وجه صديقه منافذ الفراق ؟ ألم تر إلى الشاعر وقد سد في وجه صديقه منافذ الفراق ؟ ألم تر إليه وقد تحسر على أيام كان يظنها ظوالم وهو الآن يبكيها بالدمع السخين ؟ فما معنى ذلك ؟ أليست هذه دعوة رفيقة إلى اغتنام الصفو العتيد ؟ ولاتنس خوفه من أن يموت أحد الصديقين فتكون قاصمة الظهر ، وغائلة الفؤاد ، وتأمل رفقه في قوله :

ولئن سبقت _ ولاسبقت _ ليمضين

من لا يشاكله لدى خليـل

بربك هل تجد أرفق من هذا الدعاء ? وهل ترك لك الشاعر شيئًا تقوله في هذا الباب ؟ إذاً لاتحاول أن تضع شعرا جديدا في هذا المعنى الذي وفاه سعيد بن حميد حتى لايقبل المزيد!

ولاأشك أيها القارىء فى أنك رزئت مرة برجل أكول و فان لم يكن ذلك ، فاعلم أنه سيكون. وإني مقدم لك قول ابن هانىء الاندلسى فى هذا المخلوق:

یالیت شعری إذا أوما الی فمه کأنها وخبیث الزاد یضرمها تبارك الله! ماأمضی أسنته! أین الاسنة أم أین الصوارم أم کا نما الحمل المشوی فی یده

أحلقه لهوات أم ميادين جهنم قذفت فيها الشياطين كائما كل فك منه طاحون أين الحناجر أمأين السكاكين إلا ذو النون في الماء لما عضه النون

يخفض الرز من قرن إلى قدم وللبلاعيم تطريب وتلحين كانما كل ركن من طبائعه ناروفى كلءضو منه كانون كاتما في الحشا من خمل معدته قرنفل وجواريش وكمون

قوموا بنا فلقد ريعت خواطرنا وجاذبتنا أعنتها البراذين

هذه نماذج من الأدب القديم . وقد قدمت لك أن من العقل أن ننتفع بما للا سلاف من الأدب الممتع الرصين، ومن الأدب ماصار ميراثا للانسانية جمعاء ، فلننتفع به كما هو ولنعفه من التغيير . والتبديل. وإذا شئنا أن يكون لنا أدب جديد فليكن في موضوعات جديدة لم يتناولها الأقدمون ، وإلا أضعنا ماطمحوا اليه من الخلود وأسأنا الانتفاع بما قدموا من جهود!

رفقا بالورق والحبر والمطابع ياحملة الأقلام! لاتكونوا أبواقا للقدما. ، بلكونوا شيئايذكره التاريخ! لاخير في الكاتب إن حرم الصدق والأمانة ، وليس في السارقين صادق أمين! اكتبوا بأنفسكم ولأنفسكم، فان لم تستطيعوا فني الأدب القديم مايروي ظمأ كم لو تعلمون

فبراير سنة ١٩٢١

أحاديث ٠٠٠

فائدة مهمة جدآ

ماكنت أعرف ، ولا كانغيرى من مدرسى الأدب فى مصر يعرف كيف يغلب على الأسهاء العربية فى الأندلس والمغرب وجود مثل زيدون ، وعبدون ، وعيشون ، وخلدون ، ووهبون، وسعدون الخ و كان الظن أن هذه من صيغ جمع المذكر السالم ، ثم غلبت على أسهاء الافراد

ولكن اسمع ماحدثنا به المسيوكولان الأستاذ بمدرسة اللغات الشرقية في باريس:

اللغة الاسبانية تضيف إلى أواخر الاسهاء لفظ (اون) للتعظيم وقد نقل العرب ذلك عن الاسبان حين اتصلوا بهم فى الاندلس فقالوا فى زيد (زيدون) وفى وهب (وهبون) وفى عيش (عيشون) النخ...

وقد جاء فی کلام لسان الدین بن الخطیب عمن اسمه حفص ما معناه : لقد کان مکتفیا باسمه حفص ، فلما أیسر واستغنی تطاول و استکبر و سمی نفسه (حفصون)

ومن أمثال أهل المغرب (إنكان لك عند الكلب حاجة قل له ياسيدى كلبون) أليست هذه حقا فائدة مهمة جدا ؟

وبهذه المناسبة أذكر أن الاستاذ أحمد زكى باشاكان يلق محاضرة منذ نحو خمسة عشر عاما عن عرب الاندلس، فذكر من خصائصهم أن منهم من كان يقول ستين وعشرة فى مكان السبعيين وكان الاستاذ يريد أن يقول إن مرونتهم فى التعبير وصلت بهم إلى مثل ما يعبر اللاتينيون

فلنعرف الآن أن عرب الأندلس لم يقولوا ستين وعشرة فى. مكان السبعين إلاتأثرا باللهجات اللاتينية ، أو تسهيلا للتفاهم مع الاسبان المستعربين

صك أم شيك ؟

كانت الجمعية المصرية في باريس تعيد النظر في لا تحتها وكنت حاضر او معى الاستاذكولان فكان الأعضاء يسألوني أن أحول بعض الكلمات الأعجمية إلى كلمات عربية ، فلما جاءت كلمة «أرشيف» رأيت أن أحولها إلى «سجل» وهي كلمة وردت في القرآن (يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب) بغض النظر عن احتمال أن تكون في الاصل دخيلة على اللغة العربية

ثم جاءت كلمة (شيك) فرأيتأن يوضع مكانها كلمة (تحويل) وهى لفظة مستعملة فى إدارة البريد لنفس المعنى الذى تؤديه كلمة (شيك)

ولكن المسيوكولان أسر إلى بتفضيل كلمة (صك)لانها أصل كلمة

(شيك) فقد نقلها الانجليز أولا عنالفرس فقالوا (تشيك) ثم نقلها الفرنسيون عن الانجليزفقالوا (شيك) (١)

فاذاكانت كلمة (صك)هي الاصل المنقول عنه فلم نتخطاها إلى كلمة شيك؟

ولاعبرة باحتمال أن تكون فى أصلها فارسية ؛ لأنها موجودة فى اللغة العربية منذ أكثر من عشرة قرون ، وفى هذا مايكفى. لعدها من أصول العربي الفصيح

فلنقترح اذاً على بنك مصر إحلال كلمة صك محل كلمة شيك . . . وكلمة بنك هل تغير أيضا و والجواب أن كلمة بنك قد تعربت ، فى حين أن كلمة شيك لاتزال عليها المسحة الاعجمية

الجهاد في سبيل الله

الاستاذكولان يعدمن أو ائل المتعمة ين في فقه اللغة العربية ، وقد سألته كيف أتيح له ـ وهو أعجمى ـ أن يصل إلى هذه الثقافة المتينة في لغة العرب ?! فأجاب بأن السر في ذلك أنه ظفر باساتذة متفوقين فهو أولا تليذ المسيو مرسيه والمسيو ديمومبين ، وهمامن كبار المستشرقين ، وهو ثانياعاش في مصر و تتلذ للشيخ أبو درة

⁽۱) ومعنى هذا أن كامة صك ذهبت إلى أوربا ثمم عادت إلينا وعلى ر أسها برنيطة !

هذا جميل ، ولكن من هو الشيخ أبودرة ؟

هو رجل فاضل من المدرسين بالازهر الشريف وقد اتصل حينا بالجامعة المصرية وجرت على يده القصة الآتية

لما أفرج عن المرحوم سعد باشا وانتقل هو ورفاقه من مالطة إلى باريس قرر طلبة الجامعة أن يرسلوا اليه برقية تهنئة وكان الشيخ على أبودرة أكبر الطلبة سنا وعلما ، فرأوا لذلك أن يطلبوا اليه تحرير اللبرقية ، فكتب صدرها هكذا :

« إلى المجاهد في سبيل الله والوطن سعد باشا زغلول »

فاعترض فريق من الطلبة قائلين: كلمة «المجاهد في سبيل الله تغضب إخواننا الاقباط، لان الجهاد في سبيل الله لايكون الا لاعزاز كلمة الاسلام، وسعد باشا يعمل لاعزار كلمة مصر فقط فمن الواجب إسقاط كلمة «في سبيل الله» والاكتفاء بعبارة «الى المجاهد في سبيل الوطن سعد باشا زغلول»

تلك أيام خلت ، وأظننا فهمنا الآن أن الجهاد فى سبيل مصرهو أيضا جهاد فى سبيل الله ،لانالله لايرضى أن يقنعالمصريون بالضيم والهوان تحتراية الاحتلال

الآنسة مي

وبمناسبة الشيخ على أبو درة أذكر أن الجامعة المصرية لذلك العهد لم يكن فيها من الجنس اللطيف إلا فتاة واحدة هي الآنسة مي وكانت نعمة من الله ساقها الينا في تلك الآيام ، وكناجماعة من المحرومين

لانعرف الجمال إلا اذا قرأنا كتاب تزيين الاسواق أو مصارع العشاق وفى أحد الامسية جاءت الآنسة مى تسأل عن الحجرة التى تلقى فيها دروس الفلسفة العربية ، فتحامت أن تسألنى ، لأنى فيها يظهر كنت «غلباويا» ولأنى كنت نشرت كتابا عن حب عمر بن أبى ربيعة الفاجر الملعون! وكذلك لم تجد الآنسة مى أوقر من الشيخ أبى درة فى لحيته المستديرة وقفطانه الفضفاض ، وكانت هذه المحاورة:

_ الآنسة مي: أين حجرة الفلسفة العربية ياأستاذ ؟

- الشيخ أبو درة: نعم يامولاتى! نعم يامولاتى! نعم يامولاتى ولم يستطع الشيخ أن يتجاوز هذه الجملة. فتقدمت إلى الآنسة مى (فدللتها على السبيل) ثم عدت إلى الاستاذ أبي درة فقات له «فضحتنا ياسيدنا الشيخ! ماهذا الهذيان؟»

وانتظر الشيخ أبو درة لحظة حتى أفاق من إغمائه ثم قال: سبحان الله! أنا يا أستاذ مبارك لا أستطيع مقاومة الجمال! فزلقته ببصرى وأنشدت:

أعلى هـلا إذ كلفت بهـا كنت استعنت بفارغ العقل أرسلت ترجو الغوث من قبلى و المستغاث اليـه فى شغل وقد وصلت هذه الحـكاية إلى مسامع المرحوم إسماعيل بك

رأفت، وكان رجلا غزلا هده مر السنين، فلما لقيني قال: تعال يامبارك أجب على هذا السؤال: ما معنى كلمة مى ?

ففكرت طويلا ولم أهتد إلى الجواب

فقال: می معناها الخر ، وهی کلمة فارسیة ، والفرس یسمون الخارة (می خانة)

فقلت: أشكر لك ياسيدى الأستاذ، ولكن ما مناسبة هذا السؤال ؛ فأجاب: قدرت فقط أنك قد تبحث عن معنى هذا الاسم فأردت أن أعفيك من عناء البحث عن معناه

فيا أيها القراء اعلموا أن (مى) معناها الخر ، وأن الآنسة مى معناها المدموازيل صهباء!!

فقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا فحسبنا الوصف إيضاحا وتبيينا لسنا نسميك إجلالا وتكرمة إذاانفردت وماشوركت في صفة

تصفية حساب

كان الأستاذ لطنى بك السيد مراقب الجامعة المصرية فى عهدها الأول ، وقد أخبرني أحد الثقات أنه تحدث فى إحدى سهراته بأن بعض الطالبات فى الجامعة المصرية شكون إليه مرة أن الطلبة يجذبون شعورهن وقت الدرس ، وأنه لذلك فكر فى إبعاد الطلبة عن الطالبات !

وهذا خطأ يحتاج إلى تصحيح ، فان الجنس اللطيف ما كانت تكثر أزهاره إلا فى دروس المسيو لويس كليمان ، وكان جمهور الطالبات من عناصر أجنبية ، وكان حرصنا شديدا على معاملتهن بالرفق والحنان

وأنا أقسم بالله أنى كنت في غاية الأدب، فان كان في ريب من

ذلك فليعد التجربة من جديد!

ولكن هل يستطيع لطنى بك أن يراجع مثل هذا الحساب ، لقد كان ذلك الرجل ناراً تضطرم فى عهد الشباب ، وهو اليوم كتلة من الرزانة والوقار ، وإنكان يخف أحياناً ، كما تزلزل الجبال!

فيارب باعد بيننا وبين وقار لطفى بك، فقد يكون نزق الشباب أحب اليك من وقار الكهول! الشباب أحب اليك من وقار الكهول! ٢٩ فبرابر سنة ١٩٣١

درس الادب

في الازهر الشريف(١)

نريد أن نعرف لم يحرم طلبة الأزهر من دراسة الآداب العربية ونريد أن نعرف متى تدول دولة المؤلفات السقيمة التى وضعها قوم أقسل عيوبهم أنهم لا يفقهون لغة القرآن المجيد ، ونود لو تفضل القائمون بادارة المعاهد الدينية فدلونا على الغرض الذى رموا اليه حين القوا بالطلاب في بيداء من الحلطوالتعقيد، لنطمئن كما اطمأنوا

⁽١) نشرت في جريدة اللوا. في نوفمبر سنة ١٩٢٢

ولنترحم مثلهم على المؤلفين الأغبياء الذين أفسدوا ماللطلبة من قلوب وعقول !!

لاتنتظر أيها القارى، من كاتب مثلى أن يحدثك عن جهو دالعلما، في نشر الآداب العربية في ذلك البيت العتيق، فانى لا أريد أن أفجعك في آمالك وأحلامك، ولاأريد أن تعلم ماأعلم من أمر أولئك الذين يحسبون أنهم حارسو لغة القرآن وهم يفعلون بها مالا يفعل الأعداء! وماظنك بقوم يخطئهم العد من حملة الشهادة العالمية تمضى السنون والقرون وماتظهر لهم رسالة في اللغة أو مؤلف في البيان!!

وحسبك أن تعرف أن الاحاطة بالآدب أو الفهم فيه ، مما يغض هناك من أقدار الرجال ، فان كنت فى ريب من ذلك فأت بشاهد واحد يدل على أن الخبرة بالآداب العربية كانت مرشحاً للدخول فى هيئة كبار العلماء!!

وهل سمعت يوما أن طالبا أخطأه النجاح لأنه لم يعرف منازل الخطباء في الدولة الأموية ، أو مراتب الشعراء في الدولة العباسية وهل تحدث العلماء في ناديهم بأن فلانا غير كفء لدراسة التفسير أو الحديث ، لانه لم يفقه ذوق العرب الذين تلقوا كلام الله وكلام الرسول ؟ وهل كتبواحد من المفتشين في الأزهر والمعاهد الدينية كلمة واحدة فيها ملاحظة وجيهة عن دروس المطالعة والانشاء به وهل يجرؤ مدرس واحد عن يدرسون للطلبة كتاب العقد الفريد

فيدعى ولوكذبا أنه خبير بما فيه من مظان الخطأ والصواب به وهل نجد من بين الذين تصدوا لبيان مافى كتاب الله من الحرام والحلال من درس الشرائع الوضعية والسماوية لذلك العهدحتى يدرك حكمة التشريع ، وهذا أول واجب على من يدرس قصيدة قيلت فى غرض خاص ، فضلا عن كتاب أخرج الناس من الظلمات إلى النور به وهل تألفت فى الأزهر جمعية أدبية كما تألفت فيه الجماعات للطرق الصوفية من جميع الاشكال والألوان به أليس فى كل أولئك دليل على أن الأدب لانصير له فى ذلك المعهد الذى تحتشد فيه الآلاف المؤلفة من الشباب والكهول به أو ليس فى بعض ماذكرت ما يجعل تنبيه هؤلا، الغافلين فرضا على من يغار على لغة القرآن والحديث ؟

أشراك العقول

لا تجدكتاباً من الكتب الأزهريه قد خلامن الحكم على. الشعر: أحرام هو أم حلال. وهذا خلاف قديم رويت فيه هذه النكتة الطريفة: وهي أن سعيد بن المسيب سمع رجلا يذكر أن إنشاد الشعر ينقض الوضوء فأنشد من فوره:

أنبئت أن فتاة جنّت أخطبها عرقوبهامثل شهر الصوم فى الطول. ثم أقام الصلاة! ويذكر الرواة أن سعيد بن المسيب هذا نقل إليه أن قوماً يكرهون الشعر . فقال : لقد تنسكوا تنسكا أعجمياً لـ ويقرب مر. هذا ما قاله رجل من علماء الدولة العباسية وقد سمع أن الامام مالكا يحرم الغناء فقال: أما والله لو قال مالك ذلك ويدى تناله لأحسنت أدبه! إن رسول الله ماكان يحرم أو يحلل إلا بوحى من الله!

ولا يزال هذا الخلاف موجودا في المالك العربية: فني جريدة العراق التي تصدر في بغداد مقالة نشرت في الشهر الفائت ترد بها على بعض الصحف العراقيه التي أنكرت على جريدة العراق (ذكرها خبر قدوم المغنية المصرية الشهيرة السيدة منيرة المهدية) ومنذ شهور نشرت جريدة الاهرام كلمة لاحدى السيدات (الشريفات) تستنكر فيها ان تكتب السيدات الممثلات (السيدة فلانه!) وتستبعد أن يصبح التمثيل حرفة لواحدة من نساء الأشراف. وكذلك ظل الشعر والغناء ثم التمثيل موضع خلاف.

وقد اضطر الغزالي إلى مدافعة هذه الأذواق السقيمة بقوله (إن تله سرا في مناسبة النغات الموزونة للارواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات مايفرح ومنها مايحزن، ومنها ماينوم، ومنها مايضحك، ومنها مايستخرج من الأعضاء حركات على وزنها) ولعل أمثال هذه الكلمات الصريحة كانت من الاسباب التي حملت الجهلة على رمى الغزالى بالكفر! ويغلب على الظن أن تورط هذا الامام في مذاهب الصوفية الغريبة كان شبه كفارة لما جناه في شبابه من التفكير المعقول!!

الشعر والغناء والتمثيل ـ و لا تنس التصوير الذي حرموه ـ كل أولئك مما يجب على كل مفكر أن يبعد عرب موارده الشهية ليوصف بالوقار والجلال! فيا ويحكم ماذا أنتم صانعون لو شهدتم المعركة القائمة بين الهدى والضلال! إنكم لو رأيتم كيف تتصاول العقول، لسبق إليكم الجنون ـ إن لم تكونوا مجانين ـ ولكنه لالوم على الجبناء الذين جعلوا رأى الجمال مما تنصب لله الموازين!

يوفمبر سنة ١٩٢٠

درس في الادب

قصائد المديح في اللغة العربية

درس في الأدب؟

إنها كلمة ضخمة جدا، كنت أحب أن أتحرج منها، ولكن ما الحيلة وطلاب الأدب يحتاجون إلى هذا الدرس أشد الاحتياج وما كانوا يحتاجون إليه لو أن كتاب الصحف والمجلات لم يوحوا إليهم بغض طائفة من الفنون الأدبية ، وكتاب الصحف يقدمون المصاعب بلا حساب إلى أساتذة المدارس الشانوية والعالية ، فن السهل أن يتندر كاتب بغمز العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة من بد

بين الناس.

ليصبح بغض تلك العلوم شريعة عند الطلاب ، ومن السهل أن يعبث كاتب فيزعم أن الشعر العربي أكثره مديح ، وأن المديح لم ينظم إلا في طلب المال ، لتصبح قصائد المديح كلها لغواً عند طلبة الآداب إن أساتذة اليوم يعانون صعابا كثيرة في توجيه الطلبة إلى الدراسات الجدية ، لأن هؤلاء الطلبة يرون الحياة الادبية تنال بأيسر الجهد ويرون من الكتاب من يذيع صيته مع الجهل المطلق بأصول العربية ، ويرون من الشعراء من يهز كتفيه حين توجه إليه مؤاخذة صرفية أو نحوية أو عروضية ، ثم يمضى مرفوع الرأس مؤاخذة صرفية أو نحوية أو عروضية ، ثم يمضى مرفوع الرأس

لقد آن أن نعرف أن الأساتذة والصحفيين يشتركون فى. تكوين الجيل الجديد، وأن من الحير أن تقترب أوجه النظر فى. فهم الأصول الأدبية ، وإلا فسيقع الطلبة بين تيارين متنافرين أشد التنافر وسيكون لهذه الحيرة آصار خطرة تصبح بعدها عقليات الطلاب موزعة بين القوة والانحلال

وقد يسأل القارى، عن الباعث لهذا الدرس.

وأجيب بأنى كنت أوصى فريقا من الطلبة بالمبادرة إلى اقتناء طائفة من المصنفات أعرف أنها لن تطبع مرة ثانية لأن الناس هنا يغلب عليهم الملل، والكتاب الذى يقع فى أجزاء كثيرة يندر أن يطبع مرتين فى جيل واحد، والمكتبة عند الأديب كالمعمل عند العالم، وطالب الأدب يحتاج إلى تكوين مكتبته رويدا رويدا حتى العالم، وطالب الأدب يحتاج إلى تكوين مكتبته رويدا رويدا حتى

تغنيه بعض الاغناء عن تضييع الوقت فى الاختلاف الى المكتبات العمومية ، فلما جاء اسم (مختارات البارودى) وقف أحد الطلبة وقال: « هذه المجموعة أكثرها مديح »

أيها القراء، إن المديح ديوان العرب فانكنتم فى ريب من ذلك فسأشفيكم من الشك بهذا الحديث.

* * *

لا أنكر أن كثيرا من الشعراء اتخذوا مدح الملوك والأمراء وسيلة من وسائل العيش، ولا أنكر أن كثيراً منهم وصل بذلك إلى أسفل دركات الاسفاف، وأصرح بأن من النقائص النفسية أن يسخر الشعر تسخيرا في سبيل المنافع الزائلة، وأعترف بأن هذه النقيصة تمس طوائف كثيرة من شعراء اللغة العربية، وإن كان من أسباب العزاء أن هذه النقيصة لم يتفرد بعارها شعراء العرب، فقد كان أكثر الشعراء في أوربا يعيشون عالة على الملوك والامراء ولم يعرف منهم باستقلال الشخصية إلا القليل.

ولكنى ـ مع هذا ـ أقول بأن المديح ديوان العرب ، وهو الوثيقة الباقية على ماكان فيهم من كرم الشهائل والحصال ، والمادحون قد يكذبون ولكنهم في كذبهم يصورون ما اصطلح عليه معاصروهم من ألوان المحاسن والعيوب ، فالشاعر الكاذب يقف كذبه عند حقيقة ممدوحه ، ولكنه من الوجمة الاجتماعية صادق كل الصدق

لانه يصور مايتشهي ممدوحه أن يتصف به من كرائم الخلال وهليمكن الارتياب فى تصوير المكارم البدوية التي تمدح مها الشاعر حين قال:

ومستنبح تهوى مساقط رأسه

إلى كل شخص فهو للسمع أصور (١)

يصفقه أنف مرن الريح بارد

ونکباء لیل من جمادی و صر صر (۲)

حبيب إلى كلب الكريم مناخه

بغيض إلى الكوماء والكلب أبضر ٣)

حضأت له ناری فأبصر ضوءها

وما كاد لولا حضاّة النار يبصر (٤)

دعته بغیر اسم هلم إلی القری فآسری یبوعالارضوالنار تزهر فلماأضاءت شخصه قلت مرحبا هـــــلم، وللصالين بالنار أبشروا فجاء ومحمود القرى يستفزه اليها وداعي الليل بالصبح يسفر

تأخرت حتى لم تكدتصطفى القرى

عـلى أهــــله والحق لا يتأخر

⁽١) أصور : من الصور بالتحريك وهو الميل الى الشيء بالوجه والعنق

⁽٢) الانف: من الريح أولها ، والنكباء : كل ريح تهب بين ريحين من الرياح الاربع . والصرصر : الريح القوية .

⁽٣) الكوماء: الناقة العظيمة السنام.

⁽٤) حضاً النار : أوقدها ورقعها

وقمت بنصل السيفوالبرك هاجد

بهازره والموت في السيف ينظر (١)

فأعضضته الطولى سناما وخيرها

بلاء وخير الخــــير مايتخــــير

فأوفضن عنها وهي ترغو حشاشة

بذی نفسها والسیف عریان أحمر (۲)

فباتت رحاب جونة من لحامها

وفوها بما في جوفها يتعرغر (٣)

وقد يمكن الشك في هذه الصورة من حيث انطباقها على ذلك المتمدح ، ولكن لاريب في أنها تمشل النبل في الشمائل البدوية والباحث الموفق الذي يستمد من الأدب شواهد لعلم النفس سيجد فيها صورة صحيحة للاخلاق العربية ، وسيتمثل كيف يهيم الجائع في الليل فيستنبح لترد عليه الكلاب فيعرف أين يقيم الناس ، ثم يمضى حيث يرحب به الكلب الذي ألف الضيافات ، وتنفر منه الجمال التي تعرف حتفها بقدوم الضيف ، وسيتمثل أيضا أريحية ذلك البدوى الذي يرفع النار ليهتدى بها الضالون في البيداء ثم يتصور

⁽۱) البرك بفتح الباء : الابل ، والبهازر جمع بهزرة على وزن قنفذة وهي الناقة العظيمة

⁽٢) أوفضت : تفرقت

⁽٣) الرحاب الجونة : هي هنا القدور السود

تلك الضجة المرحة التي تفيض بها خيام الأعراب الاجواد وهم يستقبلون الضيف

وأنت، يا ابن المدينة ويامادر العصر ، ستقرأ هذا الشعرفتتمثل فيه ألوانا من الاريحية العطرة لم يشتمل عليها إهابك فتعرف حينا وتنكر أحيانا ، وأنت في عرفانك ونكر انك مدين لهذا الشاعر الذي أمتع وجدانك بهذه النفحات العطرات

* *

نترك البادية ، وشعراء البادية ، ثم ننتقل إلى شعراء الحضارة وسنجد عندهم أفانين من القول هي الصور الباقية لما عرفوا من أزمات النفوس والقلوب

هل تعرفون قصيدة أبى تمام فى فتح عمورية ۽

لقد حدثتكم عنها فى المذياع منذ أسابيع ، وفاتنى مع الاسف أن أدلكم على موقف هو نموذج للتشنى ، والتشنى رذيلة خلقية ولكن الباحث يحتاج إلى شواهد للرذائل ، فانها تدرس كما تدرس الفضائل ، ومن لا يعرف الشر لا يعرف الحير ، وبضدها تتميز الأشياء

انظرواکیف یتشنی ذلک الشاعر الفحل وقد تهدمت عموریة: ماربع میة معمورا یطیف به غیلان آبهی رباً من ربعها الخرب ولاالحدود و إن أدمین من خجل آشهی إلی ناظری من خدها الترب

سماجة غنيت منا العيون بها عن كل حسن بدا أومنظر عجب وحسن منقلب تبدو عواقبه جاءت بشاشته عن سوء منقلب

قد تقولون إن من القسوة أن يفرح الرجل لمدينة دكت حصونها ، وهدمت أبر اجها ، وقوضت معالمها ، وصح في أهلها قول ذلك الشاعر الشامت :

لم تطلع الشمس منهم يوم ذاك على

بان بأهل ولم تغرب على عزب

وأجيب بأنى أستقبح من هذا ما تستقبحون ، ولكنى أقرر أن هذه الصورة البشعة ، صورة الشهاتة ، مما يجب تقييده ، والدلالة عليه ، لانها من الصور الانسانية التي يهتم بتحليلهاالعالم والفيلسوف وهذه الصورة بالذات من نماذج القسوة الحربية ، والجيش الذي يهدم مدينة معادية يقف على أطلالها وقفة الفرح والابتهاج

وصاحبنا أبو تمام جاء بصورة بارعة كل البراعة لشهوة الشهاتة والحقد. وما ظنكم بمن يتمثل ربع مية وهو معمور يطيف به المحب فيراه أقل جاذبية من منظر عمورية وهي خراب ، ويتمثل الحدود أدماها الحجل فيراها أقل نضارة من خد عمورية وقد عفره التراب هذا بغى في عالم الآخلاق ، ولكنه نبل حين تذكر البطولة والابطال

تذكروا هـذا، ثم حـدثونا : أنغفل بائية أبى تمام هـذه لأنهـا قصيدة مديح ?

إن الحكمة ، وهي أنفس مايقتني الناس ، وقعت غير مرة في تلك القصيدة ، وهل يمكن في عالم الفكر أن نستغني عن هذين البيتين عداك حر الثغور المستضامة عن بردالثغور وعن سلسالها الحصب أجبته معلنا بالسيف منصلتا ولو أجبت بغير السيف لم تجب وسيقول ناس من خلق الله : لقد ثقل البيت الأول بالجناس فليعرفوا أننانراه غاية في خفة الروح ، وحسب الشاعر أن وفق إلى أن يقول :

« ولو أجبت بغير السيف لم تجب »

* *****

والبحترى الذى ضربت بمدائحه الامثال ، أترون تلك المدائح ما يجب إهماله لأنها من صنوف النملق والرياء ? . لقد تأملت تلك المدائح فوجدت فيها كثيراً من الصور النفسية التي يقف عندها من يهتم بدرس دخائل النفوس ؛ وانظروا هذه الأبيات من داليته في مدح ابن الزيات محمد بن عبد الملك

واستوى الناس فالقريب قريب عنده والبعيد غيير بعيد لايميل الهوى به حين يمضى الرأ ى بين المقلى والمودود وسيدواء لديه أبناء إسما عيل فى حكميه وأبناء هود مستريح الاحشاء من كل ضغن بارد الصدر من غليل الحقود مارايكم فى هذا و أترون سوء المنقلب فى مصاير الناس يقع

إلا بعلة الهوى فى إمضاء الرأى ، والتفرقة بين الأصدقاء والأعداء -حين تنصب الموازين ؟ وهل ترون متعة أفضل وأروح من راحة -الاحشاء من عنف الأضغان ، وبرد الصدور من غليل الأحقاد ؟

إن مثل هذا الشعر لايمر باسماع الممدوحين بدون أن يترك في نفوسهم شوقا الى العدل، وحنينا إلى سلامة الصدر من الغل فهو من نفثات الاصلاح ، ولوكره المتحذلقون

وفى القصيدة نفسها قطعة وصفية ، وانكانت مدحا ، فقدد وصف « الكاتب » فى شخص ابن الزيات وصفا دقيقا يعد نموذجا من نماذج البيان . وإليكم هذه الابيات :

لتفننت في السكتابة حتى عطل الناس فن عبد الحميد في نظام من البلاغة ما شكامر و أنه نظام فريد وبديع كائنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد مشرق في جو انب السمع مايخلقه عوده على المستعيد ما أعيرت منه بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد مستميل سمع الطروب المعنى عن أغانى مخارق وعقيد حجج تخرس الآلد بألفا ظفرادى كالجوهر المعدود ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول ولبيد حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنب ظلمة التعقيد وركبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد

هذه قطعة وصفية وردت في قصيدة مدح ؛ أترون فيها شيئا من الفضول ? وكيف والبيت الأول وحده يفيدنا فائدة عظيمة ، فهو يدلنا على أن الناس في عهد البحترى كانوا يفهمون أن هناك فنا انشائيا اسمه « فن عبدالحميد» وفي ذلك رد على جماعة من المستشرقين كانوا يرون عبد الحميد من الشخصيات الخرافية ، وتبعهم في ذلك أحد أدباء مصر في العهد الحديث . ولكم أن تقولوا إن في بعض هذه القطعة ما يحرى في طريق المدح الفضفاض ، غير أنكم لا تستطيعون أن تنكروا دقة الوصف في هذين البيتين :

حزن مستعمل الكلام اختيارا و تجنبن ظلمهة التعقيد وركبن اللفظ القريب فأدركرن به غاية المراد البعيد ففيهما دستور لنظام الكلام البليغ ، وهما يصلحان للتمثل في أكثر مقامات الافصاح

* *

أما بعد: فهذه اشارات تنفع من يدرس الآدب ليستخلص منه الحقائق النفسية والاجتماعية ، وسنتبعها بأمثالها ان اقتضى المقام ذلك ، ليعلم شباب هذا الجيل أن أسلافهم لم يكونوا عابثين ، وأن من الهزل نفسه ما يكشف عن مواطن هي عند الباحث جد صراح أول نوفهر سنة ١٩٣٤

من عهد الى عهد

كان احمد بن يوسف مصريا ، وانا كذلك مصرى . لقد لقى فى مصر بعض الظلم ، وأكاد ألقى فيهاكل الظلم ، كان يحسن إلى كثير من الناس ، فيفي له من يفى، ويغدر به من يغدر ، وانا فى حدود طاقتي ابذل البر والمعروف ، ثم ألقى من بعض من احسن اليهم اشنع ألوان الجحود . وأتلفت الى اصدقائى الاوفيا. أعدهم فاقول : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، ثم أغمض عيني من لذعة الكمدالوجيع النثر الفنى ج ١ ص ١١٣

فى اليوم الثالث والعشرين من شهر إبريل سنة ١٩٣١ لقينى فى فناء السوربون أحد أساتذة مدرسة اللغات الشرقية فصافحنى وقال: « لقد تلقيت اليوم دعوة لحضور الحفلة التى سيقيمها الأساتذة تكريما لك بعدظهر الاحد المقبل، فأنا أهنئك، لأن فى ذلك دلالة على أن الأساتذة يعتقدون أنك قدمت إليهم كتابا يستحق التمجيد»

وكان ذلك قبل الامتحان بيومين، ففهمت أن نجاحى صار مؤكدا، ثم تلفتت نفسى إلى مغزى التكريم الذى يظفر به رجل فلاح فى أروقة السوربون، ولم يكد خيالى يطوف بهذا المعنى حتى غلبنى الدمع، وقلت: سبحانك ربى! ما أعدلك وما أرحمك! هذا عبدك الذى خرج من مصر طريدا شريدا لايملك إلا دعوات أهله

وزوجته وأطفاله، سيكرمه الآساتذة بأنفسهم تكريما لا يقع إلا فى النادر القليل!

ثم عدت إلى بيتى فتوضأت وصليت صلاة الشكر ، ودعوت الله أن يلهمنى حب الخير ، وأن يقينى شر الزيغ ، وأن يهبنى التوفيق ومضيت إلى منزل المسيوديمومبين أسأله : أصحيح أن الاساتذة سيقيمون لى حفلة تكريم ،

فابتسم الرجل وقال: إذا نجحت في الامتحان! فقلت: كنت أنتظر أن تصلني دءوة!

فقال: لوفعلنا ذلك لكان معناه أنا نعلن اليك نجاحك ، وذلك غير مضمون!

فقلت: نجاحى غير مضمون بعد ذلك الجهاد الطويل؟!
فقال: أحب أن تعلم أنى سأحضر يوم امتحانك ومعى المسدس
فانزعجت وخشيت أن يكون جادا، فان الرجل الفرنسي
لاتؤمن و ثباته و بدواته ، وكنت قد ناقشته في كتابى مناقشة عنيفة!
ولكن الرجل استدرك فقال: هذا هو المسدس! وأخرج
زمرة أوراق أعدها للنضال

عندئذ اطمأننت ، لان هذا الجدل لايخيفنى ، وأستطيع بفضل مافطرت عليه من الهجوم والعنف أن أحطم ألف مسدس من هذا النوع! وهل أخشى المسدس حين يصنع من الاسئلة و الاعتراضات؟ وجاء يوم الامتحان وكان يوما سعيدا ، وكان الاساتذة أبر من

الآباء بنجباء الأبناء ، وكان المسيو ماسينيون يعترض و يجيب ، وناقشنى المسيو ميشو في بحث كنت أعددته عن فيكتور هو جو مناقشة رفيقة وجاء دور المسدس الذى أعده المسيو ديمومبين فوجدت الخطر أهون مماكنت أظن ، وقضيت ثلاث ساعات فى الامتحان حسبتها ثلاث دقائق

وجاء دور التكريم بمعهد الدراسات الاسلامية في السوربون واجتمع فريق من الأساتذة ورجال الأدب والصحافة، وأعدت مائدة الشاى، فحملت السيدة الكريمة حرم المسيو ديمومبين كأس الشاى وابتدأت بي، فاستحييت وتراجعت فقالت وهي تبتسم: لن أبدأ إلا بك ، لأنك المنتصر

وفى مساء ذلك اليوم أقامت الجمعية المصرية فى باريس حفلة تكريم لذلك الانسان الذى احتفل بتكريمه فريق من أساتذة السوربون ، وخطب الخطباء وفيهم المصريون والسوريون والتونسيون ، وأنا فى أثناء ذلك كله أنطوى فى نفسى حياء وخجلا ، لانى ماكنت أطمع فى أكثر من أن يمر الامتحان بسلام!

وعدت إلى مصر ، ولكن بأى قلب ؟

عدت وأنا يائسمن أن أجد من يقول أحسنت ، وكنت أومن بالحكمة التى تقول « ليس إنسان بنبى في وطنه » وماهى إلا أيام حتى رأيت كلمة فى جريدة « أبو الهول » وكانت حينذاك تصدر يومية وفى تلك الكلمة دعوة لتكريم زكى مبارك ، فدهشت وقلت : أفى

الحق أني أجدمن يكرمني في وطني؟ وزادت دهشتي حين علمت أن صاحب هذه الدعوة هو الاستاذ محمد على غريب، وما كنت لقيت. منه قبل ذلك إلا الشر، فبدأت أومن أن قومي أكرم على أنفسهم من أن ينسوا من يوفق إلى عمل مجيد

ونسيت تلك الدعوة حالا ، لأنها وقعت فى ضوضاء الانتخابات الاخيرة ، ومضى عامان ، ثم ظهركتاب (النثر الفنى) بالعربية بعد أن نشر بالفرنسية ، فقابله النقاد بالصمت المطلق ، وخشيت أن يتزعزع إيمانى بكرم قومى ، ولكن هيهات فقد انطلقت الالسنة والأقلام بالمدح والثناء ، و دعا الداعى إلى تكريمى فلباه رجال الادب مسرعين. وكان ذلك الاحتفال الذى لم تشهد القلوب مثله إخلاصا وصفاء ماالذى قدمت لامتى حتى أظفر بمثل ذلك الاعزاز

قدمت إلى أمتى كتابا هو جهد متواضع ، وإن تفضل النقاد فوصفوه بأجمل الصفات ، فما هو السر في هذا التبجيل

كنت أعرف همذا السر ثم نسيته ، أذكر أننى كنت رجلا مخلصا فى خدمة الأدب العربى ، ثم جدت أحداث وخطوب كادت تبدد ذلك الاخلاص ، فجاء كرام قومى لينقذونى من أشراك الشك والارتياب

إن الذين اشتركوا فى تكريمى تعاونوا على إنقاذ رجل كاد يقتله ما توهمه فى زمانه من غدر وعقوق ، فكان صنيعهم صنيع الطبيب الموفق حين يأسو العليل وما رأيت ولا رأى الناس أصفى من تلك الليلة التي اجتمع فيها صفوة رجال الأدب لتكريم مؤلف النشر الفنى ، وكان فى ذلك درس. كنت محتاجا إليه أشد الاحتياج ، كنت أحب أن أجد من يقنعنى بأن أمتى ترعى أبناءها رعاية كريمة ، أحب أن أطمئن إلى أن الاخلاص قوة عظيمة تزلزل الجبال ، كنت أحب أن أو من إيماناصادقا بان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وأخيراً كنت أشتهى أن أعرف أن التأليف باب إلى المجد فى زمن انتهبت فيه الصحافة جهود الرجال أن الخي الحق أن الرجل يحتاج إلى إعجاب المعجبين ليشد من عزمه وينشط ؟

إن نشاطى كان فى عنفوانه بوم كنتأشكوالجحود ، فما الذى جد بعد أن غمرنى قومى بمظاهر الوفاء ؟

أتظنون أن نشاطى سيخمد ? ما أظن ذلك، فقد درست نفسى غير مرة ورأيت حب الأدب وحب الدرس من الميول القوية التى. تسيطر على وجودى و توجهنى إلى البحث والتنقيب

ولكن الذى سيقع بعد هذه الحفاوة القومية هو إصلاح نفسى وكنت عييت عن إصلاحها ، ذلك بأنى كنت أخشى أن يصح ما يتوهمه الناس من أن الجد لاقيمة له فى هذه البلاد، وأن الناجحين فى هذه البلاد هم النفعيون الذين لا يقدمون ولا يحجمون إلا فى سبيل منافعهم الذاتية ، فجاء كرام قومى فأزالوا عن ضميرى هذه الغشاوة وأفهمونى أن العاقبة للخلصين

ولكن هل صفت نفسيكل الصفاء؟

لا أزال أشكمو بعدى من ربى، وكنت قبل ذلك فى فراديس من الايمان الجميل، كنت أقول كلما رأيت ظلم الناس:

«لقد بقى لى ذلك الكنز الذى لا ينفد ولا يفنى ، وذلك المعين الذى لا ينضب ولا يغيض ، يبقى لى الله الذى تلمس يدى وترى عينى آثار رحمته وعدله ، وتكاد تصافحه يمناى ، ولو شئت لمضيت فى ترديد هذه الجملة ، ولكن أين تقع التعابير من حقائق ما فى القلو ب ؟ »

أشتهى أن يعود ذلك الايمان الذى كنت أنعم به فى الأيام الخالية ، حين كنت أومن بأن الناس أصغر وأضعف من أن يملكوا لانفسهم نفعا أو ضرا ، وأن الذى يصرف الأرزاق والحظوظ هو الله رب العالمين

ماأذكر أنى فكرت فى غدى مرة واحدة ، وما أزال كذلك و تلك هى البقية الباقية من إيماني ، ولكن هذا لا يغنينى ، أنا أشتهى أن ينعم الله على بايمان أقوى وأمتع ، أشتهى أن أعرف ربي كماكنت أعرف ، وأكثر مماكنت أعرف ، فمتى أظفر بذلك ؟ كنت أعد أصدقائى ، ثم أصبحت أراهم لا يعدون و فهل أستطيع الوصول إلى ذلك الصديق الأعظم الذى أشتاق الى وداده اعظم الاشتياق ؟

ليس فى الوجودكله مايغنينى عنك، ياسر الاسرار وياروح الأرواح، فاشملنى برحمتك وأغننى عن خلقك ، واجعلنى لديك من المقربين

رباه!

أنا أشتهى أن أومن بك ، فامنحنى الايمان ، واجعلنى فى إيمانى من المخلصين

ع مایو سنة ۱۹۳۶

مكاتب الموظفين

فی شہر رمضان

الصوم فريضة إسلامية يرادبها إعداد النفس لاحتمال مشاق الظمأ والجوع، فهي ليست تعجيزاً للناس، ولاصداً لحريتهم الذاتية ولكنها رياضة روحية يعدبها المرء نفسه لاحتمال مشاق الحرمان إذا جد في الحياة مايوجب ذلك. ومن الواضح أن للحياة ألوانا كثيرة ، ففيها السلم والحرب ، وفيها الغنى والفقر ، وفيها المرض والعافية...والقدرة على ضبط النفس هي أساس الصلاحية للنهوض بأعباء الحياة. والصوم وسيلة من الوسائل الصالحة لكبح جماح الأهواء ، وتهيئة الملكات الانسانية لمقاومة مايعترضها من المشاق كان الصوم فريضة واجبة في الآيام الخالية ، وهو في هذه الآيام أوجب ، فقد كثرت القيود التي صنعها الناس لأنفسهم بما افتنوا من ضروب اللذات الحسية التي يسمونها « الكيوف _ جمع كيف » كالتدخين والقهوة والشاى ، فهذه الكيوف عقال عنيف م -- 10 يد

وهى تصد الرجل عن واجباته فى عنف وقسوة ، وإنى لأعرف من يلقون دروسهم والسيجارة فى أيديهم ، ولست فى هذا أمزح وإنماهى حقيقة ، وأعرف من لايستطيع الشروع فى أى عمل إلا بعد أن يتناول فنجانا من القهوة ، أوكائسا من الشاى ، وهى قيود حسية ونفسية فى وقت واحد ، ولها أثر شديد فى تقييد العزائم والنفوس والصوم يقاوم هذه العادات السيئة ، ويحرر النفس من قيودها ساعات من كل يوم ، والعاقل يحرم نفسه تدينا _ أو تجملا _ من هذه المهلكات . . . والنتيجة أن الصوم ليس سنة قديمة يجب أن تبيد وإنما هو سنة حسنة كانت واجبة يوم كانت الشهوات الحسية بسيطة أما اليوم فهو أوجب لأن الشهوات والكيوف أصبحت فى غاية من التعقيد

أكتب هذا بمناسبة ما أوصى به وزير المالية من منع التدخين. والقهوة فى مكاتب الموظفين أثناء شهر رمضان، وقد اتفق لى أن نقدت هذه العادة السيئة فى كلمة نشرتها بالبلاغ منذسنين، وأعود اليوم فأقول: إن الحكومة تعدل مواعيد الدواوين فى شهر رمضان تعديلا حسنا يعرد به هذا الشهر وهو عبء خفيف. والحكومة لا تفرض على موظفيها أن يصوموا، فإن الصوم سر بين المرء وبين ربه ، ولكنها تمنحهم امتيازات فى المواعيد باسم الصيام. فإن عز على الموظفين أن يحترموا شهر الصوم فمن حق الحكومة أن تعاملهم معاملة مدنية ، فلا ترفع عنهم شيئا من ساعات العمل اليومى ، ولهم معاملة مدنية ، فلا ترفع عنهم شيئا من ساعات العمل اليومى ، ولهم

بعد ذلك أن يعودو آكيف شاءو الله القهوة والتدخين! على أن الأمركله فى هذه المسألة يرجع إلى الذوق. ومراعاة الذوق أول مايعنى به كرام الناس ه ديسمبر سنة ١٩٣٤

ببن العقل والهوى

أثر أنظمة الحكم في حياة الشعوب باريس في ١٥ سبتمبرسنة ١٩٣٣

صديقي . . .

أكتب اليك ، وقد قضيت ساعات في فونتينبلو ، بين القصر والحديقة ، ويهمني قبل المضى في هذا الكتاب أن أذكر كبأ في لا أكتبه لغاية سياسية ، وإنما أمضى على الفطرة ، كما عودت نفسى وعودتك فأعرض وجوه الحياة في حيدة خالصة من شوائب الاغراض ، وأحاول جهد الطاقة أن أطلعك على نواح مختلفة من أثر أنظمة الحكم في حياة الشعوب . فإن رأيت في خلال الحديث ما ينقض مذهبا تحبه أو يؤيد رأيا تميل اليه ، فاحذر أن تظن أني أثير غضبك أو أتملق هواك ، إنما هي رياضة عقلية يجرى بها القلم بلاشطط ولاضوضا ، وقد آن لك أن تعرف أن حياة العقل تعتاج إلى حرية في الكتابة والحديث

كانت زيارتي لفونتينبلو فرصةلدرس بعض النواحي من عقلية الشعب الفرنسي ، فقد كانت دعوة من صديقين عزيزين من كرام أهل باريس، وكان في تلك الدعوة مايمثل شغف أولئك الناس بروائع الفن الجميل، وزادنى يقينا بصحة هذا الفرض أن تلك السياحة كانت في يوم أحد، وكان الطريق إلى فونتينبلو يموج بالألوف ، وكان رفيقاى يعلمان ذلك ، فحضرا الى المحطة قبل قيام القطار بنحو أربعين دقيقة ، لنستطيع الظفر بمقاعد في الدرجة الثانية يضاف إلى ذلك أن أولئك الزائرين كانوا يمشون في غرفات القصر وساحاته خاشعين، وكانوا يستمعون مايلتي عليهم من الشرح في سكون وإجلال، وماأذكر أنى سمعت من أحدهم إشارة لغو أوكلمة فضول، وهذا وذاك يمثل جانبين من العقلية الفرنسية، فهم أولا يقدرون الفن حققدره ، ويفهمون أن النزهة الجميلة لاتتم إلا بمشاهدة الفن الجميل، وهم بعد هذا متصلون بماضيهم أشد اتصال فلا يوجد فتى ولافتاة ولاكهل ولاعجوز إلا وفى أنفسهم صور من ماضيهم الذي يمثل الفزع حينا، ويمثل المجدأ حيانا . والحياةالكاملة لا تكون في الحاضر وحده ، فان الحاضر قد يعجز عن تغذية المشاعر والعقول وهو بشواغله ومضجراته قد يغزو النفوس بالسأم والملال. ومن أجل هذا تتطلم النفوس إلى الماضي فتأخذ من صوره وألوانه ، وأفراحه وأتراحه ، ماتلون به الساعات الحاضرة ، وتدفع به مايساورها من وحشة الاملاق في عالم الآذواق والأحاسيس، وفي النفس الانسانية آفاق عجز عن درسها علماء النفوس ، وتلك الآفاق تقفر وتوحش كلما تقدم الانسان في طريق العلم والمدنية . فهو لذلك محتاج إلى من يروح عنه بطائفة من الملاهى المصقولة التى تسمى العلم والأدب والفلسفة والتاريخ والتشريع . فالطفل يلهو بأرجوحة أو ألعوبة والرجل المثقف يلهو كما يلهو الطفل ، ولكن لهوه يأخذ وجهة معقدة تناسب عقله المعقد ، ومن تلك الألاعيب خرجت العلوم والآداب والفنون ، وهى ألاعيب لا ينصرف عنها إلاالمريض من الرجال ، كما لا يزهد في ألعامه إلا العليل من الأطفال

وقصر فونتينبلو الذي نتحدث عنه قديم العهد، فقد بني جزءمنه في القرن السادس عشر، وبني باقيه في القرن السابع عشر، فهو أقدم من قصر فرساى بنحو مائة عام، ويمتاز بأنه في مبانيه بمثل مذاهب مختلفة في العمارة والبناء والنقش بخلاف قصر فرساى الذي بني في نحو عشرين سنة فانه يمثل عصر بانيه لويس الرابع عشر ومع أن قصر فرساى أفخم وأروع فان قصر فونتينبلو يفضله بما بقي فيه من نفائس الأثاث، ذلك بأنه بعيد عن باريس، فسلم لبعده من فتك الثائرين الذين بددوا ماكان في قصر فرساى من التحف الغالية . . والثورات لاترحم إذا خرجت من قلوب الشعوب وقد نفي هذا القصر على أس غاية ها أكد الغالات الفي نسمة

وقد بنى هذا القصر على رأس غابة هى أكبر الغابات الفرنسية على الاطلاق، و القصور الملكلية فى فرنسا بنيت كلها فى رؤوس الغابات، وسبب ذلك أن ملوك فرنسا كانت نشأتهم فى الأغلب

ريفية. وكانوا يفضلون أن تكون القصور مما يواجه أماكن الصيد فكان الملك يخرج من قصره على ظهر جواد ثم يتوغل فى الغابة ليصطاد، وبهذاكان الجمهور لايراهم إلا قليلا، لأن الغابة دنيا ثانية لا يحتاج من يقيم فيها إلى مشاهدة الناس

والنشأة الريفية لملوك فرنساهي في رأيي من أهم الأسبا بالتعلق الفرنسي بأرضه ، فالفرنسي يمتازبأنه يحب أرضه حباشديدا ، وحاله في هذا الحب يماثل حال الفلاح المصرى ، وربما كان الفلاح الفرنسي ألصق بأرضه وأعلق ، فهو لا يتحدث عن الوطن في جملته إلا عند المناسبات ، أما وطنه فهو بلدته التي يحيا فيها ما له الصامت والناطق ، ولا كذلك الناس في الأرض المصرية ، فان انحياز الأغنياء إلى العواصم والحواضر كاد يغرس في أنفس الفلاحين بذور الزهد في أرضهم التي تدر عليهم الخير والبركات

华

كانقصرفونتينبلوسكنا لجماعة من الملوك ،وفى أبهائه وأروقته عاذج باقية من الفن فى مختلف العهود ، وزيارتى لهذا القصر جددت فى نفسى التفكير فى الملكية والجمهورية ، وما لها من الأثر فى حياة الشعوب

وأستطيع أن أصارحك بأن نظام الجمهورية ليس خيراكله ونظام الملكية ليس خيراكله؛ فكلا النظامين له مزايا وعيوب. غيرأنه من المؤكد أن نظام الملكية هو النظام الذي تزدهر في ظلاله الآداب والفنون ، فان كنت في ريب من ذلك فتذكر اهرام مصر ، فان تلك الاهرام بنيت ولاجدال تحقيقا لهوى من بناها من الفراءنة ، ولوكان في مصر لذلك العهد حكومة جمهورية أو برلمانية لاستطاع أقل الناس سلطانا أن يقف ذلك البناء بحجة أنه لا ينفع الفلاحين ، وأن إنشاء ترعة أعود بالفائدة من تلك المباني الصاء! ونحن اليوم نحكم بأن الاهرام بنيت في ظلال الاستبداد ولكن كيف تكون مصر لوخلت من شوامخ الاهرام ؟ إن تلك المباني التي نهض بها الفلاحون مسخرين هي عنوان عظمتها في العالمين المباني التي نهض بها الفلاحون مسخرين هي عنوان عظمتها في العالمين

تحدثنا أطلاله بأنه كان آية الآيات في دقة الهندسة و فخامة البناء .
وقد بني قصر الكرنك عن طريق السخرة ، لا ريب في ذلك ،
والفلاحون في الاقصر لايزالون يتنون بما قاسوا في بناء الكرنك
وآية ذلك أنهم لا يجتمعون في عمل شاق إلا تغنوا بهذا النشيد:

ومانقوله عن الاهرام نقوله عن قصر الكرنك ، ذلك القصر الذي

« یاعین ، کونی صبارة »

ولا تعجب مما أقول: فان آلام الأجداد تنحدر فى الأصلاب حتى يئن بها الاحفاد

وللاهرام والكرنك أمثال من الآثار الخالدة على ضفاف النيل وهى كلما تمثل أهواء الملوك، وفى مقابل تلك الآثار لا تجد قنطرة فرعونية تمثل عقل الفراعنة فى تدبير ماءالنيل، ولوأنهم شغلواعقو لهم

وأنفسهم بمصالح الاهالى لكان للفرعونية وجهة قومية ، ولكنهم وقفوا عندشهواتهم في دنياهم أخراهم، ولم يظفر الفلاح من تفكيرهم إلا بالقليل وكذلك الحال في الارض الفرنسية ، فالقصور الملكية هناهي أروع أثار هذه البلاد ، وهي كلها تمثيل لشهوات الملوك ، ولكن أي تمثيل بإن الفن العالى ليحيا حياة خالدة في أبهاء هذه القصور وغرفاتها وشرفاتها ، وسراديها وأبراجها ، والقلم يعجز عن وصف غرفة واحدة ؛ وما ظنك بقصر تفرد كل ركن من أركانه بأسلوب في النقش والتصوير ، وتميزت سقوفه وجدرانه بأساليب من النلوين والتهويل ؛ إن هذا من عمل الجن لامن عمل الناس !

وقد تسأل: أكان ملوك فرنسا يشغلون برعاياهم لما يشغلون بقصورهم ؟

قد يكون ذلك ، ولكن الآثار الباقية تدل على أن الأثرة كانت أغلب على طباع أولئك الملوك ، والتاريخ يحدثنا أن العهود الملكية لم تخل من عنف الظلم وقسوة الاعتساف ، غير أن هذا كله اعتصر اعتصارا ليح ظ لفر نسا مجداخالدا هو مجدالادب العالى والفن الرفيع والشعب الذي سخر تسخيرا في بناء القصور الملكية هو نفسه الشعب الذي يحيابها اليوم ، وفيام تلك القصور هو وحده دليل على أن ذلك الشعب صالح للنهوض بجلائل الأعمال ، فمن أي عنصر من عناصر الصبر صيغت نفوس المهندسين والفنانين الذين أبدعوا ما أبدعوا من القصور والتماثيل في بلاد السين ? ومن أي عناصر الاحساس ميغت أذواق المثالين الذين جعلوا أرض فرنسا سلاسل ذهبية

من آيات الفن الجميل ?

لقد سخرت الانسانية طويلا لأهواء الملوك ، العادلين منهم والظالمين ، ولكن تلك السخرة كانت رياضة فنية هي الذخر الباقي لأذواق الانسانية . فلا تلوموا الملوك على مافعلوا ، وانظروا ماتركوا من آثار هي الدليل على ما عند الانسان من عقل وذوق واحساس الدليل على ما عند الانسان من عقل وذوق واحساس

إن الجمهورية نظام مقبول ولكنها ليست إلا إدارة منظمة في عهد الجمهوريات تحفظ حقوق الشعوب ، ويشعر الناس بأنهم سادة أنفسهم ، غير أنهم يقفون عند مصالح المعاش ، ولايتخطونها إلاقليلا . وفي ظلال الانظمة الجمهورية يقل الترف في الحياة العقلية والوجدانية وتصبح الامور وهي تقاس بمقياس النفع ، ولا تتقدم الآداب والفنون إلا بوحي من الافراد الذين بقيت في نفوسهم بقايا من الاذواق الملكية ، والملكية نوع من الذوق يحتل أحيانا رؤوس الصعاليك فيصبحون وهم فقراء الجيوب ، أغنياء القلوب

فى الجمهورية عزة قومية ، ولكنها لاتحيا حياة صحيحة إلاإذاعاش الافراد عيش المياسير ، وحياة اليسر والنرف كفيلة ببقاء الآداب والفنون . والترف هنا ليس معناه اللين الذي يأنس اليه الوزراء والأمراء في عهد مثل عهدلويس الرابع عشر ، ولكن معناه الغني المعقول الذي يوحى فنونا وآدابا تمثل القوة والفتوة ، فقد يكون في المصانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مظاهر الفن المترف في مسام المهانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مظاهر الفن المترف في مسام المهانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مظاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مظاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مظاهر المن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مظاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مظاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مظاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مطاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مطاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مطاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مطاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مطاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مطاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنضر وأجمل من مطاهر الفن المترف في المسانع والمعامل حياة أنفر والمعامل حياة أنفر وأجمل من مطاهر الفن المترف والميا والميا والميا والميا والميان والميانية والمياني

فونتينبلو وفرساى

فى فرنسا اليوم حزب يدعو إلى عودة الملكية ، وهو حزب فتى شديد المراس ، ولكن حذار أن تظن أن أولئك الملكيين يشورون على الجمهورية لتبنى لهم قصور جديدة كقصور اللوار . هيهات فتلك أيام خلت ، لم يبق للترف فى بناء القصور أعداء ولا أنصار ! إن اصطدام الجمهورية بالملكية لا يقوم على أساس الفن ، وإنما يقوم على أساس المعاش ، فا لنظام الأصلح للحكم هو النظام الذي تعيش فى ظلاله الشعوب عيش العزة والغنى ، و من أجل ذلك تعيش فى ظلاله البيانية بجانب نظام الملكية ، وصار من المتعذر أن تصير أمور الأمم إلى رجل فرد يسخرهاكيف يشاء

لكل عصر فنون وآداب، وآداب العصر الحاضر وفنونه تأخذ مددها من قلوب السواد، فاذاخلت من بريق الأريستوقراطية فلها بريق آخر هو شعاعالقومية. وإذا كان الشعراء والفنانون فى العصور الخوالى عرفواللشجعات ممثلة فى عطايا الامراء والوزراء، فمشجعات الفن والأدب فى العصر الحاضر تتمثل فى أذواق الجماهير التى تناصر الأدباء والفنانين، وأذواق تلك الجماهير قوامها النفع والفائدة فى تصور جلائل الأعمال

أتريد الحق أيها الصــديق؟

إن سـاعة فى مصانع سترويين فى باريس أعود على القلب بالمعانى الشعرية من أيام فى قصر قونتينبلو أوقصر فرساى، وإن

منظر الفتاة العاملة وقد سود وجهها الحديد لأبلغ فى الجاذبية من صورة بسيشيه فى جدران قصر شانتيى، أوملعب الولدان فى قصر هنرى الرابع

إن الذوق يتسابع الزمن فى صوره وألوانه ؛ وأصالح الناس للحياة أطوعهم للانطباع بصورة عصره ، فتأمل ذلك ياصديقى ورض نفسك على التأدب بذوق هذا الجيل.

الغاء الدراسات

الاسلامية في جامعة استامبول

فى عرف الدول قانون مصنوع اسمه «حق الفتح » فلنعرف اليوم أنه جد قانون جديد اسمه «حق النصر » فالفاتح يصنع مايشاء والمنتصر يفعل ما يريد. وحق النصر يطبق فى تركيا الكمالية كل التطبيق بلا مراعاة للقواعد والأصول ، ونحن لا ننكر أن مصطفى كمال انتصر بفضل الحزم والجد وقوة المراس والصبر على مقارعة الحظوب ، فله منا كل حمد وثناء . ولكن هذا لا يمنع أن ننظر إلى بعض تصرفاته العلمية والاجتماعية نظراً كان خليقا بأن ينظر مثله لو وقف مثلنا موقف الناقد الذى يرقب الحوادث بدون أن يكون له فها هوى خاص

إن هذا الرجل المنتصر يريد مجاراة أوربا في كل شيء، لأن آوربا عنده هي النموذج وهي المثال ، ولكنه يسرف في مجاراتها كل الاسراف، فإن الأمم الأوربية لم تفكر جديا في تخليص لغاتها من الألفاظ اليونانية والعربية ، أما هذا الرجل الذي أطغاه النصر فيسعى جاهدا لتخليص اللغة التركية من جميع الألفاظ العربية والفارسية ، وينسى أنه يشل لغته بهذه الوثبة الجامحة ، فان اللغة المصنوعة لا تعبر عن أصحابها كما تعبر اللغة التي احتلت أذهان الناس وعقولهم منذ أزمان. وقد حدثنا من نثق بروايته أن كبار الحكمام فى تركيا يحفظون من تقاريرهم نسخا سرية مكتوبة بحروف عربية لآن الحروف اللاتينية لم يمض عليها من الزمن ما يربطها بالألفاظ التركية ربطا وثيقا كالذيكانت تربط به وهي في حروف عربية فاذا كان هذا حظ ما يكتب بحروف لاتينية فكيف يكون حال لغة تفصل منها ألوف من ألفاظها الحية لتحل محلها ألفاظ ماتت منذ عهود طو ال

أما البدعة الجديدة فهى إلغاء الدراسات الاسلامية من جامعة استامبول، وهى بدعة من جميع النواحى ، فان أمم أوربا تهتم فى جامعاتها بالدراسات الاسلامية ، بحجة أن الاسلام دين لكثير من الشعوب، وأنه لا يصلح بالرجل العالم أن يجهل دينا يدين به ثلاثمائة مليون

إن مصطفى كال لن يستطيع مطلقا أن يطارد الاسلام فى البلاد

التركية ، فكيف جاز له وهو رجل خبير بأهواء الشعوب أن يطبع شباب تركيا على غرار مدنى صرف ، وهو يعلم أن فى دمائهم قوى إسلامية تجيش وتضطرم وإن تجاهل المسيطرون؟!!

من حق مصطفی كال أن يحارب المتخلفين عن العلم و المدنية من رجال الدين ، و لكن من الخطر أن يتجاهل الدين نفسه تجاهلا تاما و أن يتوهم أن الدين و لى زمانه و زال

لقد سمعنا أن بطل تركيا يصم أذنيه عن النقد ولو كان صحيحا ولكن المخلصين للعزة الاسلامية لايملكون كتمان الحق ، ويرون أن رياضة شبان تركيا على فهم أصول الدين فهما صحيحا تسمو بهم إلى آفاق من المجد والكرامة والنبل

اساليب الكتاب

أشرت فى كلمة سالفة إلى المقالين النفيسين اللذين كتباعن « ديوان زكى مبارك » ورأى القراء أني أجد فى هذين المقالين مايمس الحقائق التى أعيش عليها فى حياتى الأدبية ، فانا عند الاستاذ خلدون أشعر ، وعند الاستاذ المازني أكتب ، والاستاذ خلدون يرى أن أنقطع للشعر ، ولا أتخطاه إلى سواه . والاستاذ المازنى يرى أن أفرغ للنثر ولا أتعداه إلى سواه . وأنا أبدأ بمناقشة الاستاذ يرى أن أفرغ للنثر ولا أتعداه إلى سواه . وأنا أبدأ بمناقشة الاستاذ

خلدون وأقدم إلى القراء الفقرة الأساسية من مقاله الممتع ليظهر لهم جيداً وجه الخلاف:

« كان همى وقصاراى حين تصفحت ديوان زكى مبارك أن أتحسس من روح الشعر؛ هل استقر فيه ، أو هو محوم عليه من قرب أو من بعد ؟ وقد فرحت لصديق حين رأيت روح الشعر يتقمص ديوانه ويشيع فيه الحركة ،ويجيل فيه الحياة، بل لقد تهيأ لى معنى من تصفح الديوان أخشى إن ذكرته أن أغضب شطر الدكتور زكى مبارك النثرى ، ذلك أننى وجدت له فى الشعر من حسن الديباجة وقوة النظم وطلاوة الأسلوب ما لم أجده له فى النثر . ولقد كان نثر الدكتور فى نظرى محسوبا على نثر العلماء الذين لا تعنيهم الديباجة ولا يتعملون الحسن ، ولا ينصبون أنفسهم فى التأنق و التزين ، ومن أجل ذلك كنت أعنى دائما بتلقف الفكرة أو الموضوع الذي يعرض أجل ذلك كنت أعنى دائما بتلقف الفكرة أو الموضوع الذي يعرض أجل ذلك كنت أعنى دائما بتلقف الفكرة أو الموضوع الذي يعرض أبه الدكتور و أتجاوز عن النظر إلى الوعاء الذي قدم فيه »

ومعنى هذه الفقرة أن الاستاذ خلدون لابرى الفن إلا فيما نظمت من الاشعار، أما ماأنشأت من الرسائل وأذعت من المؤلفات فالفن فيها قليل، ونثرى فيها محسوب على نثر العلما، وأنه لاجل ذلك كان حين يقرأ ما أكتب لا يعنى إلا بتلقف الفكرة أو الموضوع الذى أعرض له و يتجاوز عن النظر إلى الاسلوب

وأسارع فأقرر أنى اصطنعت أسلوبين فى حياتى الآدبية ، كان اولهما صنيع الفن والزخرف ، وكان ثانيهما وليد الفطرة والطبع والنسخة التى بأيدى الناس من كتاب «حب ابن أبىر بيعة وشعره» تشهد بذلك ، ففيها فصول كتبت سنة ١٩١٨ و فصول كتبت سنة ١٩٢٨ و الفرق بين الاسلوبين و اضح كل الوضوح ، و هو ينطق بأن زكى مبارك تغير كل التغير فى مدى عشر سنين و من المؤكد أنى تغيرت أيضا فصرت اليوم إلى غير ماكنت سنة ١٩٢٨ ومن ذا الذى لا يتغير ياسيد خلدون!

ولهذا التطور أسباب يحسن أن نعرض لها بشيء من الشرح والتفصيل :

كنت فيمطلع حياتى الادبية من المفتونين بأسلوب بديع الزمان والخوارزمى والصابى وابن العميد ، وكان كتاب الصنعة المتأنقون أقرب الناس إلى نفسي ، وأحبهم إلى ، وأبعدهم تأثيرا في تـكوين مشاعرى الأدبية ، فقد كنت أحفظ عن ظهر قلب مقامات بديع الزمان ومقامات الحريرى ونهج البلاغة ومقادير عظيمة جدا من مختارما كتب الخوارزمي وابن عباد وابن العميدومن إليهم من الكتاب الذبن أرادوا أن يكون النثر فنا خالصا يسامى الشعر ويباريه فى الزخارف والتهاويل، والوزن والقافية ، لأن أكثر النثر المصنوع مقنى موزون ، وإن لم يجر وزنهو تقفيته على و تيرةواحدة ، وكنت أحفظ كــذلك أكثر ما في زهر الآداب والأمالي والعقد الفريدمن خطب الأعراب وأحاديثهم وحكمهم وفقراتهم المأثورة في الأوصاف والتشبيهات ، فاطمأنت نفسي إلى أن النثر الجيد هو

النثر الذي يعنى الكاتب ويشقيه في اختيار الألفاظ والتعابير ، وأن الكاتب البليغ هو الصنع الفنان الذي ترى جهده وصنعته وفنه في كل لفظة وكل جملة بحيث ترى في رسالته أو خطبته ما تراه في الأعمال الفنية من مظاهر البراعة والحذق ، ودقة النظم ومتانة التراكيب.

ثم شاء الله ، عز شأنه ، أن أتعمق في دراسة الأدب العربي والأدب الفرنسي، وأن أقبل بنوع خاص على ماكتب النقاد الفرنسيون الذين أطالوا القول في دراسة أسرار البلاغة مقرونة بدرس نفوس الكتاب وسرائرهم ومشاعرهم وضمائرهم وألوان حياتهم ، فعرفت أن هناك جمالا غير جمال الصنعة البراقة الني تشوق الحواس، هناك جمال النفوس الصافيـــة ، والأرواح الملهمة والقلوب الحساسة ، التي تفيض على العالم من فيض الحكمة والعقل وتسكب على الوجدان ما يوقظه و يحييه من نمير العطف والحنان وعرفت أن النثر قد يكون مصنوعا أدق الصنع من دون أن نرى خيه أثرا للسجع والجناس والتورية والمطابقة والازدواج ، وأن مانسميه بالمحسنات البديعية ليسكل شيء في صناعة الكتابة، كما كان يفهم فريق من القدماء، فقــد يشتى الكاتب فى وضع الجملة وصياغة الاسلوب من غير أن يحس القارىء أنه أمام نثر مصنوع و تلك حالى فى أكثر ما أكتب اليوم ؛ وهذا النوع من الصنعة أدل على الحذق والمهارة وقوة الطبع وعبقرية الخيال. إن هذا النوع من الصنعة يقنع القارى. بأنه أمام نثر مطبوع لاأثر فيه للجهد والعنت

في تخير الالفاظ، ورصف التراكيب. ومثله مثل المناظر الطبيعية فقد يقف المشاهد أمام زهرة مبرقشة مزخرفة تغلب فيها الخطوط والتصاوير ، أو تعرض عليه سمكة ملونة تلوينا دقيقا يزيغ البصر ويثير الحس، ثم لا يحسب الانسان أن في هـذه السمكة أو تلك الزهرة فنا وصنعة ، لأنه يظنها هـكذا خلقت . ولايدرى أن الطبيعة صنعتها عن عمد وذكاء ، وكــذلك نقرأ الآثار الأدبية التي تنقصها الصنعة الظاهرة فنحسبها مطبوعة. وذلك خطأ مبين، فكل شاعر يصنع قصيدته ، وكل كاتب يصنع رسالته ، وكل خطيب يصنع خطبته والفرق بين المصنوع والمطبوع أن الأول يبدو فيــه أثر التكلف ومحاولة الابداع، أما الثاني فيصدر عن طبيعة سخية لبقة تعودت الاتقان والاجادة ، بحيث يظن أنها تبدع ماتبدع بلاكلفة ولاعناء غير أنه ينبغي أن نقيد أن هناك جمهورين من القراء: جمهور المبتدئين الذين تروقهم الصنعة الظاهرة ولايكادون يفهمون غرائب الصنعة الدقيقة ، ولهذا الجمهور الساذج كتاب يحسنون التلوين والتهويل، مثلهم مثل الباعة الذين يعرضون على الجمهور الساذج طرائف من الثياب المخططة المبهرجة ، وهي ثياب ظريفة خلابة لاتكلف صانعيها جهداً كبيرا، ولكنها تروق العامة وتفتنهم وتبدو لهم غاية في التجويد والابداع .

وهناك الجمهور الثانى، جمهور المثقفين ثقافةأدبية عالية، وهؤلاء يفهمون دقائق الفنون الأدبية، ويفرقون بين الصنعة السطحية م-١٧٠ والصنعة الخفية التي لا يجيدها إلا الافداذ القلائل من فول الكتاب هذا الجمهور المثقف هو الذي يشتى الكاتب المتفوق و يحمله على مراعاة الذوق الأدبى والحاسة الفنية لأنه يعرف كيف تقع الكلمة من الكلمة وكيف تؤدى الجملة ماوضعت له تأدية صحيحة لانقص فيها ولا إسراف والكاتب البليغ حقا هو الذي يضع الالفاظ على قدود المعانى وضعائر رشيقا مهندما يفتن العقل والذوق ، بحيث لا يود القارىء المثقف لوحذفت لفظة أو زيدت لفظة ، ومثل هذا الكاتب مثل الصيدلى البارع الذي يحسن تركيب الدواء ، فهو شخص مسئول يركب أجزاء الدواء بمقادير معينة محدودة يؤخذ بعضها بالقطارة و بعضها بالميزان وهو يعلم أن الدواء لو نقص منه جزء ، أو زيد عليمه جزء ، لاصبح ضاراً أو غير مفيد

ومثل الكاتب البليغ مع جمهوره المثقف مثل التاجر المتأنق الذي يتخير أجمل الملابس وأدقها صنعا ، فقد تبدو بضاعته عادية لا رونق فيها عند من لايفرقون بين المركب والبسيط ، ولكنها تظهر نفيسة ممينة عند من الفت عيونهم وأذواقهم دقائق النسج وغرائب الصنع .. ومثل هذا التاجر خليق بأن يرضى بالعدد القليل من عشاق الذخائر والاعلاق ، فان فهم النفائس يحتاج الى ثفافة خاصة لاتتاح لكل مخلوق

وكدذلك الكاتب المبدع والفنان الذى يدق فنمه وتسمو صنعته على كثير من العقول والاذواق يجب أن يطمئن إلى أن جمهوره

معدود الأفراد ، فليس له أن ينتظر جماهير كثيرة تصفق لهو تستعيده وتشيد بذكره فى الأندية والأسواق ، وإلاعاد رجلا عاميا لاإباء له ولاعزة ولا كبرياء ، فأن الحرز مهما راجت سوقه وصنعت منه ملايين العقود لن يصل فى أى ذهن إلى مساماة اللؤلؤ المكنون الذى كتب عليه الحنول وظل سجين الأصداف

وفى ذلك عزاء لمن أفردتهم عبقريتهم ، وأقصتهم عن الجماهير ، فعاشوا فى أوطانهم غرباء ، ويرحم الله أبا تمام إذ يقول : غربته العلى على كثرة النهاس فأمسى فى الاقربين جنيبا فليطل عمره فلومات فى مر و مقيما بها لمهات غريبها

* *****

أيرانى القراء أحسنت الدفاع عن أسلوبى فى النثر، وأقنعت صديق الأستاذ خلدون الإن لأنتظر من أدبه وفضله أن ينظر نظرة ثانية فى كتاب « ذكريات باريس » وأن ينصفنى من نفسه فقد ظلمنى حين نقد ذلك الكتاب، ولا يستكثر عليه أن نفزع إلى انصافه، فان المنصفين فى مصر أقل من القليل!

عيد الحرية

فى باريس مدينة النور والحرية

باریس فی ۱۰ یولیه سنة ۱۹۳۳

صديتي....

لقد تاقت نفسی الی محادثتك، ولكن أین السبیل الیك، وبینی و بینی و بین و

إنك تنتظر ، ولا ريب ،أن أصف لك بعض ماشهدت باريس في عيد الحرية . ذلك العيد الحافل الذي يجدد شباب الناس في كل سنة ، وتحيا ملاهيه أربع ليال سويا ، ونحن الأجانب عن باريس نسميه عيد الحرية ، والناس هنا لايعرفون إلا كلمة (١٤ يوليه) فنحن نتذكر فتح الباستيل لاننا لانزال نجاهد في ما بلادنا مرضيم وعنف ، أما الشبان الفرنسيون فقد نسوا الباستيل نسيانا تا ما ولم يبق لهم من ذكريات ١٤ يوليه إلاماشهدت باريس في السنين الماضية من ملاعب وشهوات . والانسان ياصديقي لايذكر الظلم الاعند الصراع ، فاذا انتصر أقبل على نفسه يرفهها ويمسح عنها الصراع ، فاذا انتصر أقبل على نفسه يرفهها ويمسح عنها آصار الضيم والاستبداد . فلا تحسب الناس يلهون في باريس إحياء

لانتصار الحرية ، إنما يلمون لأن اللهوشريعة إنسانية أو حيوانية يجدد بها المرء مارث من عزائمه بعد طول النضال . وأهل باريس كانوا ولايز الون أهل جد ولهو ، وهم في الجدأ بطال ، وفي اللهو أبطال ، وكذ لك تكون الحيوية في الأمم والأفراد ، فالرجل الذي لا يعرف كيف يجد ، والأمم التي لا تحسن المرح في أيام الحرب . فالغرائز الانسانية مزاج السلم لا تحسن الصرب في أيام الحرب . فالغرائز الانسانية مزاج من الضحك والعبوس ، والحلاوة والمرارة ، والعمل والفراغ والسلم والقتال .

على أن الحرية إياصديقى ، ليست إلاكلمة ، وهى فى الأغلب كلمة عديمة المدلول . والناس اصطلحوا على طلب الحرية حين تصطدم منافعهم بعقبات الغاصبين ، فاذا خلصوا من خصومهم حسبوا أنفسهم أحراراً ، وذلك وهم جميل!!

إن الحرية ترجع إلى أصلين؛ الخلاص من ظلم العدو، والخلاص من ظلم النفس. وقد أفصح عن ذلك الرسول عليه السلام حين قال وهو عائد من إحدى الغزوات

« رجعنا من الجهاد الأصغرجهـــاد العدو إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس »

فقديكون الرجل حرا لاسلطان عليه ، ولكنه يظل مستعبدا لطائفة من العادات والتقاليد والطقوس ، ويمشى مثقل الرأس والقلب والروح بمايساوره صباح مساء من عدوان العرف والمألوف فى أنظمة الاخلاق وهو إذا خلص من عنف التقاليد لم يخلص من عنف الشهوات والاحاسيس، وليتك تفتح عقلك فتفهم أن المر عقد يخلص من جميع القيود ثم يظل أسير أمعائه في جميع الاحوال. أتحسب الدنيا تجمل لانها في ذاتها دميمة و قديكون في الدنياشيء لانها في ذاتها دميمة و قديكون في الدنياشيء أصيل من عناصر الحسن والقبح، ولكنه شيء يسير بالاضافة إلى ما تفرضه الامعاء. فان كنت في ربب من ذلك فتأمل كيف يحلو في عينك الشيء تارة و يسمج تارة أخرى، وهو كما كان لم يتغير ولم يتبدل وإنما غيرته أمعاؤك التي تسيطر عليك فتريك القبيح جميلا، وتريك الجميل دمها.

أفهمت الآن أن الحرية ليست إلاكلمة ، وأنهـا فى الأغلب كلمة عدممة المدلول؟!

* *

ومالى أكدر عليك صفوك بهذه الفلسفة ? إنك أيها الشقى تنتظر شيئا آخر ؛ إنك تحب أن أصف لك ملاهى باريس فى عيد الحرية . ولكنى لا أحب أن أكرر ما قلته في السنوات الماضية فتلك صور تراها فى كتاب «ذكريات باريس » ويكفى أن أشير إلى أن الناس هنا لايزالون يحترمون مظاهر اللهو والعبث والشهوات وماظنك برجل حا كمستول هو محافظ باريس حين يعلن إباحة الرتص فى الميادين العمومية ، وهذه الاباحة لها معنى ، فهى تصريح

باقامة المذكر الجميل والشر المحبوب، هي تصريح بأن تتلاقى الأجسام والقلوب والأحاسيس أربعة أيام في ساحات باريس... وتلك مناظر ساحرة يخرلها غلف القلوب. والدنيا لاترى في فتنتها وزينتها كما ترى في عيد ١٤ يوليه، فوق أرض باريس وطن الحقائق والأباطيل، والهدى والضلال. إن حياة ساعة واحدة يخلص فيها للرء من كل شيء في مدينة هي بغداد القرن العشرين لأشهى وأجمل من حيوات طوال يقضيها المرء في بلاد التزمت الجمود. إن الحياة ياصديق لاتقدر بالأعوام والسنين، إنما تقدر بما فيها من المعاني. فان لم تفهم هذا فتذكر أن لحظة واحدة في شواغل قلبية وحسية أنفع للكوأ جدى على قلبك وروحك من كل هذا البقاء الطويل المملول المدى تقضيه في شواغل لاصلة لها بالقلب والاحساس

أكتب هذا اليك ، وليقل من شاء ماشاء! وبمن أخاف ، ومن هو الرجل الصالح الذي تفرض علينا تقواه أن نتحفظ في الحديث و إن أكثر الناس أشباه لصاحبنا « فلان » الذي اصطنع التوقرحي عاد وهو من أشباه المتقين . وأقسم لو عرضت حياة « فلان » هذا في الأسواق لما اشتريتها بدرهم واحد! لقد حسب المفتون انه غنم وفاز حين استطاع تضليل الناس بالوقار المصنوع . إن الفوز الأكبر أن يكون الرجل ابن قلبه وعقله وروحه ، أما هذه الصور التي لاتضحك ولا تعبس إلا وفقاً لشائع الأهواء والأغراض فهي أقل حياة من الدى والتماثيل . وأين يكون أصحابنا هؤلاء من الدى

و التماثيل وهي لم تصنع إلا لتمثيلمادق و لطف من و ثبات العقول و شهو ات القلوب ، و نزوات النفوس .

كانت باريس، ياصديقى، فى تلك الليالى تذخر بأسباب اللهو والفتون، وكان فى كل حى ، وفى كل شارعوفى كل حارة، مرقص عابث يبعث أموات الاحياء. وكانذلك كله يجرى فى رفق ولطف حتى لاتجد ما يجرح ذوقك أو يشعرك بأنك تشهد ما ينافى الحياء ولا أدرى، والله، كيف كان يطيب لى أن أعود ثم أعود إلى المرقص الذى أقيم فى ميدان السوربون، أكان ذلك لانى أحب أن أرى كيف يقام اللهو الصراح على أعتاب الجد الصراح ؟ وكيف وأقطاب السوربون قضوا شبابهم فى أمثال هذه السهرات، وفى قلب السوربون تقام المراقص فى أعياد الشتاء 1.

أفأستطيع أن أحكم بأن الاخلاق ليس لها ميزان ، وأن الشر والخير بما يصبغ بالالوان المحلية فنرى حلالا هنا مانراه حراما هناك؟ تصور ذلك كيف شئت ، ودع الحياة تفعل ماتشاء

* *

ولكن أكان اللهو والعبث والمجون هوكل ماشهدت باريس في هذه الآيام ؟

هيهات ، فتلك علالات يتلهى بها الفتيان والفتيات ، ويأنس اليها من خلا قلب من هموم السياسة وهموم المعاش. فالى جانب المراقص العمومية كان أقطاب السياسة ينظمون عرض الجيش ليذكروا الشباب بأن مجدهم قائم على السيف والمدفع والنار والحديد، ولو رأيت كيف تصطف الجنودف حي الشانزليزية أوكيف تجلجل خطواتهم في ميدان الايتوال؛ لعرفت أن في باريس روحا آخر هو روح الجد والفتك، ولادركت أن القوم لا يلعب فتيانهم إلا في ظلال مايملك فحولهم من الطيارات والمدافع والاساطيل وفي الايام اللاهية العابثة التي طوقت جيد ١٤ يوليه كان أصحاب النواجذ من زعماء الاحزاب يشتجرون ويقتتلون، وفي ساعات الرقص الملتهب في مونمارتر ومونبارناس كان رجال من حملة الاقلام يلقون النار فيما ينفثون على بياض القراطيس، وكانت الصحف يلقون الناس وفي ألفافها السم الزعاف

فى تلك الآيام الماجنة أقيم المؤتمر الاشتراكى وثار فيه من. العواصف مايزلزل الجبال

فافهم الآنياصديق، أن باريس ليستأمة واحدة ، إنما هيأتمم، مختلفة ، وإن شئت قلت ليست جمهورا واحداً ولكنها جماهير مختلفة فهناك جمهور الشباب وعشاق الشعر والحيال ، وهؤلاء يملأ ون الدنيا لهوا وعبثا ، وهناك جمهور الساسة ورجال الاحزاب الذين يوعدون وينذرون ويصرخون في كل لحظة بأن الخطر على الابواب وهناك جمهو را لملاك وأصحاب المصالح الذين لا يشعرون إلا قليلا بايام المواسم والاعياد

ومن ائتلاف هذه الجماهير ينظم عقد باريس، فهى ليست للهو وحده، ولا للجد وحده، وليس الأمرفيها للشبان وحده، ولا للشيوخ وحده وإنماهى دنيا يتعاون شبابها وكهولها ويأتلف فيها الجذع الباسق بالغصن الأملود

* *

أمابعد فقد انقضت أيام العيد ولياليه ، ورجعت كماكنت آوى إلى فراشى قبل منتصف الليل ، وكنت فى تلك الليالى لاأصافح مضجعى إلا قبيل الصباح . فأين مضت تلك النجوم السواطع التى ملائت الدنيا نورا فى ليالى العيد ؛ أين ولتجيوش الصباحة والملاحة التى أزاغت الابصار و بعثرت حبات القلوب ؟

لقد هدأ كل شيء بعد أن انفض السامرون ، فأين قلبي الذي إزلزلته بروق الجمال؟

عد إلى عشك ياقلبي ، فقد أوت إلى أوكانها أسراب الحسن .وسكن الأليف إلى الأليف

إنى فى انتظار عودتك أيها القلب، فمتى تعود؟

إنى لأعرف أين أضعتك، ولكنى لاأعرف أين يقيم من انتهبوك!

وأنت ياصديقي الذي تحيا بطلعته شو اطيء النيل ، ألاتغنى أخاك هذا البيت الحزين :

ياليت ماء الفرات يخبرنا أين استقلت بأهلها السفن

قبل الطعام والشراب (١)

أين عهد الهمجية ؟ أين عهد الانحطاط؟ أبن عهد الخول ؟

رحم الله تلك العهود ؛ فقد حدثونا أن الحكومة المصرية : كانت تأخذ الأطفال قهرا من أيدى آبائهم ، وحجور أمهاتهم ، بين البكاء والعويل لتعمر بهم دور العلم التي أنشأتها لرحمة الأمة من بلايا الهمجية ، والانحطاط والحنول . وقد حدثونا أن الحكومة المصرية كانت تخرج الشبان من ديارهم ، لتبعثهم إلى العواصم الأوربية بالرغم من التهائم التي كان الآباء يعوذون بها أبناءهم من (التغرب في بلاد بره!) وقد حدثونا أن الآباء والأمهات كانوا (يقيمون الولائم لأهل الله والأولياء ، ويوزعون الصدقات على المساكين والفقراء ويقر ون الفاتحة والصمدية و المعوذتين ثلاثمائة مرة عند الشروق وعند الغروب

كل ذلك، ليرحم الله أولادهم من دخول المدارس، ويقيهم شر السفر إلى لندرة أوباريس أوبرلين، فماكان الله وهو أرحم (۱) نشرت في جريدة ابو الهول في خريف سنة ١٩٢١

الراحمين ينظر إلى زفراتهم المحرقة ، وعبراتهم المغرقة . بل كان يعين الحكومة عليهم فيصبح أبناؤهم بالرغم منهم تلاميذ فى المدارس. أواعضاء فى البعثات العلمية !

فيارب وأنت الحكم العدل: إليك نشكو (وجودنا) في عهد المدنية والرقى والنهوض! لقد كان آباؤنا يساقون إلى المدارس. سوقا، فيتعلمون وهم راغمون، كما يؤجر المؤمن رغما عن أنفه! وهانحن أولاء نقاسي ألوان العذاب، كلمااشتعلت في صدورنا نيران. الشوق إلى العلوم والفنون!

يارحمة الله لهـذا القلب الحزين! لقد قضيت بضع سنين وأنا ظامىء أترقب لعل طيف (الزمن الماضى) يطيف بى فجأة فأصبح وقد وجدت من مناهل العلم مايطنىء تلك النار التى تتأجج فى صدرى فلا تجد غير الرجاء من وقود! وهأنذا أتلفت ذات اليمين وذات الشمال، فلاأجد غير أنداد فى التعاسة، وأشباه فى الشقاء!

أيها الآباء والاجداد!

لقد كانت الحكومة فى عهدكم محسنة كريمة ، ولكنكم عددتم كرمها بخلا ، وإحسانها إساءة!

وهاأنتم أولاء تنظرون كيف انتقم الله للحكومة منكم، فأغلق في وجوه أبنائكم أبواب المدارس، وحرمهم من البعثات العلمية والفنية! فاقرءوا إن شتتم (الفاتحة والصمدية والمعوذتين) على أرواح أولادكم التى أماتها الجهل، وقبرها الخول! لقد كنتم تبكون كلما ألزمتكم

الحكومة بارسال الاطفال الى المدارس! وكنتم تعولون كلما سمعتم أن الحكومة ستبعث فريقا منكم إلى الحواضر الأجنبية! فابكوا الآن حتى تنزفوا دموعكم طلما ضاقت عن أبنائكم المعاهد ويتستم من أن يروا — ولو فى النوم — منابع العلم فى برلين و باريس!

فيارب وأنت الحكم العدل: لقدقضيت أن لاتزر وازرة وزر اخرى ونحن أبناء هذا الجيل لم نعص أمر الحكومة ولم نهرب من المدارس ولم نفزع من الارساليات فكيف نؤخذ بذنوب آبائنا الذين أنكرنا عليهم ما تورطوا فيه إذ ذاك من كراهة التهذيب ?

فان لم يكر بد من أن يؤخذ الأبناء ، بما جنى الآباء ، فانى أستطيع أن أثبت أن جدى رحمه الله أدخل أبى المدرسة وهو طائع! وفى مقدور كثير بمن ضاقت فى وجوههم سبل العلم أن يبرئوا آباءهم وأجدادهم من (تلك الجناية) التى يحاسب عليها الأبناء والأحفاد! فهل تنفضل الحكومة فتفسح المجال لهذا الفريق (البرىء) عسانا منتجو من بلية الجهل ، ونكبة الجمود!

زيدأن نتعلم، لا تكفينا السلامة من العرى، والظاء والجوع لا نشكو ظاهر المرض، ولكنا نتألم من الداء الدخيل الرحمونا من الداء العياء! أغيثونا فكلنا ملهوف! (وليخش الذين لو تركوا منخلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) ونحن أيتام العلوم والآداب، فليرحمنا القائمون بالعلم في هذه البلاد، ليرحم الله أبناءهم من بعدهم

فلا يجدون ما نجد من اللوعة والغليل!!

يرحم الله هذه الأمة: فلقد كانت وكل همها أن تظفر بكفايتها من الطعام والشراب، فأصبحت وليس لها غير هم واحد، ولكنه هم معقد مقيم؛ وهو أن تجدكفايتها من المدارس الابتدائية والثانوية والعالية. وهي بعد ذلك ترحب بالفاقة ، إن صح هذا الحلم الجميل! أما البعثات العلمية . . . ويلاه ماذا أقول! اللهم لا تمتني قبل أن أرى بعيني كيف يدرس العلم في المالك التي أصبح أهلها سادة الآمم وأساتذة الشعوب .

العمر الضائع (١)

في الازهر والمعاهد الدينية

وأول مايمر بالخاطـر ، هو مكان الاحتفال ، فقد نذكر أنهم احتفلوا بتأبين الشيخ حمزة فتح الله فى المـكان الذىكان يلتى فيــه دروسه العامة فى درب الجماميز ،

⁽١) نشرت في الافكار في ٧ يوليه سنة ١٩٢٢

وليست الجامعة المصرية بالمسكان الذى كان يلقى فيه الاستسائد الامام دروسه العامة؛ ولكنه كان يلقى أبحاثه الممتعة فى الازهر الشريف!!

فياعجبا ! أيضيق الأزهر على الشيخ محمد عبده فى الحياة وبعد المات : . .

لافرار من الحق! إن الذين فكروا فىالاحتفال بذكرى الشيخ محمد عبده هم تلامذته القدماء الذين ضاق بهم الأزهر ، ووسعتهم الجامعة المصرية

لقد تسكن النفس، ويطمئن القلب، حين نرى بأعيننا حياة هذا الرجل بعد موته! — أليس هو القائل: وإن فناء في الحق لهو عين البقاء ؟! صدقت أيها المصلح الجليسل؛ فانظر بعينك الآن من عالم الأبدية، لترى من جديد (إن رحمت الله قريب من المحسنين!) إن للمجاهدين عبرة في حياتك الأولى والثانية، لقد مت وأنت تتسمع عساك تجد منصفاً يعترف لك بحميل، فهل علمت أن الناس يعلنون عن أنفسهم بالحب لك، والاقتداء بك و و

(إذا جاء نصرالله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)

المصرية فلنسمعهم هذه الكلمة عساهم يصلون إلى تلك الدار وهم خاشعون

لقدمرت السنون على وفاة الشيخ محمدعبده، فهل قامفريق منهم فوقف وقفة المستبسل الجرىء، فذاد عن المعاهد الدينية، واقتنى أثره فى إصلاح الأزهر، وتعديل برامج التعليم؟

لقد عطلت الدروس شهوراً عديدة فهل انتفعوا بهذه العطلة فهلا والخزائن ببدائع المؤلفات وروائع المصنفات ؟ ألم يعد الازهر كالطلل البالى لأنهم استبدلوه بالاندية الخصوصية حتى عطلت الجمعة فيه أسابيع كثيرة ؟ ألم يتركوا السذاجة تطغى وتستطيل حتى أعلن بعضهم فى الصحف السيارة أنه سأل الشيخ بخيت عن حكم التكلم فى السياسة ؟ ألم تنطق صوامت الموجودات وهم لائذون بالصمت والسكوت ؟ ؟

لايقنع الأمة أن ترى من بين هؤلاً الجموع خمسة أوعشرة يكتبكل منهم بضع رسائل فى السنة ثم تطوى الصحيفة ويجف المداد!!

كناسمعنا أن امرأة صالحة وقفت في طريق الفخر الرازى فسألها الناس أن تفسح له الطريق فقالت من هذا الذى تحتفون به ؟ فقالوا رجل عالم أقام على وجود الله ألف دليل! فقالت : ويحتكم هل عميتم حتى تطلبوا على وجود الله ألف دليل!! ــ وكـــذلك يقتل الازهريون وقتهم فى إثبات وجود الله ، تعالى الله عما يصفون!!

العلم من مرقده ، فى هذه البلاد التى كانت نقطة الاتصال بين الشرق الناهض والغرب الهامد ، والتى لولاها ماحفظت علوم العرب التى كانت نواة هذه المدنية الفسيحة الارجاء!!

إن الجامعة المصرية لم تعد في حاجة إلى الاشادة بذكرها ليلتفت إليها الناس ولم يكن أبناؤها بالقليلي العدد حتى يقول قائل ما الذى صنعته في ترقية البلاد! ولكن كلة واحدة تختلج بين شفتى من حين إلى حين وأريد أن أقول: هل يذكر كل قادم إلى الجامعة المصرية من منتسب أو مستمع أنه ضيف صاحبة السمو الأميرة فاطمه بنت اسماعيل تغمدها الله برحمته ،أو ضيف المرحوم حسن باشا زايد أو أحمد بك شريف ، ومن نحا نحوهم في الحروج من بعض ما له لتشييد هذا المعهد الذي تفزع إليه العقول إوهل يفكر بعض طلبة الجامعة من الذين قدر لهم أن يكونوا أغنياء أو ذوى دالة على الأغنياء أن يكثروا من أصحاب الأيادى البيضاء على هذا المعهد بما يبشونه من تبجيل من سهروا عليه وهو وليد ؟

أماأنا فلا أملك غير الوفاء، وسأجعل لأولئك الكرام النفوس منزلة من قلبى تعزعلى من رامها وتطول. وليشهد الله و ملائكته والناس أن لكل من مد يده لمساعدة الجامعة المصرية دينا في عنتى قضاؤه الشكران

أين البيان والافصاح ؟ أين الشعر الجميل، والنثر البديع ؟ أين شعر زهير في هرم بن سنان ؟ أين مدائح البحترى للفتح بن خاقان ؟

اللهم إنى أعجز عن أدا. ما على من واجب الثناء على أولئك الامجاد فاكتب لهم عندك ما يطربون لمرآه بوم يبعثون

قالت التوراة

فی باریس

صديق الاستاذ أحمد الزين

لقد رأیت أنأوجه الیك هذه الرسالة علها توحی إلیك فی معناها فكرة جدیدة تذكر القراء بما عرفو ا من آثار فضلك ، و تسوقك إلی مناصرتی فیما أرمی الیه بهذا الحدیث

وألفت نظرك أولا إلى أن (قالت التوراة فىباريس) جملة مفيدة مركبة من ثلاث كلمات لامن أربع. ولك أن تعربها هكذا: قالت التوراة مبتدأ وما بعدها خبر المبتدأ ، وأنت تعرف تفصيل الاعراب فلا موجب للتطويل ، ولك أن تسأل كيف اتفق لى أن أحكى (قالت التوراة) فأصيرها كلمة واحدة ؟ وفى الجواب أسوق القصة الآتة:

فى باريس كما تعلم ماشئت من المدارس والمعاهد والحكليات.

نريد أن يتغير التعليم فى الازهرو المعاهد الدينية ؛ نريد أن نكون أعزة وقد صيرتنا هذه التعاليم أذلاء ، نريد أن نرسم الخطة لنهضة الممالك الاسلامية ، حتى يغلب الجاحدون على أمرهم فيدخلوا فى دين الله أفواجا أفواجا من حيث لا يشعرون !!

نريد أن نمحو الوساوس التي دخلت في العلوم العربية وأصول الفقه وعلم التوحيد، ولايضيرنا أن يخمل بذهاب هذه الوساوس مئات المتصدرين في العلم والدين! فهل نحن واجدون من بين العلماء من يسمع هذه الكلمة التي اضطررنا اليها اضطرارا وألجأتنا اليها الغيرة على الدين الذي مات في تأييده الآباء والاجداد؟

الاحسان الى العقول(١)

كتب التاريخ فيماكتب ، أن الأمير عبد العزيز بن مروان كانت له اياد بيضا. على المعوزين في مصر . ولازلت أذكر ماطربت له من وصف الاستاذ محمد بك الحضرى لذلك الامير الجليل حينما عرج على ذكراه في الجامعة المصرية ، ولم يكن عبد العزيز بن مروان واحد الناس في الكرم والافضال حتى أخصه بالطرب لمساعمل، والاعجاب بماصنع ، ولكن الذي انتشيت له إنما هو وجود باحة

⁽١) نشرت فى جريدة المحروسة فى نوفمېرسنه ١٩٢٠

سعيدة فى الديار المصرية ، ابتسم فيها الجود للعافين حينا من الدهر ومن ذا الذى لايستروح لذكرى السعادة مرت ببلاده ففلت من غرب الشدائد ، ونالت من جانب الاحداث ؟

أجل!كان ابن مروان موئلا للنفوس الحائرة أعواما معدودات ثم انطوى بره، حينها انطوت أيامه، ولم يبق من جوده بقيه تفزع اليها النفوس الهاربة من الفقر ... وكذلك لم يبق من ذكراه إلاكلمات قلائل حفظت في الكتب المنسية! وذهب ماقيل فيه من جيدالشعر وبارع النثر، وأكثر ما يعرف عنه أنه والد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وكان أولى أن يعرف بجوده الشامل قبل أن يعرف بابنه العادل

كذلك كان الناس فيهاسلف ، يعملون لليوم لاللغد ، ويحسنون إلى البطون لا إلى العقول ، اللهم إلا أفرادا كانوا يثيبون على الكتب المؤلفة وربما حبسوا شيئا من مالهم على المساجد يدرس فيها العلم ويذكر فيها ذو الجلال والاكرام!!

تلك أيام خلت! وقد اكتفينا بمالدينا من التكايا والمساجد ورجبأن تتوجه العزائم إلى الإعمال التي تخلق الأمم خلقا جديدا وينال صاحبها من كرم الاحدوثة ما لا يذهب به كر الغداة ومر العشى، ولن يتمثل ذلك إلا فى إنشاء المعاهد العلمية ، والعمل على تكوين العقول وتهذيب النفوس وأكثر ما يتضح ذلك فى العمل الذى قام به منشئو الجامعة المصرية ، التى أخذت منذسنوات تبعث

وهم في غاية الطاعة والخضوع ، ثم تنبرى إحدى الأوانس فتلق بصوتها العذب إحدى العظات الدينية ثم تتبعها رفيقاتها واحدة فواحدة والناس يستمعون في خشوع وسكون ، فاذا مضى على ذلك بحو ساعة صاحت إحدى الفتيات : من كان يؤمن بالله ويرى نفسه في حاجة إلى الخلاص فليحضر الينا بعد العشاء في المنزل رقم نفسه في حاجة إلى الخلاص فليحضر الينا بعد العشاء في المنزل رقم مرات بطريقة تأسر النفس وتشوق الفؤاد

وليس هذا كل حظ باريس من النفحات الروحية ، فهناك الكنائس ، وهناك عظات أيام الآحاد . وقد رأيت أن أشهد بنفسى حفلة يوم الآحد التى تسمى « ميس » فتوجهت مرة إلى كنيسة مو نبار ناس وأخرى إلى كنيسة نو تردام

وحى مونبارناس حى خليع هو اليوم من احم قوى لحى مونمارتر ومع ذلك لم أجد مقعدا خاليا بالكنيسة حيث كان المصلون يعدون بالألوف ، ثم صعد الخطيب المنبر ، ولكن أى خطيب الإلوف ، ثم صعد الخطيب المنبر ، ولكن أى خطيب الحياة مثقف إلى أسمى حدود الثقافة ، يتكلم في شئون دقيقة تمس الحياة الاجتماعية ، ولا يلق الكلام على عواهنه كما يفعل أكثر الخطباء ، ولكنه يفترض أنه يعظ في باريس وفي القرن العشرين ، لذلك تراه يتعمق في نقد الاخلاق وتحليلها ، وردكل رذيلة إلى أصلها من أهواء القلوب وأدواء النفوس . ويستعين في شرحه بجميع ما وصل اليه العلم في فهم الغرائز الانسانية ، وتكييف طبائع الناس ، وكان يتكلم العلم في فهم الغرائز الانسانية ، وتكييف طبائع الناس ، وكان يتكلم

عنالازمات الروحية والعقلية التى تصادف الرجال والنساء فى بعض أطوار الحياة بافاضة شائقة تخترق ما أضمر واحتجب من سرائر السامعين

أما خطيب نوتردام فشعلة مضطرمة من الحياة والذكاء، والمصلون من حوله يجلون عن الحصر والاحصاء، وهو لا يخطب سامعيه من أهل باريس فقط، بل تنقل خطبته عن طريق الراديو إلى سكان المقاطعات والاقاليم! فحدثني بربك أتظن مع هذا أن فرنسا نسيت دينها وأقبلت بنفوسها وأهوائها على معالم الشهوات كا يظن أكثر الشرقيين؟

أكتب هذا اليك وأنا خالى الذهن مما يسمى القديم والجديد ، وإنما فلست أحب أن أكون من أنصار القديم أو أشياع الجديد ، وإنما يرضيني أن أكتب ما أعتقد غير ناظر إلى المحافظين والمجددين . وأنا أعتقد بصراحة أن الجماهير في جميع الأمم لابد أن يكون لها ضمير ، وهذا الضمير يخلق في أكثر الشعوب مصحوبا بالدين ، فلا بد للعالم من وازعين : العلم أو الدين . ومادامت الجماهير لاتصل إلى العلم الواسع الذي يحملها على فهم معانى الخير والشرفمن الاجرام أن تدعوها إلى التخلى عن الدين ، فانه لابد لها من ضمير تعتصم به وهذا الضمير لايخلق إلا في ظلال الدين السمح أو العلم المتين

وكذلك ينقسم أهالى أوربا إلى قسمين فريق: العلماء الذى يعتمد على علمه في التفريق بين الخير والشروالضر والنفع ؛ وفريق

ولكن لاتحسبأن الحركة الفكرية والعقلية والروحية يقف نشرها عند حدود مايلقيه الاساتذة والمعلمون في دور التعليم!! لا. فهناك عشرات من المحاضرين يلقون في كل مساء وفي أمكنة مختلفة عدداً من المحاضرين يلقون في كل مساء وفي أمكنة مختلفة عدداً من المحاضرات العلمية والادبية والاجتماعية. ولهؤلاء المحاضرين جماهير تتسابق في الاستماع اليهم إذ كان أكثرهم يعتمد على جمعيات منظمة تتنافس في نشر ما تؤمن به من مختلف المذاهب والمعتقدات، والدعوة إلى تلك المحاضرات لاتكون عرب طريق الصحف كما هو المتبع في مصر وإنما تجرى عن طريق النشرات الحاصة التي توزع على المجهور في نفس الاحياء التي يتكلم فيها المحاضرون، فلا ترى هنامن السخف ماتراه عند بعض خطباء المساجد إذ يعان في الصحف السيارة عن خطبة سيلقيها في مسجد سيدى الار بعين!

وقدكان أن وزعت فى بعض الأمسية نشرة مفصلة للدعوة إلى سلسلة محاضرات تلقى فى صالة الدراسات العليا بجوار السوربون. وكانت موضوعاتها شائقة ، منها: هل يشعر الأموات ? ومنها: هل تتكلم الأرواح ؟

ذهبت لاستماع تلك المحاضرات فاذا رجل يلقى عظة دينية ، وقد حضر لاستماع عظته عدد غيير قليل من الرجال والنساء وكان يلقى السؤال ثم لايضطرب في جوابه لأنه كان يفزع إلى التوراة فيستنطقها الجواب ، وكان الناس كلهم في سكون وإنصات . أما أنا فكان يغالبنى الضحك كلما سمعته يقول قالت التوراة ، وكنت أقول

فى نفسى : ماعسى أن تصنع قالت التوراة فى باريس ، وخاصة بجوار السوربون ؟!

ثم مر أحد مساعدى المحاضر فأعطى كل جالس ورقة صغيرة وسأله أن يكتب عنوانه إذا كان يهمه أن ترسل اليه خلاصة المحاضرات مطبوعة ، فأعطيته عنوانى ، و بعد ثلاثة أيام تلقيت من ساعى البريد خلاصة تلك المحاضرات

ومنذ تلك اللحظة أخذت أتعرف إلى باريس من الوجهة الدينية وكان مفهوما عندى وعندك وعند أكثر المصريين أن باريس ودعت الدين منذ أزمان. وما كان أشد دهشتى حين رأيت أن أهالى باريس مؤمنون إلى حد التنطع والجمود. وقد عرفت بذلك أننا في مصر خدعنا أشد خداع في فهم فرنسا من الوجهة الدينية فان القوم لم يزالوا مؤمنين ، ولاتزال كنائسهم عامرة يغشاها جماهير عظيمة من الشباب والكهول. والخلاعة الفاشية في باريس لاتشمل الاطوائف قليلة من الشبان الفارغين الذين يعجزهم أن يقضوا أمسية الفراغ وأيام الآحاد في عمل مقبول

وفى باريس جمعية كبيرة تسمى « جيش الخلاص » وهى جمعية دينية يقوم عملها على أكتاف عدد عظيم من الآنسات المهذبات وأولئك الأوانس ينقسمن إلى طوائف منظمة ، تذهب كل طائفة إلى حى من أحياء المدينة ، وهناك يقف ذلك السرب الأنيس ويأخذ في إلقاء الأناشيد ، في جتمع الناس من شيب وشبان ورجال ونساء

وإنى أوكد لك أنها لاتفهم جيدا خطر هذه المهمة ، فان كبار الاشياخ يظنونأن الامر لايزيد عن إيجاد مرتزق للعلماء ، ولو أنهم عرفوا أن الواعظين يستطيعون أن يشغلوا الناس بأنفسهم ويحملوهم على التفكير في معاشهم ومعادهم ؛ لرأينا لتلك الحركة الطيبة بودر قوة ونهوض

أليس عمل الواعظين في جوهره يرجع إلى إيقاظ ما خمد من النفوس ، و بعث ما اندثر من حرارة القلوب ؟ فأخبرنى إذن أين المؤلفات الجديدة التي تصلح لجماهير أهل الريف ، والتي تبث فيهم الثقافة الاسلامية بلا مشقة ولا عناء ؟

إن الوعظ لاتظهر ثمـاره إلا إذا رأينا الاهالى فى شغل بصقل أخلاقهم وإحياء ضمائرهم و تعهد أنفسهم وصيانتها من الكذب والغش والبهتان و تلك مهمة شاقة لايكنى فيها ذلك العدد الضئيل الذي عينته وزارة الاقاف

· ※ **※** · ※

بقيت مسألة أحب أن أعرضها عليك؛ هنالك كما تعلم أنواع من التسهيلات يعطاها الموظفون بسبب الفرائض الاسلامية. فهل ترى من الذوق أن ينتفع الموظفون بتلك التسهيلات دون أن يقيموا وزنا للفرائض ?

هنالك التخفيف الذي يمنحه الموظفون فيشهر رمضان. فهل

من الذوق أن يستهين بعضهم بكرامة شهر الصوم ويتمتع فى مكتبه بالقهوة والدخان ? إن هؤلاء بين اثنتين ؛ إما أن يحترموا الصوم وينتفعوا بالتخفيف ، وإما أن يحضروا إلى مكاتبهم فى الساعة الثامنة صباحا ولهم ما شاءوا من القهوة والشاى والدخان . أماهذه الوقاحة الاجتماعية فشىء تضيق له الصدور!

وكنت أحب أن أعرض للعطلة الظريفة التي يتمتع بها موظفو دار الكتب المصرية يوم الجمعة ، والتي تحرم الجمهور من المراجعة نحو ثلاث ساعات ،كنت أحب أن أعرض لهذا ، ولكني أعرف أنموظني دار الكتب أكثرهم أشياخ يحرصون على أداء الفريضة وليس فيهم رجل واحد يدخل في زوايا القهوات فرارا من الصلاة! إقرأ هذا ياسيد أحمد وتأمله ، ولا ترم أخاك بالجمود فانني لأحب أن تعفو الديار المصرية من تقاليدها الجمدة ، لتصبحه ليس

إفرا هذا ياسيد الممدد و المله ، ولا ترم الحال بالجمود قائلي لأأحب أن تعفو الديار المصرية من تقاليدها الحميدة ، لتصبح وليس لهاماتناً دب به إلا الروايات السخيفة يمضغها الشبان فى الغدو والرواح

وقد بينت لك أن أوربا لم تكفر حتى يطمئن إلى الكفر من يقلدونها فىكل شىء ،إن أوربا هى هى فىروحها وصميمها ، وكل ماتسمعه عنهامن أخبار الهزل والبطالة والمجون لايمثل إلا جانباصغيرا لايستطيع البقاء إذا جد الجد وجاء يوم النضال

على أن أوربا تعذر إذا لهت ولعبت فاؤلئك قوم كادوا يجنون من الجـد والنشاط ولا بد من الاستجام ، أما نحن فما عذرنا وقد أقبلنا على الشهوات دون أن يكون لنا بين الحازمين مكان الدهماء الذي يعتمد في فهم الحلال والحرام على ماسنت الديانات. والشرائع، أو العادات والتقاليد

فتأمل هذا وانظر أين نحن من أولئك الناس في سياسة الجماهير لقد أخذنا ننصرف عرب تراثنا الروحى في لهو وسخرية ، وقل منا من يتوجه إلى المساجد بقلب خاشع ، وطرف دامع ، وقد درجنا مع الأسف على تقدير أن من البدع أن تزخرف المساجد وتدخل فيها آيات الرفاهية . وحجتنا في ذلك أن مساجد الأولين كانت خشنة لاترف فيها ولالين ، وفاتنا أن نذكر أن وسائل الأولين كانت قليلة وأنهم كانوا أفقر من أن يزينوا مساجدهم ويصيروها صالحة لاستقبال المترفين ، وهؤ لاء المترفونهم أحوج الناس إلى الرياضة الروحية ، وهم قوة هائلة يحسب لها ألف حساب ، فمن الحزم وحسن التدبير أن نقربهم بشتى الوسائل إلى بيوت الله .

إن الموسيقا تعد أكبر جاذب لرواد الكنائس ، ونحن كما تعرف لم نألف رنين الأوتار فى المساجد, ولكن لدينا مايغنى عنها:

لدينا تلك الأناشيد الروحية التي طالما هزت قبلوب المصلين، وأنا أذكر أنك كنت تختار جامع قيسون لتسمع الشيخ عبدالشافي ولعلك كنت تتأثر خطوات أستاذنا المرحوم محمد بك المهدى إذكان يجب الصلاة هناك فهل تظن أن أولى الأمر في وزارة الأوقاف يفكرون في إغناء المساجد بالقارئين والمنشدين من أصحاب الأصوات

الرخيمة و وهل تقدر أن صلاة التراويح في رمضان تجد من الراغبين ماكانت تجد في سالف الآيام و

ستقول: إن الزمن تغير ، ولكنى أقول لك : إن الناس ممالناس ولا تزال أرواحهم فى ظمأ تتلهف إلى من يسكب عليها قطرة من عصير الاخلاص، فمن للجهاهير الاسلامية بمن يفكر فى ردها إلى تلك الآفاق العلوية التى حرمت جلالها وبهاءها منذ هجرت البيوت والمساجد ولجأت إلى القهوات والحانات

لقد أكثر الناس من مطاردة الصوفية ، ولهم بعض العذر ، فقد كثر أدعياء التصوف حتى أفسدوا ما كان له من رونق وجلال ولكن هل من العدل أن ننسى أن الصوفية كانوا أخبر الناس بسياسة الجماهير ؟ إن الصوفية هم الذين حفظوا تراث الأولين ، وأذاعوا بين أتباعهم ومريديهم فكرة الحقوالخير ، وحببوا اليهم التحلي بمكارم الا خلاق

وقد تقلص ظل الصوفية من أكثر الاقاليم ، أفتدرى ما الذى حل بالاهلين إلقد شاعت فى الارياف بدعة فتح القهوات ، وصار الفلاح يعرف كيف يمسك (الجوزة) وكيف يتحدث عن المخدرات وكان منذ أعوام يخرج من منزله فيصلى العشاء ويقرأ الاوراد ثم يعود إلى بيته فى طها نينة وسلام . فأى الحالين خير إو أيهما أجدى فى حفظ الصحة والعرض والمال ؟

لقد فكرتوزارة الاوقاف أخيرا فى تعيين طائفةمن الواعظين

تعرف داء الأمة رفقا بنفسه من مطالعة آثار الرذيلة، ولكنا نعرف أن الطبيب يجرم أفظع جرم إن نفر من رائحة الجروح، وليس جرم الكاتب بصغير إن نفرته مناظر الفاحشة عن درس الأصول الأولى للفاقة والبأساء، وكما أن الطبيب يمضى في العملية الجراحية غير حاسب أى حساب لما يسديه اليه المريض من الشتائم كلما آلمته المشارط، فان الكاتب المخاص يضع (سمعته) نهبة لشتائم الصارخين من مرضى النفوس، وكلما آلمهم قلمه فسبوا وشتموا تذكر أن القلم في يده كالمبضع في يد الطبيب، وأنه يجب أن ينسى نفسه، وأن يعرف أن عدوه هو المرض الذي يحاربه في شخص المريض، وأن يعرف أن عدوه هو المرض الذي يحاربه في شخص المريض، وأن هذا المسكين لايشتمه بصدق، وأنه سينظم له عقود الثناء بعد ذهاب الداء

* *

كانت الليلة الأولى فى شارع عماد الدين ، وكانت الليلة الثانية فى مصر الجديدة ، وكنت فيهما ذلك الفارسى الذى تخيله (مو نيسكيو) يجوس خلال باريس ، فينكر الناس ماله من زى غريب ، وينكر ما للناس من خلق غريب!

دعانى للمرة الأولى حسن افندى فائق لاسمع أنشودته فى صريع. الكوكايين ، فأجبت الدعوة كارها غير طائع ، ولم أكد أدخل الملعب حتى التهمتنى العيون ، فمن قائل جاء ليلقى عظة فى النهى عن.

الموبقات، ومن قائل ياعجب اللهو لم ينج من عدواه المعممون!! فصحت فيهم إنما جثت لمقابلة حسن افندى فائق صاحب أنشودة «شم الكوكايين»!! فتقدم إلى بعض العاملين في المسرح وقال: لقد انصرف حسن افندی ، وقد یعود بعد قلیل ، فان شئت شربت فنجانا من الشاى وانتظرته حتى يعود، وكانت الليلة شاتية، وكان الشاى فيها خير مشروب فأخذت أتخير مكانا بعيدا عن «همسات» الحاضرين وغمزات الحاضرات!! وماهي إلالحظة حتى صرخ صارخ «اضبط! هذاصاحب مدامع العشاق!» فالتفت فاذا عفريت الليل عن يميني، وابن الهوى عن شمالى ، كا نهما منكر ونكبر ، أورقيب . وعتيد! قال عفريت الليل: من أتى بك همنا؟ فقلت وأنت من أتى بكهمنا ؟قال ، أناصحني أحرر جريدة أسبوعية ! فقلت وأنا صحفي أحررجريدة يومية! فما لك تشاركني في الفعل وتفردني بالعجب؟ أثم دعاني إلى تناول الشاى معه في مكان من الراقصات قريب!

جلسنا نتحدث ، ولكنى منحته أذنا غير واعية ، وأقبلت بسمعى وبصرى وقلبى على تلك القطع المختارة من شعر الوجود ، فانالنساه ياصاح قصائدمسطورة فى سجل الحياة ، وأصحاب المراقص يتخيرون من هذه القصائد أعلقها بالنفس ، وألصقها بالقلب ، وقد خيل إلى ساعتذ أنى لم أحضر إلالدرس هذه الطرف البديعة لاتبين السر فى « ضلال » من فتنته الحدود ، وسحرته العيون ، ولاعذر وقتلى الحسن ، وصرعى الجال!

إنه لامانع من محاكاة أوربا في لهوها ولعبها ، على شريطة ان يكون لنا ما لها من مغارم المجد ، وأن نشق كماتشتى في خلق أسباب الظفر والقوة ، وأن نقاسمها الجد في السيطرة على أقطار الأرض ومسالك الهواء

والسلام عليك ياصديقي وعلى من لديك من أفاضل الزملاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٠

ليــــــلة وليــلة

أزهرى يصف المرقص

رأى الكاتب المرقص الحديث لأول مرة وهو شيخ يلف على رأسه العهامة ويرتدي الجبة والقفطان ، وكان ذلك فى أوائل سنة ١٩٣٧ فكتب فى وصفه هذه الرسالة الساذجة التى تمثله وهو يفتح عينيه على فتن الوجود في دهشة وانجذاب

صحبت عفريت الليل (۱) » الى حفلة راقصة فى مصر الجديدة ، وكنت مدعوا لهذه الحفلة كما دعيت الآختها من قبل فى شارع عماد الدين ، وقد غالبت حيائي عند إجابة الدعوة الأولى ثم غالبته عند إجابة الدعوة الأولى ثم غالبته المعاذير!! إجابة الدعوة الثانية : وخلقت لنفسى ماشاء الهوى من شتى المعاذير!!

(۱) هو لقب الصحفي مصطفى اسهاعيل القشاشى وكانت مشاهداته تذيل بهذا الامضاء وإنى لمحدثك عن المرقص الأول والمرقص الثاني ، تلبية للصديق العزيز عفريت الليل!ولكني أتقدم هذا بأبلاغك ماجال في خاطرى عند تسلم بطاقة الدعوة ، فقد أعرف أني شيخ وأعرف أني في نفسي من حماة الدين الحنيف، والله عليم بذات الصدور، ولكني تذكرت بجانب ذلك أنى صحنى ، وأن المهنة تقضى على بارتياد مواطن الشبهات، ومواقف التهم ، لأرى كيف يعيش الناس ، و الأقابل بين ماأراه على لوح الوجود وما أراه على لوح التاريخ!!وعندى أن الصحفي كالطبيب: فكما يجوز للطبيب أن يرى أجمل ما تستر المرأة ليقف على موقع الداء يجوز للصحني أن ينظر أغرب ماتكتم الأمة ليقف على موطن الداء. ولا فرق بين هذا وذاك. إلا أن الطبيب يعالج الجسوم والصحني يعالج العقول. فمن الجناية. أن يتورع صحفي أوطبيب عن الوقوف على بواطن الأشياء. وهو عن فهمها مسئول !

وتذكرت أني كاتب، والكاتب كالمصور، لاغنى له عن رؤية كل مكنون، وإن يعذره أحد إذا أخفق في تصوير الغرائب المستورة والعجائب المكنونة بحجة الدين والاخلاق، لأن الفنان لادين له إلافى قرارة نفسه، ولاخلق له إلافى أعماق ضميره، وهو غالبا فاسق النظر فاجر البيان!!

ولتن جاز للطبيب أن يحجم عن إسعاف المريض إشفاقا على نفسه من رائحة الجراح القديمة ، فقد يجوز للكاتب أن يحجم عن.

رأيت من بين الراقصات فتاة فرنسوية ، وأخرى إسبانية ، وثالثة مصرية ، وقد رأيت الفرق واضحا بين هؤلاء الأوانس ، وأظهر مايكون الفرق فى الحركات ، فللفرنسويات والاسبانيات حركات فى الرقص تشبه حركات الجنود فى ميادين الحروب! ولا هم لهؤلاء الفتيات حين يظهرن على المرقص إلا أن يبهرن الانظار بخفة الحركة وسرعة الدوران ، فى حين أن الراقصة المصرية لا هم لها إلا لفت الأنظار إلى خصرها النحيل ، وردفها الثقيل ، وخسدها الأسيل وطرفها الكحيل ،

ترنو فتنقلب القلوب للحظها مرضى السلوصحائح الأوصاب ويحسب الرأق رقص الافرنج نوعا من الألعاب الرياضية ، إذ يرى الراقصات يتثنين بسرعة كائهن ثعابين ، ويختفين بسرعة كائهن شياطين! ولاتكاد الراقصة تبدوحتى تختفى فيحسب مثلى أنه كان في حلم وأن ما رآه طيف خيال!! ولايكاد الملعب يخلو من تلك الغادة اللعوب ، حتى يقبل الناس بعضهم على بعض يتساءلون: أى شمائل هذه الغادة أروح للنفس وأمتع للعين؟ فمن قائل شعورها الذهبية ومن قائل خدودها الوردية ومن قائل ثناياها اللؤلؤية ، ويسألني ومن قائل خدودها الوردية ومن قائل ثناياها اللؤلؤية ، ويسألني في هذه الفتاة؟ فأعتذر ، فيعيد السؤال فأكرر الاعتذار ، فيلح ، فأقول ويحك لم أرمنها شيئا ، لقد مرت كالبرق الخاطف ، فان شئت هاتها بين يدى ، أتأملها قطعة قطعة ، كا أتأمل القصيدة بيتا بيتا ، و كا أتأمل الرسالة فقرة فقرة ، و كا أتامل القصيدة بيتا بيتا ، و كا أتأمل الرسالة فقرة فقرة ، و كا أتامل

الكتاب بابا بابا ، ثم أحـكم أى ملامحهـا أحق بأن تسهد من أجله العيون ، و تعذب في حبه القلوب!!

أما الراقصة المصرية فهى ملككل عين ، وطوع كل قلب ، إذ تخطر في المرقص ، وكائم الغص الرطيب ، يعمث به النسيم العليل ، تقبل فاذا هي هيفاء ، و تدبر فاذا هي عجزاء ، و ترنو برفق إلى كل ناظر ، فيحسب كل امرى أنه مرمى طرفها الناعس ، ومهوى قلمها الخافق ؛ فيمسى وهو صريع!! وقد تتغنى وهي ترقص ، فيروقك ماتسمع وماترى ، حتى لتحسب أنها آلة موسيقية ، صورت من ماء اللؤلؤ ، أوصيغت من نهود الكواعب ، ثم تثوب إلى رشدك ، فتذكر أن هذه ليست آلة موسيقية ، بلهى إحدى اللواتي كان النيل يغضب قديما فلا يرضى حتى يضم إلى صدره واحدة منهن مفلجة الثغر ، وضاحة الجبن!!

حورا، إن نظرت اليك سقتك بالعينين خمرا تنسى التقى معاده وتكون للحكاء ذكرا وكائن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا وكائن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهبها وعطرا وكأنها برد الشرا بصفا ووافق منك فطرا وتطيل الراقصة المصرية في التثني، والتغني، حتى تهيج المشاعر والحواس، وحتى يقبح المدى، ويحمل الضلال، ولا كذلك

الراقصة الافرنجية ، فأنها تخطف البصر ، ثم تغيب. وقد تتغنى ولكنها تقتصر من الكلمة على حرف واحد ، ومن القصيدة على بيت و احد ، ثم تفر قبل أن تنقع الغليل!!

كيف السبيل إلى اقتناص غرائر يدمى بأسهم لحظها القناص بيض السوالف عذبة أفواهها ريا الروادف والبطون خماص يجرحننا بنواظر ما إن لنـــا منهن عنـد جراحهن قصاص ولم أجد هذا الفرق البعيد بين الراقصة المصرية والافرنجية إلا في مرقص عماد الدين، ففيه تظهر الفوارق بين النزعات الشرقيه والغربية. وكل حزب بما لديهم فرحون!

الليللة الثانية

أما مرقص مصر الجديدة ـ وياويلتاه من مصر الجديدة ـ فهو خاضع للبدعة الفرنسوية، لاتكاد الموسيق تصدح حتى تنتظم العذاري كأسراب الحمائم راقصات شاديات!

من بنات الروم لايكذبنا لونها المشرق عن منصبها فهى حسب العين من نزهتها وهي حسب الأذن من مطربها

تشرع الألحاظ في وجنتها فتلاقى الرى في مشربها

وإذا قامت إلى ملعها كمهاة الرمل في ربربها سألت أعطافها أردافها هل رأت أوطأ من مركبها وكائن الحسان في هذا المرقص، لايستطعن الرقص منفردات وكائن أقدامهن الصغيرة ، لا يستطعن حمل أردافهن الوثيرة! فلكل . فتأة فتي يطوق بيمناه خصرها النحيل ، ويسند بيسراه خدها الأسيل ثم يسير بهاضاحكة الثغر ، ناعسة الجفون . وكل فى فلك يسبحون!! ياليت شعرى وليت غير بجدية إلا استراحة قلب وهو أسوان لأى أمر مراد بالفتي جمعت تلك الفنون فضمتهن أفنان لكن غصون لها وصلوهجران تلك الغصون اللواتي في أكمتها نعم وبؤس، وأفراح وأحزان مستضعفات لهم منهن أقراب مناضلات بنبل لا تقوم له كتائب الترك يزجيهن خاقان سوءا وقد تفعل الأسواء حسان

تجاورت في غصون لسن من شجر و من عجائب ما يمني الرجال به يارب حسانة منهن قد فعلت تشكو المحب وتلغ الدهر شاكية

كالقوس تصمى الرمايا وهي مرنان وهذا المرقص ملتقي المحب والمحبوب. وليس العاشق في حاجة إلى أن يكون كان اللعتز حين يقول:

هل تذكرين وأنت ذاكرة مشى الرسول إليكمو سرا إن يغفلوا يسرع لحاجته وإذا رأوه أحسن العذرا فطرن يؤدى مايقال له حويزيد بعض حديثنا سحرا

بل يكني ان يتخذ له سحنة صناعية ، وأن تضع المعشوقة خرقة سوداء على وجهها المشرق الجميل كما يحجب البدر بالسحاب،أو كما تحجب الشمس بالضباب . ثم يتلاقيان: فلا يعرفهما رقيب و لا يشعر مما حسيب !!

وربما نظر امرؤ إلى فتاة فاطلع منها على كل مغيب مكنون «إلا الوجه الكريم» فتبعتها نفسه ، وعلق بها فؤ اده، وقد تكون أخته وما يدرى! الآن « أقطاب» هذا المرقص يبدلون خلق الله ، فيلبس الأمرد لحية بيضاء أو زرقاء وتتخذ الفتاة لوجهها من سود البراقع ماتشاء، وما ضر الفتي والفتاة أن تحجب من وجهيهما آثار الجمال مادام الخصر على الخصر والساق على الساق!

ولوكنت معنا هناك لفزت فوزا عظيها فقد حشرت في تلك البقعةفنون الملاحة وألوان الفتون. كما تحشر ضروب السحر في الطرف الغضيض! وكان (عفريت الليل) يوصيني بوصف تلك الليلة قبل أن تعزب عن البال! رويدك ياصاح! وكيف تنسى ليلة هي أنموذج لنعيم الجنة دار الخلود!وهل أنسى أنى ما نظرت أمامي أو عن يميني أو عن شمالي إلا رأيت الحسن منثورا نثر النجوم الزهراء في القبة الزرقاء ، أو نثر الزهور البيضاء في الروضة الغناء ﴿

لما مشين بذي الأراك تشابهت أعطاف قضبان به وقدود فی حلتی حبر وروض فالتتی وشیان وشی ربی ووشی برود وسفرن فامتلائت عيون راقها 💎 وردان ورد جني وورد خدو د

وضحكن فاعترف الأقاحي عن ندى

غض وسلسال الرضاب برود ولحظة واحدة ، فى تلك الجنة العالية ، تنسيك الدين والأخلاق ويكذب ثم يكذب من يزعم أنه لم يحسد أولئك الذين أنعم الله عليهم فخاصروا من يعشقون على مسمع من الرقيب ومرأى من الحسود!!

ألا ليقل من شاء ماشاء إنما يلام الفتى فيما استطاع من الأمر ولم يكن الحسن فى ذلك المرقص قاصرا على الراقصات. فقد كإن الفندق يموج موجا بالرائحات الغاديات

منكل ضاحكة الترائب أرهفت إرهاف خوط البانة الميساس فاذامشت ركت بقلبك ضعف ما بحليها من كثرة الوسواس وما زلت أحدق عيني فى كل رائحة وغادية حتى تألمت عيناى فكا نما أطالع ذكاء فى كبد السماء، وكنت كلما بهر تنى الثغور الضواحك وأسرتنى العيون الفواتك، أفكر فى جناية الجمال، على عشاق الجمال وعلى أهل الجمال. ثم أفكر فى فضل الجمال، على أعداء الجمال: فنى العالم مئات الألوف من القسيسين و الرهبان والعلماء تصرف عليهم المرتبات لأنهم يقلون الخطب الرنانة فى ذم الجمال، وأهل الجمال،

مر بخاطرى ذلك وأنا فى فندق هيليوبوليس فعرفت أنه كلما وجدت الرذيلة، وجدموجبللدعوة إلى الفضيلة، ووجد الوعاظ ما يأكلون. ثم استسلمت إلى التفكير العميق!!
والآن فى الساعة الثانية بعد نصف الليل ، وقد مضى على تلك الليلة
ست ليال ، أفكر من جديد فى جناية الجمال ، على عشاق الجمال ،
وعلى أهل الجمال ، ثم أطيل التفكير فى فضل الجمال ، على أعداء
الجمال!!

تعرض رسل الشوق والركب هاجد

فتوقظی من بین نوامهم وحدی وما شرب العشاق إلابقیتی ولاوردوافیالحب إلاعلیوردی

الازهر الشريف

--) --

في نهاية السكة الجديدة ، من الناحية الشرقية ، على يمين السائر حارة ضيقة توصل إلى مسجد جامع عتيق : هو الأزهر الشريف لاخلاف بيني وبين أهل مصر ، في أن هذا هو الأزهر . فقد زاره بعضهم لطلب العلم وزاره آخرون ابتغاء الاستطلاع . ومن لم يره منهم لا يجهل أنه في هذا الموضع وعلى تلك الحال ولكني على يقين من أن الاجانب في شك منه ، فأنهم يسمعون في بلادهم أن الازهر أكبر الجامعات الشرقية ، ومن أعظم المساجد

الجامعة الاسلامية، وأنه إن لم يكن أجمل مكان فى الشرق فهو جدير بعناية الامراء ، ورعاية العظاء ، فلا بد أن يكون قريبا من جامعات برلين ومدارس مو نبلييه ، وما إلى ذلك من تلك المعاهد ، التى ورثت عن منشئيه العلم، و تلقت عن مبدعيه البيان

لايهمنى أصدق الأوربيون أن هذا هو الأزهر إيمانا باغفالنا له و انصرافنا عنه، أم حسبوه مكانا غير هذا المكان ولو فى سماء الحيال ظنا منهم أن المصريين أكرم من أن يهملوا مسجدا جامعا مثل هذا المسجد الجامع وأجل من أن يغفلوا معهدا كهذا المعهد

نعم لا يهمني ذلك لآني لاأشك في أن هذا هو الآزهر الذي نفتخر به ، ونغضب له ، وإنكنا عنه معرضين

تدخل فى هـذا المسجد الجامع فلا يروقك فيه شىء، أرض منخفضة وسقف غير مرفوع ، وأعمدة قصيرة كاعمدة المقابر ، وحيطان قاتمة ، كيطان الأجداث ، ونو افذ بخيلة بالضوء ضنينة بالهواء ومصايح ضئيلة ، لا تقتل الظلمة ، ولا تكشف الغمة ، وهوأ حوج إلى أكبر منها فى النهار المبصر . فكيف به فى الليل المظلم ! لافرش له إلا الحصير الممزق والتراب المكدس والناس فيه مابين آمل غير واجد ، أو زارع غير حاصد ، لاطمع لهم فى مناصب الحكومة ولا أمل لهم فى إسعاد الأمة ، وقد يتسوا من إنصاف الوزراء وإنجاد الأمسراء

ثم تراهم لا يصدقون أن لهم شيوخا يعطفون عليهم ، أو رجالا

يرأفون بهم، فهم لايعرفون آباء غير آبائهم ، ولاأعماما غير أعمامهم، وكذلك ينكرون جميعا قول الشاعر :

أقدم أستاذى على نفس والدى

وإن نالنيمن والدى العز والشرف.

فذاك مربى الروح والروح جوهر

وهذا مربى الجسم والجسم كالصدف

إنهم لا يعرفون هذا الشعر ، لأن الشيخ الذي سلف ، والشيخ الذي خلف ، لم يرفعا عنهم شيئا من الضر ، ولم يسوقا إليهم نوعا من الخير ، فهم اليوم مثلهم بالأمس ، أكثر شقاء وهما ، وأكبر عناء وغما ، لأنهم يرون الناس في تقدم ويرون أنفسهم في تأخر ويرون المدارس يعمها العدل ، والأزهر يخصه الظلم ، ثم يرون لكل شهادة أثرا في الحياة وقيمة في الوجود ويرون شهادتهم ورقة لا كالورق فهي مزينة ولكن بالمواعيد الكاذبة ومزخر فة ولكن بالأيمان الحائثة ، حتى كائها قطعة من معاهدة الصلح لايضمن لمن أنصفته سلام ولا يرجى لمن نصرته قيام ، وكأن مجلس المشيخة هو مجلس الشيوخ ، وهم قد شبعوا من المجد الموهوم ، والشرف المعدوم فاعادوا يصدقون بأن شهادة الأهلية أو شهادة العالمية حرز من الفقر وأمان من الدهر

ظلعربية ، ولولا أن الأجانب يصفو عيشهم على ضفاف النيل ، وفى سفح الأهرام ، لظنوا أنفسهم من الجاليات الأوربية أو الامريكية وقد بحثوا كذلك فى سبب شقائهم ومصدر بلائهم فلم يهتدوا إلى موجب صحيح أو داع معقول . اللهم إلا حياء ظنه الناس من الجبن ، وحلماحسبوه من الذلة ، وهم لا يستطيعون أن يرجعوا ذلك إلى حبهم للوطن، وعشقهم للحرية ، وبغضهم للظلم، فان ذلك مشترك بين عامة الناس وشائع فى كافة الأجناس

فلم يبق إلا أن يكون الأزهر شقيق الهم ، وحليف الغم لا يدخله امرؤ إلا تقوس ظهره ، وتقوض عمره ، ولا يفزع إليه فتى إلا تزعزع كيانه ، وتضعضع بنيانه

وهو بفضل إغفال الحكومة جدير بأن يقتلكل شاب تضمه جدرانه ، ويذهب بكل بصر ينظر فيه صفحة منكتاب ، أو فقرة من خطاب ، وكذلك لن يزال بفضل الشيوخ ، مبعثا لظلم العواطف ، وقتل المشاعر ، يقرأون فيه العلم ، فيتعرفون به الظلم ويتدارسون فيه أخبار الاسلاف ، فيئنون من جور الاخلاف

كانت مدة الدراسة فى الأزهر الذى وصفناه اثنى عشر عاما فرأت المشيخة أنها لا تكنى لتضييع العمر، وتقويس الظهر،فزادتها أعواما ثلاثة، فصارت خمسة عشر

من هذا يشكو إخواننا طلبة الأقسام النظامية ، في المعاهد الدينية ، وقد رأت لجنتنا الجديدة ، أن لاتنام لها عين ، ولا يهدأ لها

قلب حتى ترجع المشيخة عن هذا القرار الظالم ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه

إن طلاب الآزهر لا يعرفون غير متاعب الحياة: فهم في سنى الدراسة يعانون الآلام بين الكتب المعقدة ، والدروس المتعددة ثم إذا اجتازوا عقبات الامتحان بعد العمر الطويل والهم الجزيل دخلوا في حياة لاحظ لهم فيها غير حظ الأعزل من النصر ، في ميدان كله رماح طوال ، وسيوف صقال ... وهل بعد ذبول الأغصان ، وكلال الأجفان ، وتقوس الظهر ، وتقوض العمر ، غرض يرجى نواله ، أو هم يبتغي زواله!

هؤلاء هم الأزهريون الذين كانوا يملاؤن البلاد علما وحكمة لو أتيح لهم التغلب على مصاعب النظام القديم والحديث . هؤلاء هم الأزهريون الذين كانوا مادة الحياة العلمية في عصر الظلمات ، وهم أصل النور في هذا العهد الجديد ، هؤلاء الأزهريون يبادون بمل أفواههم؛ أن خذوا بيدنا أيها القائمون بالأمر ، فلا يستمع لهم أحد! ولكن أيغلب اليأس الرجاء ، ويغدو الأمل صريع القنوط؟ إن هذا لعيد .

نقول الآن — وسنظل على هذا الرأى حتى حين — إن النبوغ الذى امتاز به بعض الأزهريين في الزمن القديم أو الحديث ، ليس أثراً من آثار الادارة التي تولاها زعماؤه الاقدمون أو المحدثون ، ولكنه أثر من آثار الذكاء الذى انفرد به بعض الشبان الذين هيأت لهم ظروف خاصة أن يخرجوا على التقاليد البالية ، وأن يشاركوا مهم ورالمبدعين في العلم و الادب ، وأن يتركوا الانفسهم أثر آيذكرون . به في العالمين .

فان كنت فى شك من صواب هذا الرأى؛فاقرأ إن شئت تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده ، وانظر كيف تأثر بالتعاليم الحديثة حتى صارعلمآيم تدى به ، أو احضر دروس الاستاذالشيخ يوسف الدجوى لترى كيف استعان الفلسفة الحديثة ، لفهم الفلسفة القديمة ، أو خالط النابغين من علماء الازهر الآن ، فانك لن ترى نبوغهم مصبوغا بصبغة العلوم التى يتلقونها فى ذلك المعهد القديم ، بل تراه مطبوعا بطابع الزمن الذى يعيشون فيه ، والذى كان يجب أن يكون التعليم فى الازهر مصبوغا به ، ومطبوعا عليه ، لو وجد هذا المعهد من يعنى به من زعماء الاصلاح

فى الأزهر الآن جماعة من عشاق النهوض ، تراهم إذا زرت

الجامعة المصرية ،أو مدرسة الأزهرالفرنسوية ، تراهم فلا تشعر بغير الاعجاب بهم والاعظام لهم ، ولكنك تشعر بعد ذلك بكثير من الألم الممزوج بالاشفاق؛ إذا قيل لك إن هؤلاء قد يحسبهم زملاؤهم وأشياخهم غير مهتدين!!

وقد زعمت ليلى بأنى فاجر لنفسى تقاها أوعليها فجورها هؤلاء الشواذ - فيما يرى بعض الشيوخ - هم زينة الأزهر فى القديم والحديث ، وهم الذين اضطروا القائمين بالآمر فى المعاهد الدينية إلى ان يتأملوا قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه «علموا أبناءكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم » وهم الذين تذهب نفسهم حسراتكلها رأوا وقوف الأزهر عند مبدته العهيد ، وشهدوا الزمن يمشى بأهله إلى ذرى المجدد الشامخ - ألا إن التقدم حركة ، فويل للواقفين!

كل ما فى الأزهر من علم وكل ما فيه من أدب ، إنما هو من آثار الذكاء الذي قبره الزمن فى تلك البقعة المحجوبة عن النور والضياء وليس لتلك الادارة المهدمة الجوانب غير ما نراه من عموم الجود وشمول الخود! فمتى يبعث الله لهذا البيت العتيق من يأخذ بيده من تلك الهوة التي تردى فيها بفضل ما لأبنائه من عقوق ؟ ومتى يتحقق الأمل فى عشرين ألفا من الرجال ، قضى عليهم الجد العاثر والنجم الآفل ، أن يكونوا وقوداً للهيب الهمجية ؟

اللهم غفراً !! يزهر العلم في كل بلد ؛ ويتقدم أهله في كل قطر

ويكون حظ الأزهر من بين جامعات العالم كحظ مصر من بين الأمم . ثم يعيش الأزهريون عيشة النائمين : لاهم أحيا، فينتفعوا بما في الكون من مظاهر الحياة ، ولا هم أموات فيحظوا بما بعد الموت من نعيم!

تلك آمالنا قضى عليها الاهمال، وهذى آلامنا يضاعفها إصرار (المصلحين) على دفننا أحياء في تربة اليأس القاتل، ولكنا سندفنهم بحول الله فيما ندفن من بقايا الخنول! فهل أدلكم على سبيل النجاة أيها الرفاق المتألمون؟

عليه بالنظر في كتب المتقدمين من الشرقيين ، والمتأخرين من الغربيين ، ثم اتركوا الحشالة التي جاءت بين هذين العهدين لحضرات الزاهدين في التجديد ، إنكم إن فعلتم ذلك ظهر تم عليهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

لقد آن للا ممة المصرية أن تنظر فى نظام الازهر ، وحياة الازهريين فانه لم يبق شىء من خرافات العصر المنصرم ، يوم كان الناس يظنون أن الازهر باب الرحمة ، ويوم كانوا يحسبون أن الجلوس فى حلقات العلم ضهان من الفقر وأمان من النار ، ويوم كان العامة ينسبون لشيخ الجامع حركات الافلاك و نظام الكواكب كل ذلك قد تبدل ، وأصبح الناس أمام أمر واقع ؛ وهو أن الازهر

معهد على يجب أن ينال من الأنظمة النافعة ما يضمن له البقاء و الثبات جالس من شئت من العلماء ، وحادث من أردت من الطلاب فلن تجد غير اليأس القاتل ، والهم الشامل ، ولن ترى لهم من أمل فى غير الحياة الثانية وهم الذين خلفوا ليكونوا زينة الآخرة والأولى هل تتفضل المشيخة الجليلة فترينا قائمة الأعمال التي أصلحت بها نظام الآزهر في العهد الأخير ؟ وهل يتفضل القائمون بالأمر في فيفصحوا لنا عن نياتهم في الاصلاح المنشود ؟ وهل هم جماعة منهم بدرس نظام الجامعات حتى يعرفوا ما هم عليه ، وما يحتاجون اليه ؟ وهل راقبوا الله في النفوس التي قضى عليها أن تكون تحت إدارتهم؟ وهل فكروا في نتائج التهاون الذي يرتعون في أرجائه الفسيحة ؟ وهل فكروا في نتائج التهاون الذي يرتعون في أرجائه الفسيحة ؟ السعادة لامنعاً للشقاء ؟ !

أيروقكم أن نحسبكم مشغولين بما أسبغ الله عليكم من النعمة كما يتحدث بذلك من يتأمل فى حاضر الأزهر وماضيه و فهل أنتم ناظرون فيما منى به هذا المعهد من التأخر و الانحطاط ؟ وهل تبيض وجوهكم أمام الله وأمام الناس وأمام التاريخ بما تعتزمون المضى فيه من إلحاق الازهر بالجامعات التى سامته فيما سلف حتى سمت عليه ؟ وهل نجد فى المستقبل الباسم ، ما ننسى به هذا الحاضر العابس ؟

لقد طفح الكيل، وأغرقت الأمانى في بحور اليأس، وأصبح

الأزهريون وكأنهم من أمة غير هذه الآمة ، وقطر غير هذا القطر وإلا فلماذا يحرمون وحدهم مما يتمتع به غيرهم من الأمل الضاحك والعيش النافع ?

هذه كلمات نكتبها ونحن آسفون ، وكنا نود لو أن شيوخنا أغنونا عن التفكير في غير العلم ، ولكنهم أرادوا ألا نقرأ صحيفة في كتاب إلا ونحن محزونون ، وأن لا نخط سطراً في صحيفة إلا ونحن متألمون!

فيارب هل إلابك النصر يرتجى عليهم وهل إلا عليك المعول

__ 0 __

رغب المسيو فرناند فور الاستاذ بجامعة باريس ورئيس الجماعة التى استقدمت لامتحان الحقوق الفرنسوية بمصر أن يزورالازهر الشريف فسألنى حضرة أستاذى المسيو بابانى المحامى ان أرافقه فى هذه الزيارة فقبلت ذلك ، واقترحت تأخير الزيارة أسبوعاحتى يعود الطلبة إلى الدروس وكانو اإذ ذاك فى مسامحة المولدالنبوى وحددنا للزيارة يوم ٢٧ نوفمبرسنة ٢٠ ٩١ فى اليوم الثانى من عودة الدراسة وكنت أظن أن الدروس إن لم تكن تكاملت فى اليوم الأول فلا بد أن تتكامل فى اليوم الثانى ولكن خاب هذا الامل وتبين أن بد أن تتكامل فى اليوم الثانى وأن الطلبة إلى الكسل مخلدون!

بين القادمين والمستقبلين. وكنت عزمت أن أتأمل نظرات هؤلاء الزائرين لهذا البيت العتيق عساني أعرف ما نحن عليه ، وما نحن في حاجة إليه ، ولكني لم أمش بضع خطوات حتى خيل إلى أن هذا المعهد بقية من بقايا العصور الذواهب ، وأنه يجب على أن أفهم هؤلاء الناس أن الجامع الذي يجوسون خلاله ليس معهدا للعلم ولا مسجدا للصلاة ، ولكنه طرفة عادية (أنتيكة) يؤمها المتشوفون لآثار الزمان الغابر!

وما ظنك أيها القارىء بمسجد ليس فيه من الحصير مايتي الجالسين عنت الرطوبة التي تكمن في مثل هذا المكان الذي ينخفض عن الشارع مترين في بعض نواحيه ؟ وماذا عسىأن أجيب به هؤلاء الزَّائرين إذا قال قائلهم: ما بال طلبة العلم عندكم يجلسون على الحجر العارى من الغطاء ? وكيف أصبر على نــظراتهم إلى الـطلبة الذين يتململون من قسوة المكان الذي يجلسون فيه ساعات وهو قاتل و وكم تمنيت وقتئذ لو أن أعضاء المجلس الأعلى للا زهر والمعاهد الدينية حضروا هذه الزيارة الجميلة ، ليشرحوا لهؤلاء الاجانب السبب في جعل الأزهر مقبرة لطائفة كبيرة من الطلاب! ولعل منهم من درس في الجامعات الأوربية أو الامريكية ، ورأى في ألهـ ق تلك الجامعات ما يصرف الطلبة عن العلم الصحيح ؛ فيبين للزائرين فضل الخشونة على العلم، ويكشف الغطاء عن الصلة بين الظلمة التي تغشى جوانب الآزهر ، وبين نور العلم الذي يهديه للناس!!

هاتوا شبابي أيها الرؤساء ، فقد ذهبت به أيام الأزهر السوداء! هاتوا أملي فقد ذوت أغصانه في ذلك البيت العتيق!

كانت هذه الخطرات تمرح فى ثنيات نفسى وأنا أصحب أولئك الزائرين ، وكنت كلما غلب على الخجل لبعض دلائل الاهمال ، أرفع بصرى إليهم وأقول بصوت خافت : «لقد فكر أولو الأمر فى إصلاح الأزهر وسيفرشونه بالأبسطة الفارسية بعد حين! » غير أن هؤلاء الفرنسويين على جانب عظيم من أدب الخطاب فكانوا يقولون : « إن التجهم الذى يستقبل به الأزهر زائريه قطعة من جماله ، لأنه ممثل عهدا من عهودالناريخ »

مرحى مرحى! يسركم منظر الازهر لأنكم ترون فيه مظهرا من مظاهر الحضارة القديمة ، وما يضيركم لو أصبح الشرق كله رواية تاريخية تقرؤون حديثها في كتب الغرب ، وتنظرون شخاصها في مصر وفي فارس!!

__ 7 __

وإن تعجب فعجب قول بعن الأزهريين: اجتهدفي أن تفهمهم أن الازهر أقدم جامعة علمية ، ألا فلتطمئنوا ــ من هذه الناحية ــ فقد أفهمتهم أن الحضارة الشرقية أصل للحضارة الغربية ، وأن الأزهر مصدر العلم الذي ينعمون به الآن . . ولكن هل أستطيع أن أقول

لهم إن نظام الآزهر خبر من نظام السوربون ، وإن الحصير الممزق الذي يجلس عليه الطلبة هنا خير من الآرائك التي تتكثون عليها هناك ، وأن الأحجار المنثورة حول الآزهر يتعثر فيها الطلبة في الغدو والرواح ، أجمل من الحدائق المحدقة بالسوربون يشم شذاها الطلبة في الضحى والأصيل ، وإن الكتب المملوءة بالاغلاط والتي ترد البصر وهو حسير ، أنفع من الكتب الممتعة النفيسة التي يقرؤها الفرنسيون ، وهل أستطيع أن أقول : إن جامعة الأزهر في بؤسها الفتاك ، خير من جامعة باريس في نعيمها المرموق !؟

حقا إن فينا من يقنع من المجد بالطلل الدارس ، والرسم الطاهس، وفينا من يرضى اللفظ وإن باد معناه ، ويقنع بالاسم وإن ضاع مسماه ! فيارحمة الله لهذه الأمة الآفلة النجم العازبة الحلم !!

-- v --

مشينا ننظر ذات اليمين وذات الشمال ؛ لنتبين في وجوه الطلاب دلائل الجد والنشاط ؛ وأنا أعلم أنه ليس للطالب الأزهرى مثيل في صبره على أعباء الحياة العلمية ، وكذلك راقنا منظر أولئك الجادين في البحث والتنقيب ، وسرنى أن ليس لهؤلاء الفرنسويين معرفة باللغة العربية ؛ حتى لإ يصح لديهم أن البكتب التي بأيدى الطلاب تماثل ما في شكل الأزهر من الغلظة والجفاء!

ولقد بدا لنا أن نزور دار الكتب الأزهرية ، وكانت الساعة نم تصل إلى النصف بعد الظهر ، ففوجئنا بأن المكتبة أغلقت ، وأن لا سبيل إلى زيارتها إلا فى ضحى الغد ، فأخذت أفكر فى أمر هذه المكتبة التى لا يتمتع بها أحد من الناس ، والتى تشبه دار الآثار فى أن لا حظ لاحد منها إلا أن ينظر مااشتملت عليه بدون أن تنالها بمناه ، أستغفر الله ! بل تشبه الرسوم الدوارس ، ليس للمر ، من حظ إلا أن يعرج عليها فى الغدو والرواح

- ^ -

عدنا في اليوم الثاني مبكرين لزيارة المكنبة الأزهرية. فدخل الزائرون وهم يتحرقون شوقا إلى الوقوف على حركة التأليف عند العلماء، وأخذوا يسألون عن الكتب القديمة والمؤلفات الحديثة، فقلنا لهم: إن هذه المصنفات يغلب عليها القدم إلا بعضا منها مثل كتاب التوحيد للاستاذ الشيخ حسين والى ، ولكن الأزهريين لا يعرفون شيئا عنه لأنه في رأيهم قد خلص المسائل العلمية من المناقشات اللفظية ، وهم لا يزالون مضطرين إلى طرائق البحث القديمة ليجتازوا الامتحان!

وهنا أكل إليك أيها القارى، وسمف ما يجده مثلى من الحجل في مثل هذا الموقف فقد تعرف أن الفرنسويين يعدون الكتاب

قديما إذا مرت عليه نست سنوات ، وهم لا يرضون عن العالم إلا إذا ترك ثروة علمية ، فأما علماء الأزهر فقلما يعنون بالتأليف ، وكذلك كانت المكتبة خالية من كل ما يصل بين الماضي والحاضر!

كنت رأيت أن لا أتم وصف زيارة أولئك الفرنسويين للازهر الشريف مجاراة لمن يرون في هذا الوصف خروجا على الآدب ومروقا من الوفاء ، لولا أن لقيني بعض العلماء وشرح لى مافى التغاضي عن النقد من الفساد العاجل، والكساد الآجل، ورغب في أن أذكر هذه الزيارة بالتفصيل، وأنا أذكر هنا ملاحظة واحده وأعتذر عن البقية ؛ فان النفوس لم تتهيأ بعد لان تتقبل كل ما ينفع و تتجنب كل ما يضر. وخذ من جذع ما أعطاك!

كان هؤلاء الناس يسألون برفق عما لم يهتدوا إلى فهم معناه ، ولقد تعرف أن كل مافى الأزهر يستوقف النظر حتى كا نه كتلة من ألغاز الحياة لايفهمها إلا من كتب عليه أن يكون جزءاً متصلا بهذه الجماعة التى تشكون منها بجموعة الشقاء ، وكذلك كنت أعرف مواقع الآلم من نفوس الآزهريين ، ومواضع العجب من أفكار الفرنسويين ، لأن التنافر ظاهر بين معاهد العلم هنا وهناك ، ولأنى أعرف أعرف أغرف الفرق بين حياتين تتفجر من إحداهما ينابيع الأمل الباسم

والعيش الوادع ، وتثور من أخراهما براكين اليأس والقنوط!!

ما مررنا بدرس من تلك الدروس إلا وجدنا من بين الطلبة
من هجم على رأسه الشيب ، وأنقض ظهره التقوس ، وآذن نجم
شبابه بالأفول . ويكاد المسيو فور يتبين بيده مارأت عيناه ثم يقبل
على ويقول :

أصحيح ما أرى من أن ثلث الازهريين فارقوا سواد الشباب ؟ وهل تجدب أرض العلم عندكم حتى يشيب المر، وهو ينتظر الازهار والاثمار؟ ومتى يخلص هؤلاء من التحصيل ، حتى يفرغوا لتعليم الجهال؟

كان يقدم إلى هذه الأسئله و هو يبتسم ، فبدا لى أن أنشده قول ابن الرومى:

شاب رأسى ولات حين مشيب وعجيب الزمان غيب عجيب قد يشيب الفتى وليس عجيبا أن يرى النور في القضيب الرطيب فأخذ يحاور ني ويقول: إنى لا أشك في أن فيهم من جاوز السبعين، فأقسمت بالله جهد يميني أنهم شباب، وأن نظام الأزهر هو الذي عجل لهم المشيب! ثم هممت أن أذكر له الحديث «أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» ولكني لم أشأ أن أدله على أن نظام الأزهر ما برضي عنه الله ورسوله، وإلا كنت من الخاطئين!

اطفال بوهيميون

البوهيمية كلمة أجنبية ألفها الناس منذ سنين ، وهي بالعربية «الصعلكة» والبوهيميون هم الصعاليك ، وحياة «البوهيمية» حياة تطيب لبعض المخلوقات، ويألفها هو اتها إلفا شديدا لأنها تريحهم من أثقال الشرف وأعباء التقاليد . وحياة الفضيلة عبء ثقيل لايحتمله إلا الأبطال

أكتب هذا وقد قرأت من أيام خبرا صغيرا ، ولكنه مزعج ويتلخص فى أن طفلا غاب عن أهله اسابيع ثم عثر عليه البوليس بين الاطفال الذين يجمعون أعقاب السجاير من الطرقات ، ولما سئل أهله أجابوا بأنه كان يعيش عيشة الرغد ، ولكنه هام بالصعلكة حين اتصل بغلمان الشوارع

وهذا أيضا خبر صغير يقرؤه المرء ثم ينساه بعد لحظة ولكن المشغوفين بالدراسات النفسية يقفون عنده وقفة طويلة لينظروا كيف يقبل الطفل أن يهجر حياة الرغد ليحيا حياة التشرد، وليرواكيف يجب أن يساس الأطفال سياسة حازمة، وكيف يتحتم حرمانهم من الاتصال بمن ألفوا البطالة والفراغ إن المدنية الحاضرة مدنية مصنوعة إذا قيست بأصل الفطرة

الحيوانية ، والانسان في الأصل حيوان متشرد لايفكر في المأوى اللا إذا جن الليل ، فحياة النظام طارئة عليه ، ولكنها صارت على الزمن حياة طبيعية يهلك من ينحرف عنها قيد شعرة ، فكل إنسان يجد في فطرته ميلا غريزيا إلى الحياة الخالية من التكاليف ، وهذا هو السر في أن الداعرين والفاسقين يرون أنفسهم أسعد الناس ، ومثلهم في ذلك مثل الطائر المحبوس حين يخرج من القفص ، والفرق بينهم وبين مصير الطائر الطليق أن الطائر يجد جواً حراً كل الحرية أما الفاسق فيتحرر من قيود التقاليد ليقع بعد لحظات في مخالب القانون بدعة إنسانية ، ولكن الخروج عليه صار من المستحيلات ، وأصبح الخلاص من أخطار الوحشية الأولى وقفا على طاعة ما ابتدع الانسان من القوانين

ومنهذا التعليل نفهم كيف يهرب الطفل من حياة الرغد في بيت منظم ليتصعلك ويتشرد بين «السعداء» من المتشردين والصعاليك غير أن هذا الطفل لا يفهم أنه يتعرض لغضب القوانين الوضعية التي وضعتها الحكومات وأقرها الناسمن مختلف الأجناس، وصار الحروج عليها خروجا على أسباب السعادة الانسانية في عهود المدنية فهو ينعم أياما بحريته ليظل طول الحياة ذليلا مهينا لا يقام له وزن بين الاحياء

والآباء مسئولون عن هذا المصير المحزن إن تهاونوا وتسامحوا فى رياضة أبنائهم على حياة المدنية ، حياة القيود والتقاليد، فالانسان حين اشترى طمأنينته الانسانية قدم فى ثمنها حريته الحيوانية به والمغبون هو من يثور على التقاليد فى كل وقت بحجة أنها قيود صناعية ما أنزلت بها الطبيعة من سلطان. ومن حق الانسان أن يتفلسف ولكن على شريطة أن لا يعرض نفسه وأهله للشقاء

وهذه الصعلكة التى يهيم بها الأطفال هى أيضاً مما يغرم به الرجال، وأكاد أعتقد أن الآباء هم الذين يحببون إلى أبنائهم هذه « البوهيمية » الحمقاء ، فمن العسير فى هذه الأيام أن تجد رجلا فى بيته حين بجن الليل . ومن الذى يعمر دور المملاهى والممالك والمفاسق والمعابث ، إن عرف الرجال أن للبيت حرمات ، وأن له واجبات ، وأن من العقل أن يفكر الرجل فى إيناس أهله قبل أن يفكر فى إيناس أخدان المشارب والقهوات ؟!

إلق من شنت من أصدقائك وأظهر له شوقك فسيسألك دائما هذا السؤال:

« أين تسهر لنراك »

إلى المرقص؟ إلى أين؟ أجبى، فليس فى هذه المواردكلها ما يوجه الطفل والتلميذ واليافع والمراهق إلى حــــياة الشرف والصيانة والعفاف

أعرفت الآن أن الآباء هم الذين يوحون إلى أبنائهم حب «البوهيمية» ويزهدونهم فى حياة الطهر والصون ؛ أعرفت أن حياة الفضيلة عب، ثقيل لا بحتمله إلا الأبطال؛

ولكن كيف نروض أبناءنا على بغض حياة الصعاليك إالسبيل إلى ذلك أن نخلق لهم نماذج من المثل العليا في الحياة ، وأن نوجههم منذ الصغر إلى التشبه بكرام الرجال ، وأن نجعل لهم من الفضيلة مواطن للشغف واللهو ، فني الفضيلة مغريات لاتقاس إليها مغريات الرذيلة حين يحسن التوجيه وخلق أسباب التعلق بعزائم الأمور ، وهل في الدنيا لهو ألذ وأمتع من أن يقوم الطفل بمسابقة أقرانه والتفوق عليهم والظهور بمظهر النبل والرجولة والعطمة في القول والفعل الما

يسأل عن ذلك الآم أولا ، والآب ثانيا ، والمدرس ثالثا والحكومة في الآم أولا ، والآب ثانيا ، والمدرس ثالث والحكومة في أنا لا أسأل الحكومة شيئا. لآن أولى الآم الحكومات أمثالنا وقد يسعدون فى الدواوين وهم فى بيوتهم أشقياء ، والحكومات فى كل الآمم آخر من يسأل عن الاصلاح ، لآن الشعوب هى التى تسأل عن أصول الآخلاق ، والحاكم لا يرشدك ولكنه يربيك . فهو يغبطك حين تسعد ، ثم يمد يده إلى السوط حين تنحرف عن فهو يغبطك حين تسعد ، ثم يمد يده إلى السوط حين تنحرف عن

طريق الصواب

وأعود فأقول مرة ثالثة : إن حياة الفضيلة عب تقيل لا يحتمله إلا الأبطال

٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٣

ذكريات طالب اشترك في الثورة

يوم البعث

الناس لا يذكرون ذلك اليوم إلا تمثلت لهم أطياف وأشباح من الناس لا يذكرون ذلك اليوم إلا تمثلت لهم أطياف وأشباح من أثير الذكريات ولا تذكر شهيدا بعينه من شهداء الحركة الوطنية فقد درجت الأيام وكرت السنون ، ونسى الذاكرون مئات من الشهداء ، واذكر فقط أن ذلك اليوم كان يوم البعث ، وأنه كان بداية اليقظة العقلية والسياسية والأدبية في بلاد طال عهدها بعيش الخود في ظل الاحتلال

ع كنت من خطباء الثورة المصرية فاكتويت بنارها ، وشهدت آلام التشريد والاعتقال شهورا طوالا ، ومع هذا فما تمثلت تلك الأيام إلا بدت لى بعيدة جدا ، كا تما ألقى بها القدر فى واد من

النسيان سحيق. ويطيب لى أن أذكر أن عهد الثورة سبقته عهود من الضجر والتوثب لمطالعة عهد جديد ، فقد كنا في أخريات أيام الحرب نتطلع إلى الخلاص من الآصار الثقال التي أرهقتنا بها مظالم السلطة العسكرية ، وكنا نقرأ في كتب السير والإخبار والتواريخ ونراجع من آثار الماضي والحاضر ما نتمثل به حالنا في العالمين ، وأذكر أنى كنت طالبا في الجامعة المصرية، وكان لنا أستاذ مولع بتشويقنا إلى أعلام المجد هو الاستاذ أحمد صالح الذي كان يدرس لنا تاريخ البابليين والأشوريين، ومن غرائب ما وقع أنه كار_ يحدثنا بأن الفراعنة كانت لهم مطامع في تلك البلاد ، وأن من الخير أن نعرف ماضيها وحاضرها ، ونتعرف إلى مواردها الغنية عسانا نجمدد العهد برياضها وغياضها ، فنصل بالسعى والجمد ما قطعت صروف الزمان ، وكانت تلك الآراء الطريفة تبدو في صورة الأحلام ، لأن انجلترا كانت أخمدت أنفاسنا ، وزهدتنا في المجــد الطريف والتليد ، فلم يبق لدينا ما نحلم به لاقامة أعلام الملك في أرض العراق، وفي تلك الآيام صحبنا الاستاذ أحمد صالح لزيارة الاهرام فوقف الرجل يتكلم بحماسة وطنية ، فتقدمت وألقيت خطبة أدعو بها إلى تجديد ما درس من مجد الآباء، وكان ذلك كله يمر في أودية من اليأس ، لا تتطلع النفس فيها إلى نبت من الأمل جديد .

۳ — كان المرحوم علوى باشا مراقبا للجامعة المصرية ، وكان
 منصب المراقب العام يساوى منصب المدير ، ثم توفى رحمه الله فى

أوائل سنة ١٩١٨ (إن لم تخني الذاكرة) فدعاني سكرتير الجامعة إلى إلقاء كلمة التأبين باسم طلبة الجامعة المصرية ، ولما شيعنا المرحوم إلى قبره وقمت لالقاء الخطبة رأيت بين كبار القوم رجلا كبير الهامة ، مديدالقامة ، رزين الملامح تنطق معارف وجهه بأن اسمه سعـــد زغلول ، وما هي إلا أيام حتى اجتمع مجلس إدارة الجامعة المصرية فاختار سعد باشا زغلول مراقبا عاما، في المنصب الذي خلا بوفاة علوي باشا ، وأخذنا نشاهد ســـعد باشا يوميا في دار الجامعة واستبشرنا بقدومه ورجوناأن تدخل الجامعة بفضل نشاطه ومركزه في دور من أدوار الجد والاقبال، ثم جاء العام الدراسي في نو فمبر سنة ١٩١٨ فحضر سعد باشا وألقي علينا خطبة نفيسة قدم بها الدكـتور احمد ضيف، وحدثنا بأنه لاموجب للقلق على مصير الجامعة ، لأنها أنشئت بارادة الأمة وأموال الأمـة ، والأمة التي أنشأت الجامعة لا تزال قوية الجانب ماضية العزيمة ، لا يعتورها ضعف ولا يتطرق إليها قنوط ٠٠ ولكننا أخذنا نلاحظ بعد تذ أن سعد باشا شغل عن عمله بالجامعة وما عدنا نراه يوميا كماكنا نراه ٬ وخفنا أن تكون نبوءة (الصاحبين) صحت فيــه ، والصاحبان هما منصور فهمي ومصطفى عبد الرازق وكانا يكتبان بهذا الامضاء في صحيفة السفور ، واتفق لهما أن كتباكلة يوم عين سعد باشا مراقبا عاما للجامعة فذكراه باليوم الذي كان تولى فيه إدارة الجامعة ثم تولى وزارة المعارف٬ ورجواه أن يبتى للجامعة

هذه المرة فلا يخليها إلى منصب الوزارة . . . أخذنا نتهامس ونتساءل عن الأسباب التي يتغيب من أجلها سعد باشا ، فأخبرنا أحد الاساتذة أن سعد باشا مشغول بتأليف الوفد ، وكانت أول مرة سمعت فيها اسم الوفد ، وعلمت من أخباره بعض التفاصيل ، وبعد أيام ذهبت لزيارة قريبي الاستاذ محمود الجبالي ، و كان يومئذ موظفا بالجمعية التشريعية فرأيت عنده أو راقا كثيرة وصلت إليه بطريقة سرية عن أعمال الوفد وفيها احتجاجات موجهة إلى مؤتمر الصلح بتوقيع «الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية سعد زغلول»

ع — وفي تلك الآيام ـ أواخر سنة ١٨ ـ كان من البدع المحمودة أن يتهادى الطلبة احتجاجات الوفد المصري وتقرس الحزب الوطني، وكانت أشياء نادرة يتلقاها الناس في همس، لأن السلطة العسكرية كانت في تلك الأيام ذكية القلب ، مرهفة السمع. وأذكر أن المرحوم إسماعيل بك رأفت دعاني إلى مكتبه بالجامعة المصرية وأوصاني أن أحصل له من أحد إخواني على نسخة من استقالة رشدى باشا وكانت تلك الاستقالة تعد يومئذ شيئا عجيبا ، وكان رشدى باشا يعد جريئا في استقالته ، وكان الناس يرون فيه إماما من أئمة الشهامة و الوطنية، وفي تلك الآيام نفسها أذاع المرحوم أمين بك الرافعي تقريرا عن مصير الحزب الوطني ، مهدبه لانضهامه إلى الوفد المصرى ، وكان ذلك التقرير مما يتهاداه الطلبة بين راض وساخط وكانت تلك الأوراق والتقريرات والاستقالات بما يقرآ بشهية عجيبة ، ويتقبله الجمهور بأحسن القبول ، وكان الطالب الذي لا يعرف شيئًا من أمر تلك المنشورات يعد من المتخلفين .

 کان تألیف الوفد المصری بدایة عهد لایقاظ العواطف الوطنية ، ومن دلائل ذلك أن السلطة العسكرية كانت منعت الناس طوال أعوام الحرب من زيارة قبر مصطفى كامل، فلما كان يوم . ١ فبراير سنة ١٩١٩ هاج الناس وذهبوا إلى قبر مصطفى كامل وذهبت مع فريق من الطلبة ورأيت المرحوم الشيخ أحمد ندى يقرأ القرآن والناس يستمعون في صمت ورهبة ، وخطب يومئذ المرحوم على فهمي كامل بك فناقش مبادئ الوفد المصرى ، وكانت تلك المناقشة تقعمن أذهان الطلبة موقعاغريبا ، لأن الجمهوركان لا يحبأن سرى في تلك الآونة أي مظهر من مظاهر الخلاف، ولما انصرفنا تجمهرنا في حي المنشية ، وهتفنا بحياة الحرية والاستقلال ، وقبضت السلطة-العسكرية في ذلك المساء على عدد كبير من الطلبة فقضوا في السجن أياما وأسابيع ، وذلك فيها أذكر أول عهدالطلبة بعدالحرببالسجن. و الاعتقال.

وألت الشهور الأخيرة من سنة ١٨ والشهور الأولى من سنة ١٩ تفيض بدلائل اليقظة الوطنية ، وكان الناس يتحدثون في المدارس والأندية والمتاجر عن مصيرالاماني المصرية بين أماني الشعوب ، وظهر ذلك الشعور بقوة في أنفس الطلبة ، وأعرف طالبا قدم كتابا للطبع اسمه «حب ابن أبي ربيعة وشعره»

خُوضَع في الصفحة الأولى مانصه :

« إلى مصر »

أداراً بها عيش الحليم يطيب ويكرم فيها المرء وهو غريب وقيت الردى لا تعرفى اليأسخطة فماكل يوم ذو الرجاء يخيب فان كنت قبل اليوم لم تبلغى المنى فان غدا للناظرين قريب ووضع تحت صورته الأبيات الآتية:

٧ ــ ومن الظواهر البارزة التي شغلت الطلبة في ذلك العهد إمضاء توكيلات الوفد المصرى فقد كنا نأخذها لامضائها مر. أهلينا وذوى قرابتنا وأصدقائنا ، وذهبت يوما مع أحد الاصدقاء لنأخذ توكيلات جديدة من سكر تيرية الوفد فأخبرنا الاستاذ محمد بدر بأن النية انصرفت عن ذلك مؤقتا حتى لا تسارع السلطة العسكرية فتبطش بالوفد و تبدد نظامه ، وكانت تقابل حركة الوفد حركة أخرى يقوم بهاالحزب الوطني ولكني أذكر أن صداها كان ضعيفا في أنفس الطلبة ولم تظهر هذه المقاومة في تنظيم المبادىء منزله وأخذ يتصل بطلائع الحركة الوطنية

٨_ شم نفخ في الصوريوم اعتقلت السلطة العسكرية سعد باشا

ورفاقه وأرسلتهم إلى مالطة . فهبت أعاصير الثورة بصبورة لم نشهد لها مثيلا ،وفى أيام معدودات وقعت فى مصر الأعاجيب : فعطلت المواصلات ، وأضرب الموظفون ، ونظمت الخطابة فى المساجد والكنائس .وكان للاسكندرية ، وطنطا ، والمنيا ، واسيوط مقام فى الثورة كاد يغطى على حركة القاهرة من حيث القوة والعنف

ه _ وبما أذكره ولن أنساه أنناكنا نحدث الناس في الازهر عن أخبار الاقاليم ، فجاءت الاخبار يوما بأن المنيا ثارت وأعلنت الاستقلال ، وكان لى هناك قريب عزيز هو المرحوم محمد بك حمدى وكيل مديرية المنيا فاعتقلته السلطة العسكرية مع سعادة يونس باشا صالح رئيس نيابة المنيا حينذاك ، ورأت السلطة العسكرية يومئذ أن وكيل المديرية ساعد الثورة وأيد العصيان وإعلان الاستقلال ، وضعفت أعصاب المرحوم حمدى بك فانتحر في المعتقل وكان انتحاره في أيام عيد ، فقضينا في الريف عيداً مرآ لاتزال ذكراه تمض القلوب

• ١ - وكان لمدينة أسيوط شهداء ، فقد قامت فيها الحرب بالفعل بين الاهالى وبين الجنود الذين سخرتهم السلطة العسكرية وقضت تلك المدينة أسابيع تحت الاحكام العرفية ، وظلت فيها المحاكات مدة طويلة ، وكنا نفصل أنباءها فى الازهر كل مساء

۱۱ ئے شہداء الثورۃ المصریۃ عدیدون ، ولکن أول شہید شیعت جنازته فی مظاہرۃ وطنیۃ ہو المرحوم ماہر افندی ، وإنی

لأذكر الآن أننا ذهبنا إلى الأزهر لاقامة مظاهرة ، وذهبت كل مدرسة ومعها علمها الحاص ، ووقفنا صفوفا أمام الازهر نخطب ونهتف ، وظلت الطيارات الانجليزية تحوم فوق رءوسنا تحويما وقحا ، وبقينا كذلك حتى انتصف النهار ، وكان فى الطلبة شاب متحمس أراد أن يخترق صفوف الجنود الانجليز فطعنه أحدهم طعنة دامية ، فحملناه إلى صحن الازهر ودمه يفيض فى رائحة المسك ولا أكاد أذكر كيف حملته عربة الاسعاف ، وكيف اجتمعنا في اليوم التالى لتشييعه إلى قبره الشريف ، وإن كنت أذكر أن القاهرة كلها المتركت فى توديع ذلك الرفات العزيز

17 — ومن مظاهر أيام الثورة أن الخطب كانت تجرى منظمة في الأزهركل مساء ، وكان الشيخ عبد ربه مفتاح ينقل أخبارها إلى جريدة الاهرام ، وخاصة إذا وقع فيها حادث يستحق النشر كزيارة البطريرك والحاخام للازهر الثائر . وكانت الجرائد تنشر أخبار الثورة مقتضبة أو محرفة وفقا لأهواء السلطة العسكرية ، فصحت نية أستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار ، على وضع كتاب للثورة على مط مذكرات الجبرتي يسميه « الآيام الحمراء » واتفق معي على أن أكتب الجزء الخاص بخطب الأزهر ثم شغل وشغلت ، ولا أدرى ماذا صنع بذلك المشروع الجليل

سُولًا _ كان الأزهر يموج كل مساءبالالوف المؤلفة لسماع الحطب الوطنية ، وكانت لجنة ألوفد المركزية تمد حركة الأزهر

وترعى من يخطبون فيه ، وكان رئيس الخطابة يومئذ الشيخ محمود أبو العيون ، وكان الانسان لا يصل إلى موقف الخطيب إلا بحمد جهيد، وكنت أبحث عن فرصة للخطابة فلا أستطيع، وحدث أن الشيخ أحمــد الكناني نظم قصيــدة حمـاسية ، وأراد أن يوسع له الججال فلم يستطع ، فعاد بعد أيام وقدلبس بذلة أفرنجية وأرسل من يخبر الشيخ أبا العيون بأن سعادة «أحمد بك عبد التواب » يريد أن يلقى قصيدة ، و «أحمد بك عبدالتواب» اسم اخترعه الشيخ الكناني ليجد السبيل إلى الخطابة ، ورحب الشيخ أبو العيون « بسعادة البك » وأعطاه المنبر بلا عناه ! وظللت أنتظر أياما لأخطب وطال الانتظار ، وفي مساء يوم حضر وفد الصحافة الاجنبية ، وخطب خطيبهم باللغة الفرنسية ، فظلب الشيخ أبو العيون من ابرهيم افندى عبد الهادى أن يرد تحيتهم فاعتذر ، فسألنى الشيخ أبو العيون فتقدمت بجرأة وحماسة ، وخطبت خطبة فرنسية رنانة شهد الشيخ الزنسكلوني بأن لسانى فيهاكان أفصح من لسمانى بالعربية !! ومنذ تلك اللحظة كنت أصل إلى موقف الخطيب برغبة الجمهور الذي كان ينتظر خطبتيكل مساء. وأشهر خطباء الثورة يومثذ المرحوم أبوشادي بك ، والمرحوم الشيخ،صطنى القاياتي والدكتور محجوب ثابت ، وأشهر شبان الخطباء كان محمد شكرى وهو اليوم محام معروف؛ وكانتخطبه كالصواعق؛ وكانت ميولهمع الحزب الوطني وكانت المعالم المشهورة في الثورة منزل القاياتي بحي الدرب الاحمر

ومنزل محمود باشا سليمان بشارع الفلكى ، ومنزل عبد اللطيف بك الصوفانى بالحلمية الجديدة ، ومنزل عبد الرحمن بك فهمى بشارع القصر العينى. وظفر منزل سعد باشا باسم بيت الآمة وكان له فى الثورة مقام مشهود

والاحصاء، فكم من ناس شقوا وتعبوا ثم ذهبت الاختلافات الحزيية بأعمالهم! ومن المروءة أن نذكر فى هذا المقام القمص سرجيوس فقد كان من أشهر خطباء الثورة، ثم نسيت أخباره لأسباب حزية. والمرحوم الشيخ محمد الحضرى كان من أهم الأعضاء فى لجنة توحيد المطالب ثم ذهبت أعماله أيضا لاسباب حزبية وهناك رجال كثيرون انسحبوا من الميدان بعد أن عرف الانجليز كيف يسلطون بعض المصريين على بعض، وكيف يمنونهم بالالقاب

10 — وذهب فتيان أمجاد في إقامة الحنادق بشوارع القاهرة وكانت للجنود الانجليز ولسع بمطاردتهم ، وكانت الاعتقالات لا تنقطع ، ومن دلائل القوة يومئذ أن السلطة كانت لا تعتقل خطباء الثورة إلا ليلا ، خوفا من هياج الجمهور ، ويضيق المجال إذا ذهبنا نعدد ما لتى الاحرار من الاضطهاد في هذا السبيل الجال إذا ذهبنا فعدد فهذه أثارة من حوادث الثورة التقطناها من الداكرة ، فدونا شيئا وأغفلنا أشياء ، ولا نملك الآن إلاالترجم على الذاكرة ، فدونا شيئا وأغفلنا أشياء ، ولا نملك الآن إلاالترجم على

شهداء الوطنية الذين ذهبت أرواحهم فدية خالصة للوطن العزيز ويمكن الحكم بأن تلك الآيام هي خير مامر في تاريخ مصر الحديث ولم يعرف المحتلون قيمة الشعب المصرى إلا في تلك الآيام الحمراء وحسب القارىء أن يذكر أن اللورد ملنر حضر للفاوضة فقاطعه الشعب مقاطعة تامة ، ولم يدخل القاهرة إلا بليل ، وقضى أيامه فيها متنكرا لا يعزيه إلا التريض على سطح الماء . بقيت في النفس أشياء لاتقال : لآنها لا تجد من يسمع ولا تظفر بمن يجيب ! والله سبحانه هو القادر على أن يهبنا الرشد ، وأن يهدينا إلى سواءالسبيل ، وسلام الله على شهداء الوطن و الحرية و الاستقلال !

وعند الله جزاء من جهل التاريخ أخبارهم فلم يقيد أسماءهم فى سجل الشهداء! ورء ، الله العهد الذى كانت موسيقانا فيه « مصر للمصريين »

نضر الله وجه ذلك العهد، وعطر صحائفه بين صحائف التاريخ! ١٣ مارس سنة ١٩٣٣

خط___رات

باریس فی ۲۲ ینایر سنة ۱۹۳۱

متى نفهم الشعر الجميل؟

كنت فى حداثتى مولعا بحفظ الشعر ، وحملنى الزهو مرة على أن أحسب أننى أحفظ الناس لروائع الشعر البليغ ، وقد بق هذا الغرور فى نفسى إلى عهد قريب ، وأذكر أن الاستاذ الدكتور طه حسين كان يلق محاضرة فى الجامعة المصرية سنة ١٩٢٨ فبدا له أن بهاجم أساتذة الادب فى مصر فقال : أنا أزعم أن أساتذة الادب فى مصر فقال : أنا أزعم أن أساتذة الادب فى مصر فقال : من الشعر العربى قراءة صحيحة فى مصر ليس فيهم من قرأ ديوانين من الشعر العربى قراءة صحيحة فقلت له :

« استثننی یادکتور ، الله یهدیك ! لاننی أحفظ عن ظهر قلب ثلاثین ألف بیت من الشعر العربی و أستطیع إنشادها بعد مراجعة صغیرة ، فأجاب : العفو! أنا لاأقصد أساتذة الجامعة .

كنت أحفظ ثلاثين ألف بيت، ولكن هلكنت أفهمها جميعــــا ؟!

نعم اكنت أفهمها ، ولكن كيف؟ على الطريقة المدرسية! فان سألت ما هي الطريقة المدرسية؟ فانى أجيبك بأنها هي بعينهـــا الطريقة القاموسية ، وأرجو أن تقف عند هذا الحد ؛ فان الطريقة القاموسية شرحها يطول!

الشعر لا يفهم عن طريق القاموس، إنك لا تفهم الشعر إلا إن اصطدمت با لازمات الروحية ، والوجدانية ، والعقلية ؛ التي أنطقت الشعراء ، وقد تمر لحظات يكون فيها القارىء أشعر من الشاعر وأعرف منه بأسرار شعره . وهذه فكرة تبدو جريئة وغير معقولة مع أنها من صميم الحق والواقع ، فقد يتفق أن يتغنى البلبل من حيث لا يدرك مرامى التغريد ، ثم يستمع إليه إنسان عميدالقلب مجروح الكبد ، فيفهم من شدوه معانى دقيقة عجيبة ، لا يدركها البلبل ولا تخطر له على بال

وقد يترك الشاعر بعض المعانى بلا تحديد ، فتكون فرصـــة طيبة لعرض أخيلة القراء، ومن أمثلة ذلك قول جرير:

يا أخت ناجية السلام عليكمو قبل الرحيل وقبل عذل العذل الوكنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الفراق فعلت ما لم أفعل فقد كثرت التأويلات لكلة فعلت ما لم أفعل، وهي مع ذلك باقية على بكارتها تنتظر أخيلة الفحول، وهيهات أن يدرك معناها فتى لم يشقه الحسن، ولم تعلمه الليالي كيف تكون مرارة الفراق وقد انتقد الدكتور طه قول حافظ:

خمرة قيل إنهم عصروهـا من خدود الملاح في يوم عرس وفي رأيه أن هذا خيال سخيف،لأن الانسان يتقزز حين يفترض

صحة التشبيه لبشاعة الدماء

ذلك رأيه أما أنا فأتمنى مخلصا أن تقدم إلى كا سمترعة روية من عصير الخدود! رباه! متى يصح هذا الحلم الجميل! (١)

إلى هنا عرف القارى، أن الشعر لا يفهم عن طريق القاموس و إنما يفهم عن طريق الوجدان فليسمح لى إذا بأن أقدم إليه نماذج من شعر كنت أحفظه منذ أزمان ولكنى لم أهتد إلى خطره إلا فى هذه الآيام

وليت شعرى من ذا الذي يفهم كما أفهم هذه الأبيات:

من له عمد بنوم یرشد الصب إلیه رحیم الله رحیما دل عینی علی علیه سهرت عینی و نامت عین من هنت علیه ومن ذا الذی یدرك کا أدرك هذین البیتین:

وأنزلني طول النوى دار غربة إذا شئت لاقيت امرأ لاأشاكله احامقه حتى يقال سجية ولوكان ذا عقل لكنت أعاقله وماكان بودى شهد الله أن أدرك أسرار هذا الشعرالذي يمثل قلق المسهد، أو حيرة الغريب!

⁽١) وهذا أيضا من الخيال البعيد ، لان للدكتور رأيا خاصا فى عفافه عن خدود الملاح · ولعله يتمناه كما يقرره فى « الحلم الجميل » أه مصححه .

خدك وردى

صحبت الأستاذ الشيخ سيد المرصني ستة أعوام ، فتلقيت عليه شرح الحماسة ، وشرح الكامل ، وشرح الأمالى ، وكان فى ذلك العهد أعلم الناس بأسرار اللغة العربية ، وكنت أكتب كل ما ينطق به من جد أو هزل ، وكانت له لحظات يستطيب فيها الفكاهة والمزاح ، ولكنه كان يمزح وحده بدون أن يسمح للطلبة بمشاركته فيما يلتى عليهم من الملح والفكاهات

كان الشيخ المرصني يذكرني بقول أبي الحسن الشاذلي: (نحن كالسلحفاة تربي أولادها بالنظر) ذلك بأنه كان لا يشرح أسباب إعجابه بالشعر، أو نقده إياه، وإنما كان يكتني بكلمة صغيرة، أو إشارة خفيفة، نفهم منها أن هذا شعر جيد، وأن ذلك شعر ردى إلى غير ذلك من التلبيحات التي لا ينتفع بها إلاعددقليل من الطلاب مثال ذلك ماجاء في الأمالي:

أزف السبين المسبين وجلا الشك اليسقين لم أكسن لاكنت أدرى أن ذا البين يكسون. علمسونى كيف أشتسا ق إذا خسف القطسين وقد أراد الشيخ المرصني أن يبين ضعف هذا الشعر، ولكنه م - ٢٦ بد لم يزد على أن قال في مخاطبة الشاعر: (انفلق!)

وكان إذا شاء أن يشير إلى ضعف بعض أبيات النسيب قال (أيوه ياسيدي خدك وردى!)

وكذلك كانت كلمة (خدك وردى) هي القاضية على أكثر ما كان يمر بنا من الشعر الرقيق

وقد اتفق أن مرت بنا هذه الأبيات :

لم أنس إذ ودعته والتـــق ذا البدن الناعم والناحـــل كا نما جسمى على جسمه غصنان ذا غض وذا ذابل يارب ما أطيب ضمى له إلى لولا أنه راحـــل فقال الشيخ: «خدك وردى»

وفى تلك المرة استطعت أن آخذ على الشيخ المرصفى إسرافه فى نقد أشعار المولدين، فهل صحيح أن هذا شعر ضعيف وهـــــــل هو حقيقة خدك وردى؟

أما أنا فأعتقد أنه من أنضر وأرق ما قال الشعراء ، فمن كان فى ريب من ذلك فلينتظر حتى يشهد مواقف التوديع

> * * *

. هل تخرج الشهوة من العيون كان لاستاذنا الدكتور منصور فهمي دروس خاصة يلقيها على طلبة الفلسفة بالجامعة المصرية وكان حريصا على ألا يشهدها أحد من الجمهور

وفى تلك الدروس كانت تظهر عبقرية ذلك المفكر العميق الذى يظلمه من يقيس فضله برسائله التي ينشرها فى الصحف، أو محاضراته التي يلقيها فى الأندية العمومية ، كان يجلس فيحادثنا ونحادثه فى رفق دونه رفق الحلصاء حين يتسامرون ، وكان مغرما بعرض مشاهداته وملاحظاته على ما يقع أمامه فى حياة الناس

أخذ مرة يشرح لنا العواطف المشوبة بنعيم الحواس ، فساقه المحديث إلى أن يذكر أنه سمع رجلا يتحدث عن عشقه لابنة عمه وكيف كان ذلك العشق بريئا لا دنس فيه ، وكيف انطلق المحدث يؤكد لسامعه أنه كثيرا ماكان يقضى الليل مع ابنة عمه فى فراش واحد ، وهما يتناجيان ويتشاكيان دون أن يقع ما يجرح العفاف وإذ ذاك قاطعه الدكتورمنصور فقال :

(إذن والله تخرج الشهوة من عينيك !)

وأنا أشهد أن هذا حق ، وأن الشهوة قد تخرج من العيون، ولكنى لا أدرى أحرام هذا أم حلال ? فما قولكم ، دام فضلكم، ياحضرات المفتين الذين لا تراسلون الصحف إلا فى شهر رمضان ؟ أجيبوا، أثابكم الله ، فان هذه مسألة تشغل بعض اخوانكم فى باريس

كيف يساس الطلبة

في المدارس الفرنسية؟

حقائق تنفع الأساتذة والطلاب

قبل أن أواجه موضوع هذهالرسالة أتوجه بكلمة عتب صغيرة إلى حضرة مصحح البلاغ مع اعترافى بفضله وكفايته وتفرده بالحرص والتدقيق بين مصححي الجرائد بالقاهرة ، وهذا العتب لا يرجع إلى بعض الأغلاط المطبعية القليلة التي تفوته ، ولكنه يرجع إلى الكلمات التي يصححها عامدا في رسائلي وينقلها من وضع إلى وضع فقد جاء في رسالتي عن شهداه السين كلمة «أعز اب» جمع عزب بالفتح و التحريك وهو من لازوجة له ، فغيرها إلى «عـــزاب» ليساير اللغة الجارية. والحق فيجاني لأن «أعزاب»هو الجمع المقبول سماعا وقياسا ، وجاء في رسالتي عن ليلة المانش عبارة « والمرء يعجز لا المحالة» بالألف واللام فصيرها هو «والمرء يعجز لا محالة » ليساير مادرج عليه الناس. وهذا خطأ لأن المحالة بالألف واللام معناها الحيلة وبذلك يجرى المثل، في حين أن التغيير الذي انتقل إليه يحرف المثلءن موضعه وبجلب إلى الكاتب سخرية بعض القراء وفي هذه الرسالة أقول «العزب من لازوجة له» وأرجو أن لا يغيرها إلى «من لازوجله » ليساير تعبير الأقدمين فاني أستحبأن أغلب القياس وأفضل أن يقول الناس مثلا « خادم » للمذكر و « خادمة » للمؤنث وأن يقولوا « امرأة سافرة » بدلا من « امرأة سافر » التي نص عليها المصباح . ولست بهذا أعفيه من تصحيح رسائلى بنفس العناية التي عهدتها فيه منذ عرفته يوم كان يقوم أغلاطي في سنة ١٩١٤ ولكني أرجوه أن يلاحظ أنني قد أضع عامدا بعض الألفاظ والتعابير لغرض أرمى إليه إحياء لبعض الألفاظ القديمة أو إيثارا لبعض الألفاظ الحديثة ، واللغة لا تتهذب ولا تنطور إلا بأقلام الكتاب

ولأعد إلى موضوع هذه الرسالة فأقول:

إن الذين اشتغلوا بالتدريس كما اشتغلت به، وذاقوا حلوه ومره في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية، وعرفوا ما يجرى في المدارس الأميرية والأهلية، يذكرون أن هناك فسحة من الوقت بين الحصص تتراوح بين خمس أو عشر دقائق و أحيانا تصل إلى خمس عشرة دقيقة وهذه المدة القليلة يقضيها المدرسون في التشاكي ولكن عاذا من الطلبة!

وأنا شخصيا أذكر هذه اللحظات بارتياح؛ فقد كانت همومى أخف من هموم الزملاء ، ولا أذكر أن الطلبة اضطربوا مرة بشكل يزعجني ،ولكني أعترف أن مهنة التدريس مهنة شاقة لا يستغرب فيها أن يتشاكى المدرسون وأن ينظموا قصائد الآنين!

غير أنى كما يعرف القارى، حديث العهد نسبيا بهذه المهنة لأنى لم أعالج همومها إلا بعد الحرب، من أجل ذلك كنت أسأل زملائى عن ماضيهم ؟ فكانوا يجيبون بأن الطلبة لم يتمردوا إلا منذ شبت الثورة المصرية ، وأنهم قبل ذلك كانوا فى وداعة الحملان

وكان هذا الجواب يقع من نفسى موقعاً سيئًا ، لأنه ما كان فى وسع الأمة المصرية أن تؤجل ثورتها على الظلم والهوان ليظـــــل الطلبة وادعين ، وليظل الأساتذة فى راحة وسلام!

وكان بعض زملائى يتشاءمون حين يرون طالبا يراسل صحيفة يوميةأو أسبوعية ، وكنت بخلاف ذلك أحض الطلبة على مراسلة الصحفوأسوقهم إلى الميدان ، وكنت أقول فى نفسى : إذا لم يكن بد من تضحية ، فلتتقدم الأمة وليتخلف المدرسون!

فهل من الحق أن الطلبة المصريين يمتازون من بين الطلبة فى العالم بحب المشاغبة ، وأن سلوكهم المدرسي لم يسؤ فى هذ الجيل إلا باشتراكهم فى النهضة المصرية؟

الجواب بالسلب، وإلى القارىء البيان:

مهنة التدريس في العصر الحاضرشاقة في العالم كله، وثورة الطلبة على النظام المدرسي وخروجهم على أساتذتهم من الأمور التي شاعت في أواخر القرن التاسع عشر. والطلبه المصريون جاءوا أخيرا بعد أن تمرد سواهم بعشرات السنين ، وإذا كان المدرسون المصريون لم يشكوا من الطلبة قبل سنة ١٩١٩ فذلك يرجع إلى

أنهلم يكن بمصر مدارس ولا تدريس ولاتلامذة ولاأساتذة بالمعنى المعروف اليوم؛ وإنما كان هناك مدارس متواضعة محدودة الفصول وكان هناك تلامذة قلائل يوصيهم آباؤهم في الصباح والمساء ويغرونهم بالجد والتحصيل، وكان هناك مدرسون معدودون لو تلفت أحدهم إلى زميل يشاكيه لما وجد ، فكان من الحق أن تظل الحياة المدرسية هادئة لا قلق فيها ولا اضطراب. ولو أننا عدنا إلى إحصاء طلبة المدارس العالية في أيام الحرب لهالنا ذلك الاجداب فلم تكن هناك مدارس عامرة غير الطب والحقوق ، وكان في هاتين المدرستين تباشير للقلق الذي عم بعد ذلك في المدارس المصرية ، ولم يكن في مدرشة المعلمين العلياغير آحاد في كل فصل والفصل هنا معناه السنة الدراسية برمتها، ولم يكن للتعليم الثانوي حظ يذكر في الأقاليم وكان طلبة الثانوي في القاهرة والأسكندرية أضعف منأن يقاسوا إلى طلبة اليوم الذين لا يفتؤون يشغلون أولى الأمر في وزارة المعارف فضلا عن حضرات المدرسين

والحال اليوم في المدارس المصرية غيرهابالامس فهناك مدارس وطلبة وأساتذة ، ومن أجل ذلك أخذت مشكلة التعليم لونا جديدا يتناسب مع خطورة الحياة المدرسية ، فعلى الاساتذة أن يستعدوا للكفاح ، وعلى مدراس المعلمين أن تفهم أن إعداد الاساتذة أصبح في غاية من التعقيد . فمن الواجب أن يختار طلبة المعلمين اختيار اخاصا يراعى فيه تكوينهم الجثماني والدقلي والادبى ، فكل تشويه في الجسم

أو في الذوق له أثره الخطر في البيئات المدرسية ، وليست آراء المربين القدماء بكافية في إعداد المعلمين ، فقـــدكان أكثر رجال التربية فلاسفة نظريين لم يعانوا مشاكل التعليم، ولم يقدروا ما سيكون عليه الطلبة في القرن العشرين، وعلى وزراة المعارف المصرية أن تفهم أنكل اضطراب مدرسي له أسباب أخرى غير اشتراك الطلبة في الحياة العمومية ، وأقرب هذه الأسباب هو بعد مابين الأساتذة والطلبة في فهم الحياة ، وتقدير مشاكل الجيل الجديد، وبقدر مرونة الأساتذة وبعد نظرهم وفهمهم لروح العصر يكون نجاحهم في الحياة المدرسية ، وليس بمستطاع في عصر مشرب بروح الثورة في جميع الأقطار أن تقهر الطلبة بالشدة العنيفة أو أن تسوسهم بمبادىء من التربية كانت لا تكفي فى القرن الثامن عشر والتاسم عشر ، وقد رأیت بنفسی کسیف یکون نجاح المدرس المثقف ثقافة حديثة ، وكيف يكون سلطان الاستاذ الذي يخالط الطلبة ، ويدرك ميولهم وأذواقهم ، ويعرف منهم مواطن الضعف ومواضع القوة ، ورأيت كـيف يخفق المدرس المــــتخلف الذي يعيش في القرن العشرين بروح القرن العاشر ، فان لكل طالب عينين وأذنين، وهو ثاقب البصر في اختيار أستاذه، ومعرفة مايفهم من شؤون العصر الحديث. وليست الدروس كلها بمقصورة على موضوعات المناهج؛ فهناك لحظات يفرغ الطلبة فيها لأساتذتهم و يختبرونهم وجها لوجه ، ويكاد طلبة اليوم ينتظرون من أساتذتهم أن يرشدوهم إلى أهم الروايات المسرحية والأشرطة السينهائية ، ويكادون ينتظرون منهم أن يعاونوهم على حل ما يواجههم مرف المشاكل الأخلاقية والاجتماعية والوجدانية . وليس هذا حال الطلبة في مصر فقط ؛ بل هذا حالهم في جميع الأقطار في هذا الجيل والحياة حركة فويل للجامدين!

ونعود فنذكر أن المدارس الفرنسية كانت إلى سنة ١٨٨٠ تدار إدارة عسكرية ، وكان الطبلة محاطين بطائفة كبيرة من القيود والأغلال، وكانت المدارس أشبه شيَّ بالسجون؛ وكان الاساتذة والضباط والنظار مسلحين بالشدة والعنف فىكل وقت والذى يعرف أن أكثر الطلبة كانوا ولا يزالون يقيمون في المدارس ليلا ونهارا ، يعرف كيف يكون تبرمهم وضجرهم من حياة ضيقة مغلقة. الأبواب، وهذه الحياة الثقيلة لم تكن شرا مطلقاً، ولم تكن خيراً مطلقا، فقدكان من شرها أنأخمدت روح الجد والنشاط،وحولت الطلبة الى آلات ناطقة ولـكنها لا تفكر ولا تبين، وكان من خيرها أن أجلت تعرف الطلبة ببعض الخصال الرديثة التي تبشها حياة الحرية في باريس وحبستهم في نطاق من التعقل والاعتدال ولكن القرن التاسع عشر مآكاد ينصرم حتى شبت في أوربه كلها روح الثورة العقلية والخروج على ما ألفت الجماهير من التروبى والتعقل والنظرفي عواقب الأمور ، وكان الطلبة أكثر الناس قبولا لما أوحى القرن العشرون من النوثب والتهالك على فرص الحيـاة م --- ۲۷ بد

وما ظنك بفئات لا تعرف ما تكاليف العيش، ولا تدري ما عاقبة الطيش، ولا تفكر فيما يلاقي الآباء والأمهات من أوزار الحياة اليومية في عصر لايمهل القاعدين، ولا ينظر الوادعين. والطلبة مهما كانوا أطفال: ينفقون كما ينفق الرجال، ويفكرون كما يفكر الأطفىال ، ومن الصعب أن تروضهم على الاطمئنان إلى أن الحياة ليست كلها لهوا ولا لعبا.فقد كان الانسان حيوانا لا يعقل إلا إن لدغتـه أفاعي الصروف والخطوب. أضف إلى ذلك مــا استقرت عليه الحياة الفرنسية من حب العبث الجامح في ليالي الآحاد فتلك ليال ماحقة تقتلع ما ثبت ورسخ من أصول الأخلاق وليس من السهل أن تدءوهم إلى التريث والتمهل، وهم يركيضون في ميدان الشباب ، فانك تدعو من لا يسمع ، وتهيب بمن لا يجيب وكمذلك تغيرت الحياة المدرسية تغيرا يوشك أن يكون تاما وتقطع ماكان بين الطلبة والاساتذة من أواصر البر والاحترام وعاد المدرسون غرباء أوكالغرباء، وأصبح الطلبة لا يـعرفون سلطانا لغير جمعيات الألعاب الرياضية ، وانطلقوا لا يلوون على شيء، ولا يكترثون للدروس، وصاروا يجهلون أكثر الواجبات المدرسية والقومية بسبب ما اندفعوا فيه من التهاون والثورة على مختلف التقاليد ، وحسبك أن تعرف أن جمهور الطلبة في فرنسا قديجهل تمام الجهل من أعضاء الحكومة الحاضرة ، ومن رؤساء الأحزاب، والسارزون بين النواب والشيوخ ، ولكنه يعرف

أبطال الإلعاب الرياضية فى جميع بقاع العالم، ويستقصى أخبار السابحين والملاكمين ورافعى الأثـقال.واختراع الطيارات قد أذكى حاسة الشبان وأغراه بالبحث عن مجهول الآفاق، وقدمت لهم السينها غذاء قويا حيا من مناظر المخاطرات البرية والبحرية والجوية، بحيث يمكر. أن تقدر أنهم لم يعودوا طابة ولكنهم صاروا شياطين، ولهذا التمرد أثر جميل فيما أفترض، فسيكون الجيل المقبل جيل فتح وغزوات واستكشافات ، وسيتحول الانسان إلى قوة خطيرة يتبدل بها شى كثير من الأوضاع العلمية والفنية ، والأدبية ، والاجتماعية والأساتذة ماحالهم ؟

إنهم فى غاية من الارتباك والاضطراب، فلا تزال المناهج الدراسية على حالها ، ولا يزال هناك شبح اللاتيني واليوناني ، وما أشبه ذلك من اللغات الميتة ، ولايزال هناك الكلاسيك والرومانتيك ولاتزال حوادث القرون الوسطى بما فيها من علوم وفنون وآداب والأساتذة مسئولون عن وضع ذلك كله فى أذهان الطلبة طوعا أو كرها ، فما هو الحل ، وكيف السبيل إلى الحلاص ؟

الواقع أن الأساتذة يعترفون بأن الحل الوحيد هو التساهل في الامتحانات وهم لذلك يعطون شهادة البكالوريا بسخاء أي سخاء وذلك لا يمر بالطبع من غير ضوضاء ، فهم يحثون الجمهور على مشاهدة جلسات الامتحانات في السوربون ليحكم بينهم وبين أولئك الطلبة المتمردين

وإذا سألت الاساتذة كيف ساغ لكم هذا التسامح و اجابوا بأن التعليم الثانوى عليل لا يرجى شفاؤه لأنه يمر فى طور الشباب المجنون ، وعلى أساتذة الجامعات وحدهم أن يداووا ذلك الجنون . فان الطلبة لا يصلون إليهم إلا بعد أن تنضجهم السن وتروضهم الأيام بعد الجموح

وهناك علاجات مؤقتة لا تغنى فتيلا: تلك هي نتائج الامتحانات الشهرية حيث ترسل المدارس لآباء الطلبة ، أو أمهاتهم ، أو أولياء أمورهم بيانا بدرجات الطالب في جميع المواد ، ولكن ما رأيك وأكثر آباء الطلبة لا يدركون شيئا من ذلك ، والطالب يستطيع بكل سهولة أن يؤول النتيجة ، وأن يلبسها اللبوس الذي يريد ، وقد يحدث أن يتفق مع بواب المنزل على تبديد الخطابات المدرسية بحيث يظل القائمون بأمره في عماية تامة لا يعرفون كيف يبدأ وكيف ينتهى ، ولا يدركون أذكي هو أم بليد

وقد حرص فريق من الأساتذة على الاتصال بآباء الطلبة ليتم التعاون بين الفريقن على مداواة ذلك المرض العضال، ولكن ظهر أن الأساتذة لا يتسع وقتهم لتلك الصلات الودية، كما ظهر أن الآباء لا يستريحون إلى الاساتذة الذين يؤثرون فى أبنائهم لأن الآباء لايزال عندهم بقية من الاثرة وحب الذات، وهم يريدون أن يظل أبناؤهم فى حيازتهم وفى بعد عن المؤثرات الخارجية، والآباء يفهمون جيدا أن الاساتذة مهما تقدمت بهم السن، أقرب منهم إلى

الحياة والشباب، لأن الأساتذة بطبيعة مهنتهم قريبون من فهم الشبان الحاضرين، وما يعتلج فيهم من أمانى وآمال

ومن رجال التربية من عنى بدرس هذه الأزمة الحاضرة ، ومن رأيه أنها ترجع إلى أنه لم يعد فى المدارس الفرنسية أثرلذلك الروح الفكرى الذى كان ينتظم وحدات الطلاب ، فقد كانت المدارس الفرنسية لأول عهدها ترمى إلى إيقاظ العواطف الدينية ثم اتجهت بعد ذلك إلى تربية فكرة الجمهورية ، ثم انصرف الناس عن ذلك كله إلى فكرة واحدة هى نتائج الامتحانات ، وقد نفع ذلك وقتا ما ثم تداعت الروابط واندفع الطلبة يفعلون ما يشاءون بلا وازع من أنفسهم ولا رقيب

ولكن رأي أنا أن هذا الاضطراب يرجع في جوهره الى أن الطلبة والاساتذة يمثلون جيلين مختلفين أشد الاختلاف، فقد طفر الجيل الجديد، وأصبح الاساتذة من المتخلفين. ولا علاج لهذا إلا أن يقبل الاساتذة على أنفسهم فيروضوها على فهم الواقع ثم يستعدوا للنضال بأسلحة العلم الحديث، ومن سفه الرأى أن يظل فريق من الاساتذة غارقا في تأملاته القديمة وأفكاره العتيدة كأنها نصوص مقدسة وإذا كانت التقاليد الدينية على حرمتها ووقارها لم تعد تستطيع البقاء في البيئات الفرنسية فان هناك تقاليد مدنية كتب عليها أن تزول والعاقل هو الذي يفهم ذلك ويعرف أن للتقاليد أعمارا كاعمار الثياب، وليس في مقدورنا أن نقف أن للتقاليد أعمارا كاعمار الثياب، وليس في مقدورنا أن نقف

حيارى مترددين ننظر إلى الماضى نظرة العطف، وإلى الحاضر نظرة الخوف، وإلى الحاضر نظرة الخوف، وإلى الحاضر نظرة الخوف، ولكن من واجبنا أن نفهم بسرعة كيف نتقدم إلى. الميدان وكيف نتخير أسلحة النضال.

وهذه الآزمة لايقتصرشرها على فرنسا ومصر، ولكنه موزع، على أقطار العالم القديم والعالم الجديد ، والانجليز والامريكيون فهموا ذلك أول الناس ، وانحدروا مع الطلبة يشاطرونهم الجدد ، واللعب ، والعمل ، والفراغ ، وقد تلفت الطلبة الانجليز والامريكيون فرأوا أساتذتهم قد عادوا زملا ، وادعين يلاعبونهم التنس ، ويماشونهم في الطرقات ، ويساهرونهم في المراقص وبذلك انطفأت الثورة وعرف الاساتذة كيف يعيشون في سلام! ولكن ما نتيجة ذلك ؟ إنها لنتيجه سيئة! ولا يمكن أن يقال إنه هكذا يكون العلم ، وهكذا يكون التعليم . وحظ الاساتذة الفرنسيين على شقائهم وبلائهم أحسن وأفضل ، فللا ستاذ أن يجاهد طلبته وأن يحارب جنونهم وشططهم ليردهم إلى الجد مااستطاع إلى خلك سبيلا ، ولان يجاهد فيخفق خير له من أن يلين فيضيع

فالمشكلة فى جوهرها ترجع إلى تكوين الطلبة ، وذلك التكوين. لا يتم ولا يؤتى ثمره إلا إن اهتم الأساتذة بايجاد مثل أعلى يكون غرض الجميع ، وهذا المثل الأعلى كيف نتخيره ؟ ومن أى طبيعة يجب أن يكون؟

لقدخمدت التيارات الدينية ، والاجتماعية، والسياسية، فما عسى.

ان نفعل في تسيير الجيل الجديد؟

الرأى عندى أن توجه العزائم إلى تتويج « العلم » وأن يتخذ منه مثل أعلى تخشع لهيبته القلوب ، ولـكن يجب أن يفهم القراء أن هـذا « العلم » الذى أدعو إلى تتويجه ليس هو العلم الذى عرفوه والذى لم يرتفع بهم عن الأرض ، بالرغم مما أضاعوا فيه من طوال السنين ، ولكن العلم الذى أدعو إليه هو العلم الذى سما بأصحابه إلى المتلاك ناصية السماء ، وصيرهم سادة فى العالمين

باریس فی ۱۲ نوفمبر سنة ۱۹۳۰

۔ ﷺ انتہی الجزء الأول ﷺ ﴿ ویلیه الجزء الثانی ﴾

فهشرس

الا دب الجديد ۸. أحاديث . فائدة مهة جدا ۸٧ درس الاحب في الا رهر الشريف. 95 إشراك العقول 90 قصائد المديح في اللغة 47 ١٠٧ من عهد الي عهد مكانب الموظفين فيشهر رمضان. ١١٥ بين العقل والهوى ٩٢٣ إلغا. الدراسات الاسلامية في جامعة استامبول ١٢٥ أسالب الكتاب ١٣٢ عيد الحرية في باريس ١٣٩ قبل الطعام والشراب العمر الضائع في الا وهر! 124 150 الاحسان الى العقول؟ قالت التوراة في باريس ١٤٨ ليلة وليلة ، أزهري يصف المرقص. 104 الللة الثانية 175 ١٦٧ الاكرمر الشريف ١٨٣ أطفال بوهيميون ذكريات طالب ، يوم البعث ۱۹۸ خطرات ٢٠٤ كيف يساس الطلبة في المدارس

الفرنسية

€ تمت **€**

١ كتاب العهد الماضي ، تمهيد الشيخ محمد بك المهدي حیاته وآراؤه أسلوبه في الالقاء والانشاء مثال عن (معنى الاُ دب) ، انقد المثال ١٠٠٠ مثال ثان ع ۱ نقده ١٦ آثاره الادبية ١٧ في سبيل الوفاء ١٨ أخلاق الناس ٧١ الشباب المصري بين الترددو الاقدام ٧٧ الغزل في شعر شوقي ٣٤ بين العاطفة والذكاء ٤٠ نحوى القلب ٣٤ الجزل والرقيق ٩٤ ليالى الاعتقال ٧٥ الاتسبوا الدهر **ع،** شکوی علیل ٥٥ أرواح الكتاب ٥٥ حديث الحب ج کیف عرفت الشیخ سید المرصفی ؟

٧٩ فيله قولان ا

ر الجيزء الثاني من من كتاب البدائع

> *تأیین* الدکتور زکی مبارك

بسالنيا لتعالجهنية

الاحسان جميل ولكن الى من!

رسالة مترجمة عن الفرنسية

لا يمكن الارتياب في قيمة الاحسان من الوجهة الخلقية ؛ بل سرى من الفلاسفة من يفضله على العدل ، ويرى في اثره جمالا لا يسمو اليه العدل ، ونحن نعرف ما هي حقيقة الاحسان نعرف أنه حبالقريب ، والتفضل والعطف على الآخرين ، ونعرف أن الرجل المحسن يتلس الوسائل لنفع إخوانه والبر بهم ، ونعرف أن الاحسان يسمو بنا إلى تضحية أموالنا وأنفسنا في سبيل الانسانية فيصيرنا بذلك قادرين على الاعمال الجديرة بالخلود

ومن المفكرين من يعارض فى الاحسان، ويرى فيه حياة للشر على الارض، وعلى رأى هؤلاء يكون المرضى والبؤساء غير أهل للبقاء فن الواجب أن نتركهم ينقرضون بلاشفقة كما يترك الجيش جرحاه ويمضى فى طريقه، لايفكر فى غير الانتصار. وهذا هو الاساس الذى يمكن أن يبنى عليه جيل قوى سليم

ولكن ما قيمة هذا الاصلاح الحسى، وهو على أي حال محدود

إذا لم ينل إلا بتضحية الآخلاق؟ إنه لواضح أن أشرف العواطف هي عواطف القلب الانساني النبيل، وأن زوالها يرمى الانسانية بأبشع مظاهر السقوط

قد يعترض بأن فى الاحسان شيئا من السوء، لأنه يجرح من يتقبله وقد يذله ، ولكن من الحق أن نعترف بأن كيفية الاعطاء أفضل من الاعطاء ، وليس من طبع الاحسان أن يهين من يتوجه إليهم ، فان هناك وسائل لطيفة يمكن بها المحسن أن ينقذ من يعينهم بدون أن يمس كرامتهم أو يعرضهم للهوان

ومع ذلك لا ينبغى أن يقدم الاحسان اتفاقا ومصادفة ، وإلى ذلك أشار لا فونتين فى قصة القروى والثعبان إذ قال ما ترجمته :

من الخير أن تكون محسنا، ولكن إلى من؟ تلك هي المسألة. فلنبين بعد إذ عرفنا أن الاحسان خير كيف بجب أن نختار من نحسن إليهم، ولنذكر أو لا خلاصة قصة القروى والثعبان، وهي تتلخص في أن فلاحا أنقذ ثعبانا من البرد فلما أحس الثعبان الدف، هم بلدغ الفلاح، ففكرة لافو نتين ظاهرة؛ وهي أنه يجب قبل أن نحسن أن نتخير مواطن الاحسان، وأن نتجنب إسداء المعروف نحسن أن نتخير مواطن الاحسان، وأن نتجنب إسداء المعروف علمنا بطبيعة من نعاملهم من الأشرار والجاحدين لا يصلح سببا لترك الاحسان، فان من الجميل أن نحسن ولو كان جزاؤنا على الخير شراء وعلى البر عقوقا، ولا يصح أن يكون غرضنا أن نظفر الخير شراء وعلى البر عقوقا، ولا يصح أن يكون غرضنا أن نظفر

بشكر من نسدى إليهم المعروف، وإنما يجب أن تكون غايتنا أن نمثلدورناكرجال، وأن نظهر أبرارا خيرين مهما تـكن الحال ومهما يـكن الجزاء

على أننا مع هذا لا ننكر أن لفكرة لافونتين قيمتها من الوجهة. العلمية ، ففي أغلب الأحيان يكون الاحسان نوعا من الصدقة ، و إذ ذاك لايمر بلا سوء ، فهناك سائلون اتخذوا الاستجداء مهنة مختارة إذكانت قليلة المتاعب كـ ثيرة الأرباح ، وفي المدن الكبيرة توجد عصابات منظمة تعمل ليلنهار لاستغلال عواطف المحسنين ، يوجد آباء وأوصياء يهربون من العمل الشريف ، ثم يتركون أبناءهم ومن. يقومون على تربيتهم من القاصرين يستجدون الناس في المنازل،وفي. الطرقات والميادين، ليعيشوا من فيض هذه المهنة المخجلة التي تندي الجبين، وهؤلاء يستطيعون الاعتماد على سواعدهم في كسب القوت من طريق محمود ؛ ولـكنهم يتركون العمل خسةو نذالة ليعيشوا عالة على الاسخياء ، والاحسان في مثل هذه الاحوال تشجيع للبطالة والكسل؛ والعربدة، والكذب، والنفاق، وقتل للطباع السليمة وإحياء للغرائز الذميمة التي شقيت بها الانسانية وشقي في حربهــــا رجال الآخلاق ، وهؤ لاء السائلون لصوص يسلبون أموال الناس والاحسان إليهم اشتراك معهم في الجريمة وتأصيل لما يتعودون من سى و الخلال ، وكثيرا ما أغمض الانسان عينه عن البؤس الفاتك الذي يغتال البائسين، لأن هؤلاء السائلين عودوه الاقتناع بأن

كل سائل لص ، وبأن كل متسول محتال ، حتى غفت الضمائر . وقست القلوب

وفي الحق أننا تبينا غير مرة أنناكنا مخدوعين وأن أموالنا لم تمض إلى جيوب أولئك الآفاقين إلا عن غفلة وغرة؛ فا عتزمنا أن نقيد ما يثور فى قلوبنا من نبيل العواطف وأن نقف جامدين إزاء من يطلبون المعروف ، وكذلك جنى البؤس المزور على البؤس الحق وجنى علينا أيضا إذ قسى قلوبنا وزهدنا فى صنع الجميل.

فلنبحث إذاً عن مواطر الضراء ، لنبحث عن البؤس الذي يتوارى خجلا من أن يراه الناس ،وذلك يضطر الكرام إلى التغلغل في طيات المنازل المغمورة التي أضني أربابها الفقر ، ومنع الحياء أهلها من إعلان الفاقة والتعرض لبر الأبرار وفضل المفضلين ، وهنا يحسن ألا يكون البر مالا يمنح أو خبزا يعطى، وإنما يجب أن يكون البر نوعا من التشجيع المنتج الذي يساعد المعوزين على أن يعملوا بأنفسهم وأن يملؤوا بيوتهم من ثمرات ما يعملون

والاحسان حين يقع على هذا النحو ، لا يساعد على رذيلة ، و لا يعود أحدا الاستجداء ، ولكنه يوقظ القوى فى الغافين ويقوى الملكات التى أضعفها الفراغ وشلها السكون . وهو كدلك احسان نبيل : فلن يجد من نحسن اليهم غضاضة ، و لا مرارة فى تقبل ماتهدينا اليه الفطرة الشريفة فى نقلهم من وهاد الضياع و الخول الى منازل النباهة وسمو النفس ، والتطلع الى الغنى عن طريق الكدح الدائم

.والعمل الموصول أيها المحسنون!

ليس من البر أن تبثوا فى المعوزبن حب الاتكال على ما تقدمون اليهم من المأوى والطعام واللباس، ولكن البر أن تفتحوا لهم سبل الكسب وأن تذللوا ما يعترضهم فيها من صعاب وعقاب ليعودوا وهم أغنياه الجيوب، وأغنياء العواطف والمشاعر والنفوس

فقيد القلم والبيان

محمد السباعي

منذ عشرة قرون كان إمام الكتاب فى عصره بديع الزمان الهمذانى يقول:

« والموتخطب قد عظم حتى هان ، وأمر قد خشن حتى لان ، ونكر قد عم حتى عاد عرفا ، والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت الخف خطوبها ، وجنت حتى صار أصغر ذنوبها ، وأضمرت حتى صار أيسر غيوبها ، وأبهمت حتى صار أظهر عيوبها »

فليعذرنى القارى، إذا انصرفت عن وصف الموت وجنايته على عظها، النفوس والقلوب، فذلك فن من القول تناهبه الناس ولم يدعوا فيه مجالا لكاتب ولا شاعر ولا فنان

وأريد في هذه الكلمة أن أصف فجيعتى في السباعي وفجيعة الأدب فيه ، والقراء مرجوون أن يتقبلوها كلمة خالية من الزخرف والتنميق ، ومن الترتيب والتبويب ، فهي دمعة مرسلة في سبيل ذلك الكاتب البليغ ، أو هي على الأصح كلمة إنصاف يوحى بها الوفاء

* * *

منذ عشرین سنة كان أشهر الكتاب فی مصر خسة : محمد المویلحی ، و عبدالعزیزشاویش ، و علییوسف، و مصطفی المنفلوطی و محمد السباعی

وكنت فىذلك الحين طالبا مبتدئا ، وكنت كثير الشغف بمطالعة مايكتب الآدباء المعاصرون ، وكان أحبهم إلى قلبي رجلان : مصطفى المنفلوطى فكان يجذبني اليه مصطفى المنفلوطى فكان يجذبني اليه طبيعته السمحة ، وقلمه الطبع ، وقلمه الزاخر بالعطف والحنان ، وأما السباعى فكان يحملني على احترامه بصره باللغة العربية وذكاؤه الحاد النبي يتمثل فى احياء الألفاظ والتعابير ، ولا أكاد أومن بأنه كان فى مصركاتب آخر وعت حافظته مفردات اللغة العربية وأساليبها في مصركاتب آخر وعت حافظته مفردات اللغة العربية وأساليبها بمقدار ما تم ذلك للسباع ، طيب الله ثراه

ثم تعاقبت السنون وجد ناس غير الناس ، وكتاب غير الكتاب و نقاد غير النقاد ، وتحولت أيضا مع الأيام الى قارى. ناقد بعد أن مثلت دور القارى، المستفيد ، ثم كانت تصرفني الشواغل عن مطالعة ما يكتب المعاصرون وفيهم كتاب جديرون بالاجلال وكان السباعيمما انصرفت عنهم فى العهد الأخير .

وفى العام الماضى وأنا فى باريس فكرت فى العودة الى قراءة ما يكتب السباء ، وكان قصر أدبه على الصحف التى يصدرها صاحب البلاغ ، فراعنى أن أقرأ أدبا حيا جدا لايقل عمقا وطرافة عماينتجه مشاهير الأدباء فى أوربا ، ولكنى لاحظت أن الرجل يدور حول نفسه ، ويبدى ويعيد فى شؤون نفسية دقيقة قد يعسر فهمها على جمهور القراء ، وهناك قررت أن أناوشه من باريس عله يغضب فيتنوع بذلك ما يقدمه الى قرائه من غذاء

غير أن الرجل لم يخف عليه أنى شريف القصد فيما كتبت فكان من ذلك أن بعث الى بالرسالة الآتية:

«قرأت كلمتك التي دبحتهاعني يراعتك الرشيقة ، فطرحت عن كاهلي عبئا من الهم ما كان لشيء خلافها أن يريحني من فادحه وأطفأت عن كبدى شواظا من الكمد ما كان لغيرها أن يجيرني من قادحه ، ولا عجب فكثيرا ماكنت أشعر أثناء قراءتي بدائع ملحك ونفاتسك بائتلاف بين طبعك وطبعي ، وامتزاج بين روحي وروحك ، ولقد طالما وددت لو التقيت بك فتحادثنا وتسامرنا ولكن قضي الله أن لا يحصل التعارف بيننا الاونحن على طرفى الكرة الارضية ، وبيننا المهامه البيد والا كام ، والتنائف الفيح والآجام ، وسهول ووديان ، وبحار وخلجان ، وأن لا يصلك

صوتى أو يصلنى صوتك إلا بعد أن يجوب شطرى قارئين ، ويقطع دفتى عالمين ، ويمر بالجم العديد من أجناس الناس ، وصنوف البشر وشتى المدنيات واللغات،

وأخذنا نتراسل حتى قويت بيننا الصداقة ، وإن لم تصافحه يدى ولم تره عيناى ، ولما عدت من أوربا كنت حريصا على مقابلته ولكنى شغات عن ذلك بلا عذر مقبول ، وقد ظل يبحث عنى ويسأل المعارف والأصدقاء ، ولكن لم يكن لنا من التلاقى نصيب. ومن هذا يقدر القارىء كيف تكون لوعة من يفجع بمشل هذا الصديق الذى لم تره عيناه

* *

كان السباعي من أهل المرح والطيش ، لايرى العيش إلا في منازلة الصهباء ، ومغازلة الظباء ، فكان بذلك أعرف الأدباء بنعهاء الحياة ، ولكنه في أخريات أيامه استسلم إلى الحزن والابتئاس واطمأن إلى أن جذله حلم يذهب ، ودنيا تزول ، وقد تلقيت منه الكلمة الآتية وهي تفصح أتم الافصاح عن تبرمه بالحياة وضجره من الاحاء:

«لقد مضى على شهور وأيام، بل دهور وأعوام، وأنا أبكى مصاب الانسانية فى مصابى وأندب مابها من كوارث المحن وما بى، وأضع لوعة وأنينا، وأنتحب حرقة وحنينا، وتارة أرغى وأزبد وأبرق وأرعد ، حتى يخيل إلى أن أعين النجوم ترنو إلي شفقة وعطفاً ، وتدمع على بقطرات النور أسفا ولهفا ، وأن الريح تعول معی آسی ووجدانا ، والموج یصطفق حسرة لی وتحنانا ، کل ذلك ولا أسمع من بني آدم ولا من بنات حواء كلمة عزا. ، أو صوتا يلي الدعاء ، ولا أجد معونة آس ، ولا إسعافة مـــواس ، كلا ، ولا متعجب لى ولا متألم ، ولا متبرم ولا متسخط ولا مستنكر ، ولا مدح ولا قدح ، ولا استحسان ولا استهجان ، ولا بسط ولا «قبضٍ»كا بي أهتف بكلماتي بين رسوم بالية وأطلال،أو أعكف على أصنام وأوثان ، وكا نى أضرب فى حديد بارد ، وأصيح فى واد وأنفخ في رماد، وكانى مع هذا الجيل الأصم الوسنان كما قال القائل: فمايرتاح للمدح ولايرتاع للذم كانا إذ سألناه وقفنا سائلي رسم

وكذلك تعودت في هذا الشعب الحي «الحساس» أن أتقرب وأقابل بالصد والاعراض ، وأتزلف وألتي بالجفوة والانقباض وأستدنى وأستعطف وأصادم بالنفرة والابتعاد ، وأسهر في صناعة القلم وأسهد وأكافأ بمن أسهر على مصلحتهم بالوسن والرقاد ، وأزلف للناس المنة تلو المنة واليد إثر اليد وأجازى بالكفر والالحاد ، حتى ألفت من القوم هذه المخزيات المخجلات ، ووطنت نفسي على اليأس من كل خير ، وتوقع كل شر

وأصبحت حرفة القلم عندي بعد ماكان لها في سالف الزمن

من اللذة والسرور كاسفة حزينة ، جافة جدبة ، ناضبة مقفرة من الطرب والآنس ، بل من العزاء والسلوة ، وأصبح القلم في يدى أشد بؤسا ومسكنة من المزمار في يد الشحاذ المتسول ، ترى نغمه أقرب إلى أنة الثكلى منه الى رنة المسرور، وأشبه بصوت النعى منه بصوت البشير ، وكذلك صرير القلم في يدى أشبه بصرير أعواد النعش ، ولا عجب فانما قلمى نعش لنفائسه يحملها من المهد الى اللحد ، ولله الأمر من قبل ومن بعد»

وهذا الخطاب يصور آلامه فى أيامه الأخيرة أتم تصوير: فقدكان رحمه الله يشعر أبلغ الشعور بأنه مغبون ، ومثل السباعى كان جديرا بأن يرى نفسه سيد الكتاب أجمعين ، لأن ثقافته كانت وافية فى العربية والانجليزية ، وكان يقبل على الانشاء إقبال المثال على كرائم المرمر يخرج منها أروع التماثيل ، فكان من الطبيعى أن يحنق ويهتاج حين يرى غيره أقرب إلى قلوب الجماهير . . يضاف إلى ذلك مرارة الحيبة التى عاناها أخيرا فى حياته الغرامية ، فقد كان مفتونا بالجمال أشنع الفتون ، وكانت له انتصارات فى عنفوان الشباب فلما أسن واكتهل تحولت عنه الظباء ، واضطره عقوق الملاح الى القناعة بالأوهام ، ولننظر كيف يقول:

أيتها المحاولة سترجمالك ! حرمتنا سورة الحسن منظومة في صحيفة محياك ، فقرأناها في صحيفة الطبيعة منثورة ، فأنت لم تحتجي ما دمنا نراك في الضباخ المنير ، والجدول النمير ، فهلا منعت النجم لمعانه

والبرق سريانه ، والنهر جريانه ، والطير ألحانه ع»

ولكن هذه العلالات لم تغنه فتيلا، فأخذ يصرخ ويتملل في جزع دونه جزع الملدوغ ، حتى قرأنا له هذه الكلمات الموجعات :

«الحمد لله على تقطع أسباب الأمل! هذا الغدر والغش والخيانة هو قصارى حظ الانسان من المرأة التي يهوى ، هذه عكارة الكأس بعد رشفك رحيقها ، هذا هو الشمع الذى تنتهى إليه بعد أخذك العسل من قرص الخلية ، هذه جيفة الحب القذرة!! »

وله فى هذا الباب فصول طوال يندب بها ما كان له من النعيم فى أيامه السوالف ولياليه الخوالى، وقد عرف الجمال فى حاليه ؛ عرفه فى نبله ولؤمه، فلا هل الجمال لحظات كرم ونبل، وأيام لؤم وإسفاف.

وقد كتب إلى يقول:

« فتحت علينا باب الغانيات ، وهذا باب لا يسد ، والخروج منه أسلم ألف مرة من الدخول فيه ، إنى ياسيدى لاأعرف سحرة ولا مشعوذين أشد مهارة وحذقا باختتالنا ، واحتبالنا ، واختبالنا لدى كل فرصة سانحة ، و بسبب و بدون سبب ، ولمجرد اللهو بنا والعبث بعواطفنا ، ولمجردالضحك علينامن النساء ، وتراهن يلعبن بناألاعيبهن بمنتهى البساطة ، و بمنتهى الجرأة والوقاحة ، و بمنتهى الحذق والبراعة وهذا ياسيدى طبعهن ودأبهن يأتينه من مطلع الشمس إلى

غروبها ومن غروبها إلى مطلعها ، وأعجب العجب أنهن فى ذلك جميعه سواسية لافرق ولا خلاف بين الصالحات والفاسدات ، والطيبات والخبيشات ، والجريئات والخفرات ، والرقيقات والقاسيات »

*

أنشأ السباعي كثيرا وترجم كثيرا ، ولكنه كان يترجم حين ینشی، ، وکان ینشی، حین یترجم ، وبیان ذلك أنه کان یعتمد في الانشاء على ما اختزنه في ذا كرته من المعانى الغربية ، وكان يضيف الى الترجمة ماوعته حافظته من الآخيلة العربية ، فأنت حين تقرأ إنشاءه تلمح أشباحا انجليزية تغدو وتروح بين السطور وحين تقرأ ترجمته لأدب بيرون، وكارليل ترى ابن الرومي والمتنبي،والبحتري وذا الرمة ، ومن إليهم من شعرا. العرب يواجهونك بين ثنيات الصفحات ، ومن أجل هذا لم يكن بالمنشى. المبدع ، ولا المترجم الآمين، وإلا فلو كان السباعي هو صاحب الأفكار التي أودعها رسائله الكثيرة لفاخرنا بهكتابالأرض قاطبة ، لأنرسائله حوت الكثير الطيب من الآراء الفلسفية والأدبية في نضج وقوة ، فمزيته ككاتب متفوق ترجع إلى قدرته على « هضم » تلك الثروة الأدبية الضخمة التي جمعها من أزاهير الآداب العربية والأوربية وتصرفه فيها تصرف المالك الأصيل

أسلوب السباعى فن كله ، فهو ينحت الكلام نحتا ، ومن أجل هذا يغلب عليه الغموض ، ولكنه مع غموض أسلوبه يقهرك على الاعجاب به لأن ذكاءه يتمثل فى جميع ماكتب وما ترجم ، وقد قال فيه المنفلوطى منذ تسعة عشر عاما مانصه :

«السباعي هو أحدكتاب العصر الممتازين بالبراعة في الترجمة من الانجليزية الى العربية ، المعروفين بالتمكن في كلتا اللغتين على قلة المتمكنين فيهما معا ، الا أنه في ترجمته أميل الى التندر بالغريب وتدوين التراكيب الجزلة منه الى السلاسة والرقة ، ولعا باللغة العربية وشغفا باحيائها ، فمن لا ينظر الى الكتابة بالعين التى ينظر بها اليها يرى في كتابته أحيانا من التعقيد والمشادة غير مايراه »

ومن أشهر آثار السباعي ترجمته لكتاب الأبطال تأليف كارليل وكتاب التربية تأليف سبنسر، ورواية المدينتين لديكنز، ورباعيات الخيام، وقد وضع كتابا نفيسا عن بيرون، ونقل من الانجليزية الى العربية فصولا كثيرة جدا لم يوفق الى نقل مثلها أحد من المعاصرين، فهو من أقطاب الجيل الحاضر بلا جدال

والى القارى، نموذجا من ترجمته لكمتاب الأبطال نقتطفه من الفصل الذى كتبه كارليل عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام: «كانت عرب الجاهلية أمة كريمة تسكن بلادا كريمة وكا نما خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق، فكان ثمة شبه قريب بين وعورة جبالها ووعورة أخلاقهم ، وبين جفاء منظرها وجفاء طبائعهم

وكان يلطف من قسوة قلوبهم مزاج من اللين والدمائة كماكان يبسط من عبسوس وجوه البلاد رياض خضراء ، وقيعان ذات أمواه وأكلاء ، وكان الاعرابي صامتا لايتكلم إلا فيما يعنيه إذكان يسكن أرضا قفرا يبابا خرساء تخالها بحرا من الرمل يصطلي جمرة النهار يومه و يكافح بحر وجهه نفحات القر ليله رات رجلا أما إذا الشمس عارضت

فيضحى وأما بالعشى فيسخص ولا أحسب أناسا شأنهم الانفراد وسطالبيد والقفار يحادثون ظواهر الطبيعة ويناجون أسرارها إلا أنهم يكونون أذ كياءالقلوب حداد الخواطر ، خفاف الحركة ، ثاقبى النظر، وإذا صح أن الفرس هم فرنسيو المشرق فالعرب لاشك طليانه ، والحق أقول لقد كان أولئك العرب قوما أقوياء النفوس كائن أخلاقهم سيول دفاقة ، لها من شدة حزمهم وقوة إرادتهم أحصن سور وأمنع حاجز ، وهذه وأبيكم أم الفضائل وذروة الشرف الباذخ»

وهذه الفقرة تمثل طريقته فى الترجمة فهو يضيف إلى الأصل معاني جديدة ، ولسنا بحاجة إلى مراجعة الأصل لنعرف مازاده السباعى فى هذه الفقرة على كلام كارليل ، فمن المؤكد على الأقل أن البيت الذى انتزعه من رائية عمر بن أبى ربيعة وأضافه إلى معاني كارليل بعيدكل البعد عن نص كتاب الأبطال!

وبعد فقد كان السباعي من أهل التضحية في سبيل الأدب، ضحى بمستقبله وطمأنينته في بلد لا ضمان فيه لحملة الأقلام ، لقد ابتدأ عمله بالتدريس ، ثم رأى مهنته لا تصلح لغير المتزمتين المتوقرين الذين يرون الدنيا بعيون النائمين ، ورآها كذلك مهنة تفرض على أصحابها النفاق و تروضهم على العزلة والانزواء ، وكذلك آثر حياة الكتابة على حياة التدريس ليطلق لعقله وحسه العنان ، ويعيش عيش الأديب الفيلسوف .

ولكن فى أى عهد كانت هذه المخاطرة؟ كانت فى عهد مظلم يحيا فيه الصحفيون والمؤلفون والمترجمون تحت رحمة العوام وحلفائهم من أشباه الحنواص!

فان ذكرتم أيها الناس أن السباعي قضي أكثر من عشرين عاما وهو موصول الجدوالكدح في إمداد الجرائد والمطابع والمكاتب بأروع آيات الترجمة والانشاء فاذكروا بجانب ذلك أنه كان يحيا حياة العامل المسخر ، أو الأجير المغبون ، وقد كانت تمر عليه أيام مضجرة لا يعرف أين يكتب ، ومع من يعمل ، وإلى من يتوجه ، وذلك حظ أكثر الكتاب المصريين الذين لاعم لهم في الحكومة ولا خال !

فيا أيها الصديق الذي لم تصافحه يدى ولم تره عيناى ، سلام عليك من إنسان لم يوفق إلى السؤال عنك ، وقدساً لت عنه في صدق وإخلاص ، كأنك كنت تقدر أن أجلك قصير وأن من الخير أن تبادر إلى توديع المعجبين بك من عشاق الادب والبيان! والله يعلم مبلغ ندى على التفريط في لقائك ، وهو المسئول أن يجزيك على أدبك أحسن الجزاء

٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣١

كلمة تستحق الخلود

قرأت ماكتب البلاغ عن حضرة السيد أحمد الهوارى أحد قضاة المحكمة الأهلية فى رباط ، فرأيت لهذا السيد كلمة حكيمة يسرنى أن أوجه إليها القراء مرة ثانية وأن أوصيهم بحفظها بين الكلمات الباقية ، وذلك قوله :

« لقد تملكنى الطرب عند ما لمحت رئيس المحكمة يناقش المتهم بعطف، ويتكلم مع الشاهد بحذر »

تأملوا هذه الكلمة أيها القرراء واحتكموا إليها فى حياتكم الاجتماعية ،فأنتم أيضا قضاة تحكمون بين الناس فترفعون وتخفضون وفقا للعواطف أو الوشايات ، وكم من رجل ضاعت حقوقه بفضل

الظلم المباحق الذي يقع من قضاة المحاكم الاجتماعية ، التي لم يصدر بانشائها مرسوم ولا قانون ؟ إن المغتاب والنمام من شهود الزور ولكن الناس لا يعلمون ، ومن تقع عليهم الوشايات والنمائم هم أيضا متهمون ولكنهم لا يملكون الدفاع ، لانهم يحاكمون أمام محاكم جائرة لا تسأل المتهم ولا تناقش الشهود

إن المحاكم الأهلية والشرعية فى مصر جديرة بالاجلال لأنها عرفت بانصاف المظلومين

أما المحاكم الاجتماعية في مصر فتحول الفضاء الواسع إلى سجون وتقضى على الأبرياء بالحرمان من أنفس ما يملكون وهو حسن السمعة وطيب الاحدوثة ، بفضل الحرية القذرة حرية القيل والقال

المواساة الروحية للمؤلفين

كتب الأستاذ محمد عبد القادر حمزة كلمة كريمة بمناسبة تكريم مؤلف النثر الفني جاء فيها هذا النوجيه النبيل:

« جميل أن يكرم الأدباء فى كل مناسبة ، لأن هذا يدل على أن للا دب فى مصر أنصارا أصبحوا يقدرون جهود العـــاملين على خدمته تقديرا يشجع الأدباء على مواصلة عملهم الشاق متناسين ما يلاقونه فى سبيل الفن الذى يعشقونه من عقبات ، ولكن هل

يكفى التشجيع الآدبى وحده لدفع الأدباء وحثهم على مواصلة الجهود التى ينفقونها راضين مسرورين فى سبيل الأدب المضرى؟ هل يكفى أن تقام للاديب أو الشاعر حفلة تكريم تمتدح فيها أعماله الأدبية الشاقة ومؤلفاته الكثيرة التى أنفق فيها زهرة عمره ؟ »

ثم مضى حضرة الكاتب المفضال فوازن بين أدباء الشرق وأدباء الغرب، وقال إن أدباء الغرب يجدون من أنصارهم الكثيرين تشجيع ماديا يجلب لهم الثروات الطائلة التي تغنيهم وتوفر لهم العيش الرغد والحياة الراضية مدة حياتهم ثم تبقى لورثتهم بعد ذلك أما أدباؤنا فلا يحلمون بشيء بما ينعم به زملاؤهم الغربيون لأنهم لا يجدون من الجهور ومن أنصار الأدب الرواج الذي يرجونه لمؤلفاتهم

وأجيب الكاتب المفضال بأن ما يحتاج إليه كتاب مصر وشعراؤها ومؤلفوها هو المواساة الروحية ، أما الشروة الطائلة التى تنفعنا في الحياة وتعود على أهلينا بعد الممات فتلك علالة لم أشغل بها نفسى يوما من الآيام ، وأكاد أومن بأن الغنى فتنة سخيفة تقضى على عرائم الرجال . على أن الغنى ميسور لمن يطلبه من الكتاب والمؤلفين ، والغنى هناهو «الستر» المعروف فى لغة التخاطب ، فليس لمؤلف إلى «الشروة الطائلة» من سبيل ، وكل مانر جوه فى دنيانا أن يتركنا أهل زماننافى أمان من الدسائس والوشايات والآراجيف كل ما نرجوه أن يشعرنا من نصاحبهم ونعايشهم ونزاملهم

بأننا فى بيئة كريمة ترعى العهد وتحفظ الجميسل، كل ما نرجوه أن لا يشغلنا أحد عنواجبنا فى الدرس والتأليف ،وأن نعيش أحرارا لا يحد من حريتنا شىء غير سلطان الواجب الذى نرى العبودية له كرامة وعزة ، كل مانرجوه أيها الصديق أن يحملنا إنصاف من نعاصرهم على التأدب بآداب الكرام من الناس ، وليس الغنى بعد ذلك إلا مشغلة للنفس والقلب والروح

وما رأيك فى أن مؤلف النثر الفى خرج من حفلات التكريم بدرس بليغ هو أنفع وأجدى من الثروات الطائلات ? لقد كنت يائسا كل اليأس ، وكنت أخشى أن يضيع كتاب النثر الفنى، وكنت أتوهم أحيانا أنى أورط الناشر وأبدد أمواله بلا رحمة ولا إشفاق ، وكانت نيتى _ إن ضاع كتابى _ أن أهجر العلم والمدينة وأعود كما بدأت بين الفأس والمحراث وفى صحبة البقرة والجمل ، أتلمى بأنين الساقية ، وعصف الريح بين النخيل والأعناب

كانت تلك نيتى ، وكنت أقترب من النهاية يوما بعد يوم ولكن المعاصرين من أهل الأدبكانوا أكرم مماكنت أظن فماكاديظهر كتاب النثر الفني حتى أقبلوا عليه وانتشلوا المؤلف من وهدة اليأس والقنوط

إن الذين أقاموا حفلة القاهرة كانوا من الاصدقاء ، فلا غرابة في ان يظفر منهم المؤلف بكلمة ثناء

أما الذين أقاموا حفلة الاسكمندرية فلم أكن أعرف منهم غير

الصديق على البحراوى ، وتقدم لمواساتي وتشجيعى رجال لم أعرفهم من قبل ، وذلك بيت القصيد ، فليس بالقليل أن يهتم بك ناس لا تعرفهم فيغمرونك بالعطف والوداد ، على نحو ما صنع الأساتذة عتمان حلى ، وعبد المعطى حجازى ، وعلى حافظ ، ومحمد فضل إسماعيل ومحمد حلمى

إن الحقائق المعنوية أنفع من الحقائق المادية فى مداواة القلوب والعزائم والنفوس ، وأنا رجل تقشفت واخشوشنت زمنا طويلا ولكنى لم أشك الجوع مرة واحدة، ولن أخشاه فيما بتى من حياتى وكل ما كنت أصبو إليه أن أجد بينى وبين قرائى صلة روحية أنسى بها لؤم الزمان

لقدكنت أنظر فى رعب وفزع إلى الصداقات التى تهدمت من حولى فى الأعوام الأخيرة، وهى صداقات أنفقت فى بنائها ماكنت أملك من كرم الوفاء فى عنفوان شبابى، ولكن شا، ربك أن تقوم على أنقاضها صداقات جديدة ستكون أقوى وأمتن، لأنها صادفت النفس فى حالة يأس فردت إليها المسلوب من بقايا الأمل وصبابات الرجاء

لقد عرفت أن الدنيا ليست شرا محضاكما يتوهم المتشائمون، فان غدر بك صديق فلا تجزع، فني الناس خير مدفون ستظهره الآيام، وإن ضاع منك مأرب فلا تحزن فني الدنيا مجالات واسعة لمن يعرف كيف يجالد بعزائم الرجال، وثق بأن حيويتك هي في

دمك وأعصابك ، وأن من المستحيل أن يهدمك غيرك حين تكون متين البنيان

تلك كلمات أسوقها للسكاتب المفضال الذى دعا الناس إلى مواساة المؤلفين بالوسائل المادية ، واني لا شكر له هذه الاشارة ، وأرجوه أن يتذكر أن المواساة الروحية أشرف وأنفع ، وهي من جانب المنصفين عمل جليل نرجو الله أن يجزيهم عليه خير الجزاء ١٩٣٤ سبتمبر سنة ١٩٣٤

خط___رات

باریس فی ۱۹ اغسطس سنـــة ۱۹۳۳

النباتيون في باريس

للنباتيين مطعم فى الحى اللاتينى لا يعرفه إلا الأقلون ، وكنت منذ ثلاث سنين اختلفت إليه نحو أسبوعين لاكتب عنـه مقالا مفصلا لجريدة البلاغ ، ثم انصرفت عنه ولم أعد إليه

وفى هـذه الآيام بدا لى أن أرجع إلى النباتيين، ولم يرجعنى إليهم الا المعدة الضعيفة والجيب السقيم، وسقم الجيب أسوأ أثرا من ضعف الأمعاء وقد دهشت حين رأيت رواد المطعم أقل مما كنت أعهد، وفكرت في السبب فرأيته يرجع الى أن ادارة المطعم غيرت نظامه فقد كان الطاعمون يخدمون أنفسهم بأيديهم ، وكانوا يأخذون ما يشاءون من الألوان ، ويكررون ما يستطيبون بلا حساب ، أما الآن فقد أمسى الطاعمون يخدمون على الموائد ، ويدور عليهم غلمان مقترون لا يخرجون قيد شعرة عن جريدة المائدة ، وزاد ثمن الأكلة خمسين سنتيا ، وهذا وذاككان السبب في انصراف أكثر زبائن المطعم ، وكانوا من قبل يمدحونه ، ويرون فيه المثل الأعلى زبائن المطعم ، وكانوا من قبل يمدحونه ، ويرون فيه المثل الأعلى للفكرة النباتية التي تبالغ في التحفظ فتحرم السمك والبيض

ولهدده الملاحظة نتيجة لا تخنى على القراء، فأكثر النساس يتفلسفون وليسوا فلاسفة ، ومنهم من يخنى أطماعه وأغراضه بستار من المداهب الادبية ، والاخلاقية ، ومنهم من يدافع عن رأى لا يؤمن به ، ولكنه يرى فى الدفاع عنه بعض النفع

اللحميون والنباتيون

يرى النباتيون أن الانسان نباتى فى أصل الخلقة ، وحجتهم أن أنيابه أضعف من أن تنهش اللحم ، بدليل أنه لا يستطيع أكله إلا مطبوخا أو مشويا ، فاذا قدم له اللحم نيئا عجز عن مضغه ، وهو إذا استطاع مضغه بعد تليينه ببعض التوابل كان معرضا للحمى الفاتكة ، كما يقع ذلك لاكلة اللحم النيء فى بعض الأقطار الافريقية وعندى أن الانسان لحمى أيضا بالفطرة ، ولا عبرة باجتياجه وعندى أن الانسان لحمى أيضا بالفطرة ، ولا عبرة باجتياجه

إلى شى اللحم وطبخه ، فانه وصل إلى هذا بذكائه والذكاء للانسان كالناب للائسد، ألا ترون كيف تحمد الشجاعة فيمن يصاول أسدا مع أنه لا يستطيع ذلك إلا بقوة السلاح ؛ والسلاح من عسدة الانسان الطبيعية ، فهو الذى اخترعه وهو عنده كالأنياب والمخالب عند السباع

وقد جربت بنفسى أثر العيشة النباتية فرأيتها خطرة العواقب: لأنها تخمد جذوة الافتراس في الانسان، واللحم هو أصل الافتراس أما النبات فيفطر آكليه على الوداعة واللين، ولو شاء القط على نحافته لروع الجمل على ضخامته ، لأن القط آكل لحم، والجمل آكل عشب. وفي الآيام التي أقتصر فيها على المواد النباتية أراني هادئا مسالما لا أفكر في مهاجمة أحد من خلق الله، ولعل هذا هو السر في أن الاستاذ فريد وجدى صار من ألين الكتاب قلما ، فهو لا يجادل أن الا بالتي هي أحسن ، ولا ترى في كتابته جملة واحدة تحمل معنى معانى العنف .

وقد جادلته مرات على صفحات البلاغ فكان لطيفا رفيقا، أما أنا فكنت أتلطف وأترفق، والفرق بعيد بين من يرق ويلطف بالطبع ومن يتكلف الرفق واللطف

اللحم والشهوات

ومن مزايا الحياة النباتية أنها تخمد الشهوات ، وفي هذا شيء من الحير ، ولكني أخشى أن يكون فيه كذلك شيء من الشبر ، فان

الشهوات هي أساس العظمة المدنية ، ولوخمدتشهوات الناس لفقد العالم ثلاثة أرباع ما فيه من المصانع والمتاجر والمكاتب. ولكل عظيم من عظهاء العلم والأدب والسياسة شهوة حفزته إلى ميادين المجد، والشهوات مصدرها أكل اللحم ، فلو قاطعناه وتابعنا النباتيين لعدنا فكرة مسالمة في هذا الوجود ، والمسالمون هم أقل الناس حظا في الحياة لأن الحياة عراك ونضال وقتال

ولواستقصينا مذاهب المصلحين في العالم لرأينا اللحميين كانوا أنفذ أثراً من النباتيين. وفي الموازنة بين الاسلام والمسيحية تفسير لذلك، فقد ظلت المسيحية معطلة حينا من الزمان إلى أن قام بأعبائها رجال أشداء، أما الاسلام فنهض على أكتاف أبنائه منذ اللحظة الأولى ، لأن القرآن نهى من امتنعوا عن أكل اللحم بقوله (ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فهو يروضهم على القوة ، ولكنه ينهاهم عن الاعتداء ولا ينهى عن الاعتداء ولا ينهى عن الاعتداء ولا ينهى عن الاعتداء الله الاقوياء، أما الضعفاء فيوصون بالصبر والاحتمال

وحال الانسان كحال الطير والحيوان: فني عالم الطير لايكون الجوارح إلا من أكلة اللحم، والحمامة يضرب بها المثل في الوداعة لأنها من أكلة الحبوب، وفي عالم الحيوان لايكون الافتراس إلا من أكلة اللحم، أما أكلة الاعشاب فضعاف، وهم وحدهم المسخرون للانسان من دون سائر الحيوان

المسلمون والأقباط

وهنا فكاهة لابد من إيرادها ترويحا للنفس ، فقد سألني أحد رواد المطعم عن وطني ، فأخبرته أنني مصرى . فسأل : أكنت تأكل اللحم في بلدك ؟ فقلت : إي والله ! فقال : أنت إذن قبطى . فقلت : لا ، أنا مسلم ، فقال : وكيف تأكل اللحم وتخالف مواطنيك . من المسلمين ؟

وأردت أن أعرف سر هذا الجهل الطريف فقدم لى نشرة. نباتية فرأيت فيها ما ترجمته:

«وبما يدل على أن اللحم مضر وأنه يسير بآكليه إلى الانقراض أن أقباط مصر صاروا على الزمن أقلية صغيرة جدا ، فقد آثروا سكنى الحواضر واستمروا يأكلون اللحم ، بخلاف المسلمين فى مصر فانهم يسكنون الأرياف ولا يأكلون غير البقول ، ولذلك صحت أجسامهم ، وطالت أعمارهم ، وكثرت ذريتهم حتى شارفوا فى العدد أكثر من خمسة وتسعين فى المائة من مجموع السكان وذلك بفضل الحياة النباتية التى درج عليها المسلمون هناك »

ومن الواضح أن هـذا جهل، فان أقباط مصر قد يـكونون نباتيين أكثرمن المسلمين بسبب الصوم الذي يمتنعون فيه أشهرا عن. لحم الحيوان وما يستخرج من الحيوان

ضجيج المعروف

تطل الغرفة التي أسكنها على شارع هادى، يصل شارع المدارس بشارع مونج، وفى الشرارع الهادئة يتجول المغنون فى الطرقات. وبالأمس قبيل العشاء (بفتح العين) وقف مغن رخيم الصوت و بصحبته زمار لبق ، وأخذ هذايزمر وذاكينني ، وأقبل الساكنون من الجانبين يتطلعون من النوافذ ، واجتمع الأطفال حول الزامر والمغنى، وبعد لحظات شرع الساكنون يرمون أوراقا ملفوفة فيها نقود ، ولاحظت أن بعض الأوراق يسقط فلا يسمع له ضجيج ، وبعضها يرن رنينا قويا صخابا ، وتأملت فعرفت أن الأوراق التي لا يسمع لها ضجيج هي الأوراق التي تحمل نقودا قيمة من فئة الفرنكات، أما الأوراق الصخابة فتحمل فلوسا سخيفة من نوع الخردة، وقد اتفق أن لففت جملة من هذا النوع تساوى أربعة ملليمات وألقيت بها إلى المغنى، فضج بها الشارع ضجيجا مفزعا وكانت مع الأسف ملفوفة في ورقة تحمل حروفا عربية ، فأسرعت وداريت وجهى حتى لا يقول المغنى: من أين جاء هذا الاعرابي المخيل!

أيكون المعروف كذلك فى جميع الأحوال: يصمت فلا يتكلم حين يكون نفيسا ، ويصخب ويثرثر حين يكون سخيفا ؟ إن الرجل الذى يصنع المعروف للمعروف يكون فى الأغلب من الصامتين ، ويكون كذلك من الأسخياء الذين يخجلون من إعطاء القليل ، أما الذى يصنع المعروف حبا فى الثناء فهو ثرثار صخاب ، وهو فى الأغلب يجود جود الأشحاء ، وقد يكون بمن عناهم المتنبى حين قال: جود الرجال من الأيدى وجودهمو

من اللسان فلا كانوا ولا الجود وجود اللسان هو أكثر مانرى فى هذه الآيام ، فكم رجل تلقاه فيحدثك بأنه معجب بك وأنه لايذكرك إلا بالخير فى غيبتك ، فاذا جد الجد وعلم أن كلمة الخير تؤدى إليك بعض المنافع أسرع فطواها عنك فى المحضر والمغيب ، ثم اندفع فقال فيك ما يقول السفهاء فيارب إن الناس لا ينصفوننى وكيف ولو أنصفتهم ظلمونى

الأمم والحكومات

تعود الشرقيون منذ أجيال طوال أن ينتظروا من حكوماتهم كل شيء ، مع أن الحكومات لم تقم في الاصل على خدمة الشعوب إنشاء وتعميراً ، ولكنها قامت على أساس الفصل بين الناس حين يختصمون ، ودفع عدوان القوى على الضعيف . ونظرية الحكومة تفترض ذلك ، لانها فيها توهم الفلاسفة نشأت عن نزول كل فرد

عن جزء من حريته ليتكون من تلك الحريات مجتمعة سلطة تقوم بها هيئة تنفيذية تتولى حفظ التوازن فى حياة الشعوب

ولكن الآمر انعكس في الأمم الشرقية ، ولعل السر في ذلك أن الحكومات في الشرق تتـكون في الأغلب من رجال هم الصفوة الممتازة من حيث الثقافة والمال، فتعود الناس أن يروا صورة الأمة فى وجه الحكومة ، و نتج من ذلك أن خمد النشاط الشعبى خمو دا مخجلا . وانطلق الأفراد يتكلون على حكوماتهم فىكل صغيرة وكبيرة ، حتى ضخمت السلطات الحكومية ضخامة هائلة ، وصارت الأمم تعرض للخوف والجوع إذا تولت الأمر حكومة جائرة أو ضعيفة ، وذلك مصيركل أمة لاتعتمد على نفسها ولاينصب لهافى دفع الشدائدميزان فان شاء القارىء مثالا لهذا الرأى فانا نقدم له الحكومة المصرية وهي الحكومة التي تنفق أكثر من ثلث إيرادها على الموظفين، فهي حين تكسب دينارين بيد الموظف تعطيه نحوالنصف وتأخذ النصف والنصف الذي تأخذه لن يدخر ، ولـكنه يعود رأس مال يعمل به موظف جديد، وهكذا دواليك!

وقد يقال إن هذا لاخطرفيه فان الحكومة حين تحتكر الأعمال الانشائية إنما تؤدى عملا هو فى روحه من الأعمال الشعبية ، وهذا فى ظاهره حق ، ولكنه فى صميمه ضلال ، فان الموظف الحكومى لا يعمل إلا معشار ما يعمل الرجل الحر ، ولوشئت لضربت المثل يمطبوعات دار الكتب المصرية فان كتاب الاغاني يقوم بتصحيحه

ثلاثة من الموظفين الأدباء ، وقد أخر جوا خمسة أجزا ، فى ثمانية أعوام، فتكلفت هذه الاجزاء الحنسة ألوفا من الجنبهات ، ولو قام بتصحيح الأغانى أديب غير موظف لأخرجه كاملا فى عامين ، وربحت الأمة ذلك الفرق الهائل المسبب عن شلل الآلات الحكومية (١)

ومثل ذلك يقال في أكثرالاعمال التي تقوم بهاالحكومة والتي أذاءت المثل المعروف « يوم الحكومة بألف » ولوتلفتنا إلى الأمم الأجنبية لرأينا الأعمال العظيمة لايقوم بها غير الهيئات الشعبية ، وهي هيئات تتنافس وتختصم في سبيل الكسب الشريف، فالمواصلات الأساسية وطرائق التعمير والانشاء تقوم على كواهل الافراد أو الجماعات الحرة ، ووظيفة الحكومة أن تراقب وتعــاون إذا اقتضى الحال، ولذلك أثر فعال في إذكاء الحماسة الفردية، فالشاب المتوثب إلى العمل الحريجد أسبابه حيث اتجه ، ويثق ثقة مطلقة بأن حظه في يده، وأن النشاط والاستقامة خليقان باحلاله المحل الذي يليق بمواهبه الخلقية والعلمية ، وبذلك لايتخلف إلاالعجزة الضعفاء والذين يحيون هذه الحياة يجدون وقودا لمواهبهم فىكل وقت لانهم يستمدون الغوث من قلوبهم وعزائمهم ، ولا يرجعون إلى حكوماتهم إلا عند الفصل في الخصومات

ولك أن ترجع إلى ملفات المحاكم الأوربية والمحاكم المصرية فترى القضايا الشخصية عند أهدل أوربا فى المحل الثانى، أما قضايا (١)وليت هذه الا عوام الثمانية وآلاف الجنهات أنتجت من عمل الادباء الثلاثة ثمرة ناضجة اله مصححه

الشركات والجمعيات فلما المكان الأول، لأن الناس هناك يختصمون في سبيل الدنيا، أى في سبيل المادة التي تخفض وترفع، والمادة هي أساس المدنية في هذا العصر، واشتباك المنافع المادية هو أساس العظمة عند شعوب هذا الزمان. أما محاكم مصروالشرق فللمنازعات الشخصية في ملفاتها مكان بارزكل البروز، وإذا اختصم الشرقيون خصومة مالية فثق كل الثقة أن أغلبها يدور حول المال الموروث، أما النزاع على المسكاسب الجديدة العصامية فنزاع لا نعرفه إلا قليلا وفيم نختصم وأقوانا ساعدا هو من يحتفظ بتراث أمه وأبيه ؟!

وهدا يرجع كما قلت إلى الاتكال على الحكومة التي تحتكر عظائم الأعمال ، فصار أغنياء العصر هم الوارثين والمدوظفين ، أما الوارثين المستند إلى ماترك الأموات ، وأما الموطف فلا نه اعتمد على منافع ثابتة هي مرتبه الذي يناله بأيسر جهد

وقد نبت في هذا العصر ناشئة جديدة تريدالاقدام على الاعمال الحرة ، ولكنها حين تتصل بالصحف تكتبأ و لماتكتب في الشكاية من المحسوبية ، فهم إذن يتصنعون شمائل الاحرار ، فيسير الشاب منهم ولسانه ومظهره يغريان بالحياة الحرة ، ولكن قلبه قلب الشاب القديم الذي درج على حب التمرغ في وحل الميري و ترابه ، و العياذ بالله النامصر لاتشكو ظمأ و لاجوعا ، لانها بلد خصب لا يموت فيه أحد من الجوع ، ولكنها تشكو فقد العزائم والنفوس ، ففيها وحدها يعز الموظف وهوذليل ، وفيها تقاس أقدار الناس بما يقبضون ، والموظف

الذى يزيد مرتبه خمسة ملليهات عن مرتب زميله يشعر بالتفوق عليه لأن الخسة الملليهات لم تزدعبثا ، وإنما كانت دلالة على أنه عبقرى. موهوب!

والعظمة النفسية قلما تكسب صاحبها مجدا فى هذه البلاد ، لأنها تبعده عن مواطن الكسب فى أرض لايتو لاها إلاالحكوميون، ولهذا يمشى الرجل الكريم منكس الرأس ، لأنه يعرف أن أهل بلده يرون فى وجهه صورة الرجل المخبون

و إلام يستمر هذا الحال البغيض؟ لقد طفح الكيل، ولم يبق إلا أن يفكر الناس تفكير آجديافي صيانة العظمة النفسية من عدو ان المطامع و الاغراض

ألاترون أن الشركات الأهلية أعزت أصحابها ، ألا ترونأن طلعت حرب على كرسيه في بنك مصر أعز من أكبر وزير تعصف به أهواء السياسة صباح مساء؟

فلم لا يقبل المصريون على أمثال هذه المنشآت فيصيرونها عشرات ومئدات ليقوا الشباب عادية التملق والمتزلف إلى الوزراء والوكلاء؟

إن مرض التوكل على الغير مرض وبيل، وهو السبب في قتل المواهب فى مصر والشرق، وحرب هذا المرض فرض على الكتاب والشعراء والخطباء، فليذكركل مفكر أن من واجبه أن ينقذ العظمة النفسية من هذا الداء، وليتذكر أنكل شاب يوجه وجهة صالحة إنما

هو حجر سليم فى بناء هذا الجيل الجديد · ألا قد بلغت ، اللهم اشهد ! ٣ ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٣٣

اشجان

أنا أكايد زماني!

جرت بيني وبين صديق عزيز المحاورة الآتية:

الكاتب ـ أتذكر الشاعر الذي قال:

أبكاني الدهر ويا ربما أضحكني الدهربما يرضى وغالني الدهر بوفر الغني فليس لى مال سوى عرضى لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعصض إلى بعض لكان لى مضطرب واسع

فى الأرض ذات الطول والعرض وإنما أولادنا بيننسا أكبادنا تمشى على الأرض لو هبت الربح على بعضهم لامتنعت عينى من الغمض الصديق ـ نعم، أذكره

الكاتب ـــ و تذكر أنك تحدثت عنه فى جريدة البلاغ ؟ الصديق ـــ نعم الكاتب ـــوتذكر أنك جعلته من مفاخر مصر الشاعرة الصديق ـــولا زلت أقول بذلك الكاتب ــفاتك أن تلاحظ أنه شهادة على مصر!

الصديق ــ وكيف؟

الكاتب _ إن هـذا الشعر يدل على أن مصر كانت فى أيامها الخوالى، كاهى اليوم ، تغل بنيها من الـكتاب والشعراء ، وتسومهم سوء العذاب!

الصديق ـــ ليقل هذا غيرك ، ياسيد زكى ، فان الدنيا تنتظرك ألست على أهبة الرحيل إلى باريس ۽ أو ليس معنى ذلك أنك فى حياتك حر طليق ؟

الكاتب ــ لا ، ياصديق ! لا شى عما ظننت ، فليس فى حياتى طلاقة ولا حرية ، ولكنى أكايد زمانى !

الصديق — تكايد زمانك ؛ نعم ماتفعل ، وليتك تدوسه . بقدميك!

فيا أصدقائى فى مصر . كايدوا زمانكم ،كاكايدت زمانى وأنت يادنيا . إنك لا رخص من أن يحزن فى سبيلك رجل بل

الوطن الغالى

رحلت عن مصر خمس مرات ، وكنت فى كل مرة أغمض عينى عند صفير الباخرة حتى لا أودع شواطى الاسكندرية ولا أفتن

النفس بفراق ذلك الثغر الجميل، وكان سر ذلك أنى كنت أشعر دائما بأنى أعيش في وطنى عيش المغبون، وكانت تمر بي لحظات ضجر وملال أكاد أمزق فيها مذكراتي عن اللغة والأدب، وهي مذكرات نفيسة تعد بالألوف، وكنت أقول: لمن أصنعهذا الصنيع وأين التلامذة النجباء الذين أصفيهم هذا الكنز الثمين

وكان يحزنني أن أوقن أن أحجار مصر لاتنطق ولو نطقت لأثنت على أبنائها الأوفياء.

وكانت الآمال التي بددتها الليالى تتمثل لحاطرى كلما حان الرحيل فأتجلد وأتكلف الصبرعلى فراق الوطن الغالى ، وأسرع إلى مخدعى فى قرار الباخرة لاتناسى لحظة الوداع

وفى هذه المرة صنعت مثل الذى كنت أصنع ، ولكن لم تمض دقائق على فراق الشاطى. حتى سمعت باخرة تصفر صفير التحية ، فتطلعت فرأيتها باخرة عائدة إلى الارض المصرية ، وعندئذ خفق قلى خفقانا شديدا ، وقلت فى تحرق وتلهف :

« ما أسعد العائدين! »

قهوة سوفليه

هل يعلم أستاذنا الدكتور منصور فهمى أن قهوة سوفليه أغلقت وحل محلها الخراب ع

لقد كانت هذه القهوة منتدى الطلبة المصريين منذ عشرين عاما وكان للدكتور منصور فيها ذكريات ، وفي إحدى غرفاتها اجتمع به الطلبة الشرقيون من مختلف الأقطار وألفوا جمعية كانت تسمى « الاخاء الاسلامي » وفى أبهائها رنت أصوات الخطباء باللغة العربية دفاعا عن الاسلام

كانت تلك القهوة في أجمل بقعة من بولفارسان ميشيل ، وكان الجالس هناك يستقبل ببصر ، الشره من ترميهم الأهواء من البولفار أو شارع المدارس أو شارع مدرسة الطب أو شارع راسين ، وكانت بطبيعة موقعها مألف ظباء ، وكان الصيد فيها مباحا إلى أخريات الليل ، وكانت في أيامها الأخيرة ناديا للكسالي الفضلاء من الطلبة المصربين . وأحسب أنه لم يسقط طالب مصرى سقطة علمية أو خلقية إلا ولقهوة سوفليه نصيب من الفضل في ذلك السقوط . ولهذا شهد الطلبة إغلاقها بقلوب حزينة ، وعيون دامية ، ولم يمنعهم من الموت جزعا عليها إلا التمسك بأهداب الصبر الجميل !

لقد تفرق رواد قهوة سوفليه ـ وا أسفاه ! _ فذهب فريق إلى قهوة الكابولاد ، وأصبح سوفليه وكائن لم يغن بالأمس ولم يبقف أذهان عشاقه إلامغالطات الجرسون حين يدور الرأس و يعزم اللب على الرحيل !

الدنيا فانية ، حتى دنيا باريس! باريس فى ٢٨ يوليه ١٩٣٣

المكتبة المصرية

المكاتب من أهم المقاييس في تقدير الحضارة و المدنية ، فهل عندنا مكاتب تمثل يقظتنا العقلية والآدبية ?! لننظر أولا في القاهرة ، هل يوجد فيها مكتبة واحدة تمثل نهضة الأدب الحديث، هل توجد مكتبة كل ذخيرتها مما أبدع المعاصرون فى العلوم والفنون والآداب لاتذكروا مكاتب الفجالة ، فهي على كثرتها مكاتب مدرسية ، والكتب المدرسية لو وضعت عند باعة الخبز والفول لذهب الطلبة فاشتروها من هناك، ولا تذكروا المكاتب الأزهرية ، فليس فها كتاب من الأدب الحديث ، وهي مع ذلك لاتمثل شوق المصريين إلى الدرس لأنها في الأغلب تباع في غير مصر ، ويقرؤها طلاب العلوم الدينية واللغوبة فى بقية الأقطار الاسلامية. فماذا يبقى فى القاهرة من المكاتب ? كان عندنا ناشر مصرى هو صاحب المكتبة التجارية وكان يهتم بالادب الحديث! ولكن الأيام علمته كيف يقبل على الكتب القديمة فيبعثها من مراقدها ليتصل بالمسلمين في جاوى والهند ،وتلك رجعة خطرة ستكون من مقاتل الأدب الحديث والاسكندرية ؟! من كان يظن أن تلك المدينة العظيمة ليس فيها مكتبة واحدةمصرية ، معأن فيهامكاتب كثيرة لنشر المطبوعات

الفرنسية والانجليزية والايطالية. قد يكون فيها مكتبة أو مكتبتان من النوع الهزيل الذي يفضحنا إذا قيس بما هنالك من المكاتب الاجنبية. هذا والاسكندرية هي العاصمة الثانية وفيها من المدارس والمعاهد ما يغرى بالتفنن في إنشاء المكاتب ، لو كان عندنا قراء يقبلون على الأدب الحديث. وبور سعيد؟ إن القارىء يجب أن يعلم أن بور سعيد تزدان بطائفة من المكاتب الاجنبية ، وليس فيها مع ذلك مكتبة مصرية واحدة ، فكيف كتب الكسل والتغافل والخود على أهل هذه البلاد؟

وأسيوط ؟ أسيوط المدينة الرشيقة الني تعد عاصمة الصعيد ، هل فيها مكاتب مصرية ، وهل يستطيع المتشوف أن يصل إلى كتاب حديث وهو في تلك المدينة الحافلة بالأندية والمدارس والمعاهد ، وأسوان ؟ أسوان المدينة التي يؤمها ألوف الأغنياء والمثقفين في كل شتا. ، هل استطاع المستنيرون فيها أن يبيضوا وجه مصر بمكتبة واحدة تذكر بأمثالها في المدن التي يزورها كبار الناس ؟

إن فقر « المكتبة المصرية » عار على مصر ، وهذا العار يحمل أوزاره المتعلمون الكسالى الذين يقل تطلعهم وتشوفهم إلى مايحد فى سوق العلوم والفنون والآداب. وبعض هذا العار يرجع إلى الاساتذة الذين يندر أن يحدثوا تلاميذهم عن كتاب جديد ، وكيف وأكثر المدرسين يبخل على نفسه بكتاب ثمنيه خمسة قروش وهم على غفلتهم يتعالمون ويتفاصحون ، لأن الزمن الغادر مكن الكسالى

من دور التعليم والتثقيف ؟!

في مثل مدينة القاهرة من المدن الأوربية والأمريكية توجد. مكاتب خاصة بالطب ، ومكاتب خاصة بالقانون ، ومكاتب خاصة بالفلسفة ، ومكاتب خاصة بالأدب ، ومكاتب خاصة بالطيران ، ولكن عاصمتنا لاتوجد فيها مكتبة واحدة تجمع ماأبدع المعاصرون في تلك الفنون ، فياضيعة العلم والأدب في هذه البلاد!!

٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٣

بعض الحقائق

يحلو لبعض الناس أن ينشر شذرات فى الصحف تحت عنوان «هل تعلم»؛ كائن يقول: هل تعلم أن الانسان يمشى على ثنتين وأن الجمل يمشى على أربع ، وهل تعلم أن النيل اسم نهر، وأنه يجرى فى بلاد تسمى مصر ، وهل تعلم أن الارض هى الارض وأن السماء هى السماء ،

وقدرأيت أن أسلك هذا المسلك في هذه الكلمة القصيرة فأنشر هذا السؤال:

هل تعلم أن لغة الدواوين فى مصرهى اللغة الانجليزية فى كل قلم يرأسه رجل انجليزى ؟ تأمل هذا السؤال وافهم جيداً أنه حق ، ففي كل وزارة وفي كل مصلحة ، يوجد عدد من الموظفين الانجليز أصحاب النفوذ ، وهؤلا يفرضون الانجليزية على مساعديهم من المصريين ، فلا يكتب خطاب إلا بالانجليزية ، ولا يدون حساب الا بالانجليزية ، ولا تحر ملفات الأعمال إلا بالانجليزية ، ولا تلق تحية الصباح الا بالانجليزية! ولك أن تسأل عن مصير الموظفين الذين يراضون هذه الرياضة السكسونية ، والجواب سهل فهم الجيش المنظم الذي يتململ صباح مساء من فقر اللغة العربية ، ويتكلم في القهوة وفي الطريق وفي الديوان عن محاسن اللغة الانجليزية . ولهم العذر في ذلك ، فانهم لايرون السلطان لغير الانجليزية ، والألفة باب الى الحب ، أما اللغة العربية فه جورة لديهم ، والهجر باب الى البغض .

أفتونا أيها الناس

إن أولئك الانجليزموظفون فى الحكومة المصرية ، وكان مفهوماأنهم يؤدون امتحانا فى اللغةالعربية ، فكيف ساغأن يتجاهلوا أول شرط من شروط الخدمة ، وكيف لان المصريون فرضوا أن تكون السيادة فى الدواوين للغة غير لغة البلاد ؟!

إن التهاون في هذه المسألة سهم يصوب الى صدر القومية المصرية فان الموظف الناشى، الذي يكتب في الديوان بلغة غير لغته تروضه الحوادث يوما فيوما على الاطمئنان الى أنه في وطنه ذيل لارأس، وفي هذا تبديد للقوة المعنوية في نفوس الموظفين

إن الحكومة المصرية تبالغ فى مجاملة بعض الناس ، وتنسى فى سبيلهم مايوجب العدل والذوق ، فهل آن لنا أن نعرف أن المجاملة قد تكون أحيانا شارة الضعف ، وأن الضعيف المجامل لايقابل فى الأغلب بغير المجحود ؟؟

۱۹۳۳ ستمبر سنة ۱۹۴۳

حبرة مؤمن بين الورق والذهب

كنت أحرر جريدة الأفكار فى سنة ١٩٢١ وكان البريد يحمل إلينا رسائل كثيرة يشكو فيها الأسكندريون من ضريبة الملاهى التى تفرضها البلدية ، وكنت بعد قراءة كل رسالة أتملسل وأقول : «ماذا يريد هؤلاء الناس؟ أتخدمهم البلدية بالمجان؟!

وفى صيف ذلك العام ذهبت إلى الأسكندرية أصطاف ، وفى أحدالامسية توجهت إلى ملهى على الشاطىء ، ودفعت خمسة قروش تمرس تذكرة ، فلما هممت بالدخول دفعنى الحاجب وقال « هات قرش البلدية! »

فغضبت وقلت . « الآن عرفت أن شكوى الأسكندريين م – ٦ بد — ج ٢

حق ، وأن عمل البلدية باطل! »

ولما عدت إلى القاهرة أخـذت أنشر رسائل الأسكندريين ضد البلدية ، وأضيف الها بعض الفقرات!

وفى شتاء هذا العام هاج قدماء الموظفين من الأجانب يطلبون قبض معاشاتهم ذهبا لا ورقا ، فكنت أتململ وأقول :

«ماذا يريد هؤلاء الناس ؛ أيسعون لتنفيض خزانة الحكومة المصرية ؛ »

والآن، وأنا أتأهب لحج بيت الله الحلال في باريس ، أفكر في مرتبي الذي أتناوله من البلاغ ، وأنظر كم يكون بالعملة الفرنسية فأراه لايسقيني ماء في بلاد لاتشرب الماء ، ثم أفكر فأرى أن الذين طلبوا معاشاتهم ذهبا لم يكونوا على ضلال أفكار فيا أيتها الحكومة الكريمة ، ادفعي ذهبا الويا أيتها البلاغ الكريم ، ادفع ذهبا ا

۲۹ يونيه سـنة ۱۹۳۳

بعض المدارس الاهلية

لا أذكر أنى كتبت شيئا فى مهاجمة المدارس الأهلية ، لأبى أعتقد أنها أدت خدمات كثيرة كانت تعجز عنها وزارة المعارف العمومية ، والاعانات التى تمنحها الحكومة لتلك المدارس هى الشاهد على صدق ما أدت من الخدمات ، فانوزارة المعارف لا تعين المدارس الأهلية على سبيل الصدقة و الاحسان ، ولكنها تعينها على أساس أنها تؤدى خدمات علمية كان من واجب الوزارة أن تؤديها لو ساعفتها الظروف

وقد أكثر الناقدون من اتهام أصحاب المدارس الأهلية بحب المال ، ولم أشأ أن أشاركهم فى ذلك ، لأن التعليم من أبواب الرزق ومن حق المعلمين ونظار المدارس أن يطمعوا فى الرزق الحلال

ولكن خبراصغيرا تافها طرق أذنى عن بعض أصحاب المدارس الأهلية فاقشعر له بدنى وتمثلت فيه أشباح الخطر المخيف. والحبر صغير تافه كما قلت ، ولكنى أراه ينذر بسي العواقب ، وهو يتلخص فى أن بعض نظار المدارس الاهلية لايرى مانعا من أن

يدخل التلميذ إلى مكتبه وفي يده سجارة

إنه لخبر صغير حقا ، ولكن مارأى القارى ، فى أنه ينذر بداهية شعوا . إن عادة التدخين عادة سيئة حين يعرفها الرجال ، فكيف يكون قبحها حين يتعودها الاطفال

إن عادة التدخين عند الشبان هي السبب الأول فيما ينحدرون اليه من سفالة الأخلاق ، والقارىء قد يعجب من ذلك ، لأن السجارة قليلة الخطر ، ولكن عجبه يذهب حين يعلم أن التدخين يفتح للتلميذ نفقات إضافية لاتقل عن خمسة قروش في كل يوم ، ومن أين يجد المسكين هذه القروش حين تضطره المحرجات إلى كنهان مرض التدخين عن أهله وذويه ، لا تعجبوا إن قلنا لكم إن الأمراض الأخلاقية التي تهدد شبان اليوم مصدرها التدخين ، فالشاب حين يقترض ثمن السجائر من جار أو رفيق قد ينتهي إلى حقارة نفسية يضيع بها عليه الشرف أغلب الاحيان

والناظر الذي يستقبل التلبيذ في مكتبه ويراه يدخن ولا ينهاه ما قيمة ذلك الناظر بين رجال التربية والتعليم ! إن قبول هذه الصغائر أو السكوت عنها لايليق برجل يتصدر لتهذيب الناشئين وجبن الناظر عن طرد تلميذ يبث عادة التدخين بين إخوانه هوجبن أمام القناعة وضبط النفس عن حب المال ، فأن التلميذ في بعض المدارس الأهلية لاقيمة له إلا ما يقدم من المصروفات المدرسية ، وتلك المصروفات تعود أحيانا من الحرام البحت الذي يتورع عنه

كرام الناس

إن حرم المدرسة يجب أن يصان منكل دنسومن كل زبغ ومن كل انحراف ، ويجب أن يعلم النظار و المدرسون أنهم لا يستطيعون رياضة الطلبة إلا إن عرفوا بالحزم ومتانة الأخلاق

والناظر المتهاون الذي يرى بعينه انزلاق الطلبة إلى مهاوى الترف السخيف ثم لا يطردهم أو لاينهاهم هو رجل يخاطر بمدرسته مخاطرة حمقاء، فان التلميذالفاسد يشعر فى أعماق نفسه باحترام الناظر الذي يفهم واجبه، فلا يظن بعض النظار أنهم يتوددون الى التلامذة ويقربونهم اليهم بالتسامح فى الصغائر التي تجر الناشئين الى مهاوى الضلال

ورجال التربية مسئولون عن اصلاح الفاسدين، وهم خليقون بالنقمة إن تسبب تهاونهم فى إفساد الصالحين، ومهمة المربى أن يكون جيشا للفضيلة فى معهده بحيث ينساق التلميذ الفاسد الىالتخلق بأخلاق الفضلاء — وعندئذ تقوى الوحدة الروحية والحلقية فى المعهد ويرغم ضعيف الحلق على الاقتناع بأنه فى غربة موحشة لا ينجيه من أهوالها الا الاقلاع عما درج عليه من سيء الحلال

إن بعض النظار والمدرسين يتظاهرون بالانطباع على شمائل الاغنياء، والاغنياء كانوا ولا يزالون من أهل النسامح مع أبنائهم وهو تسامح له ذكر عاطر فى المحاكم ومعاقل البوليس!

فليلزم رجال التربية حدود الخشونة ، وليذكروا أن من الشرف

ان يفهم الناس أنهم عمال يحملون الأحجار فى بناء النهضة العلمية والحلقية ، وليفهموا جيداً أن الأمة لاتريدهم سماسرة ترف ولين ففي الحانات والمراقص غنى عن ذلك ، وإنما تريدهم الأمة جنوداً مخلصين يحمون العرض والعقل من عادات النزق والطيش

هى سجارة فقط ، نعم ولكن بعدها الكأس ، وإذا عرف التلميذ الكأس فقد انتهى إلى مصاير السفها ، ومن ذلك ترون أنه لاغرابة أن تنقزز النفس ويقشعر البدن حين نسمع أن من نظار المدارس الأهلية من يستقبل تلميذا في مكتبه وفي يده سجارة ، فقد يما قيل « ومعظم النار من مستصغر الشرر »

إن التسابق إلى الحزم والرجولة أولى بحميتكم وحماستكم يانظار المدارس الأهلية ، فان لم تفعلوا _ وستفعلون _ فانكم تهدمون مدارسكم من حيث لاتشعرون مدارسكم من حيث المتشعرون ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٣٣

التعليم في فرنسا

باریس فی ۲۶ اکتوبر سنة ۱۹۳۰

تعد فرنسا من الأمم التي تعنى عناية شديدة بنشر التعليم ومعروف أن التعليم الابتدائي إجبارى للبنين والبنات ، ولكن ليس معنى هذا أن الأمية انقطعت وذهبت آثارها من هذه البلاد كا يتوهم من يظنون أن أوربا تفوقت في كل شيء ولا ينقصها شيء ، فان الواقع أن عشر الفرنسيين أميون على وجه التقريب ، والقوم يعرفون ذلك ويأسفون على أن لم تمكنهم الظروف من نشر التعليم الابتدائي بطريقة حازمة تقطع دابر الأمية ، وتصون سمعة فرنسا بين العالمين .

لكن ماهى الأسباب التى تحول دون نشر التعليم فى أمة تفرض على أبنائها أن يتعلموا ، وتعاقب المتخلفين منهم ، وتفتح لهم المدارس عالجان ؟

أكبر السبب يرجع إلى صعوبة الانفاق على الأطفال فى المدارس الأولية والابتدائية ، وصعوبة الانفاق هذه لا ترجع إلى أن الآباء يدفعون مصروفات مدرسية ثقيلة الأداء ، كلا ، ولكنها ترجع إلى أن المدارس مجانية في الظاهر ، ولكنها في الواقع تتطلب كثيرا

من النفقات ، وإلى القارى البيان: -

ليس في المدارس الأولية تدفئة في الشتاء ، ولا يمكن الأطفال بالطبع أن يتحملوا برودة الجو وهم يتعلمون ، فمن الواجب عليهم. لأنفسهم أن يقوموا باحضار مواد التدفئة ، وكذلك يحضر كلطفل في الصباح ومعه كتلة من الخشب لاتقلءن أقة ومنجموع ما يحضر الأطفال من الخشب يتكون الوقود الكافي لتدفئة الفصول، وهذه الكتلة من الخشب ليست بلا ثمن ، فقد تبدو غالية جدا عندالفقراء من الريفيين والحضريين الذين يعجزون عن تدفئة منازلهم في أقسى أيام الشتاء ، وللقارىء أن يتصوركيف يكون خجل الطفل حين يدخل المدرسة وليس معه (معلوم) الخشب فان خجله لايقل عن خجل الطفل الريغي في مصر حبن يصل إلى الكتاب وليس معه (المعلوم). والمعلومهذا شيء ثقيل يذكرناكيفكنا نقاسيأهوالهيوم كنانتبارى في ترضية (سيدنا) فقد كانت ترضية عسيرة ، وكان لايرضي إلا عن. الأطفال الذين يحضرون البيض والفطير ، فقـد كان الطفل الذي يحضر ومعه بيضة أو فطيرة خليقا بأن يحييه (سيدنا) بعبارة ياصباح البيض! أما الطفل الذي كان يدخل الكُتاب وليس معه غير (البتاو) فقدكان يظل مغضوبا عليه ولا يأتى دوره فى التسميع إلا بعدالعصر ، وربمــا كان أقرب الأطفال إلى ضرب الجريدة والزخمة

والأطفال الذين لايستطيعون إحضار الخشب المطلوب فى

م - ٧ بد- ج ٢

المدارس الفرنسية جديرون بالتخلف فراراً منأوزار هذه الضريبة-الثقيلة التى لم يفرضها القانون ، وإنكان العرف أقرها وأدخلها فى عداد الواجبات.

وهناك عب. أثقل: وهو ملابس الأطفال، فأن المدارس الفرنسية من بين مدارس العالم تفرض العناية بالهندام وجمال الثياب وللمعلم أن يطرد من شاء من الأطفال الذين برى ملابسهم خلقة · أوقذرة ، وهذا فى ذاته جميل ، ولكن كيف يسهل على الرجل الفقير الذي رزق طفلين أو ثلاثة أن يعد لأبنائه الملابس الكافية التي. تنجيهم من عقوبة الطرد، وتحفظ سمعتهم طيبة بين زملائهم الأطفال والفقر فى فرنسا خطر ثقيل قد لايعرفه فقراء الشرق الذين. يتسامحون فيما بينهم ، ولا يكثرون التأمل في الفروق بين الأغنياء والفقراء، ومن هنا يكثر في الأسر الفرنسية من يخلقون الأعذار خلقاً لتخلف أبنائهم عن المدرسة . والعذر الحقيقي هو الفقر الذي يحول بينهم وبين إعداد ما يحتاج اليه أطفالهم من مختلف الأثواب ليمروا بسلام تحت أعين المراقبين والمعلمين و. . . البواب!

وهناكمانع آخر هو حاجة الفقراء من الأهالى إلى الاستعانة بأبنائهم، فان الطفل حين يشب يستطيع أن يقوم ببعض الاعمال التحضيرية لحياة البيت ، فقد ترسل الام طفلها أو طفلتها إلى الخباز أو الجزار أو الخضرى ، وقد تكلفه برد الامتعة إلى الزبائن إن كانت تشتغل أو الخضرى ، وقد تكلفه برد الامتعة إلى الزبائن إن كانت تشتغل

بغسل الملابس وكيها مثلا ؛ وهذه الأعمال الصغيرة التي يقوم بها الطفل أو الطفلة ذات أثر شديد في إصلاح الحياة المنزلية ، ونحن في مصر نفهم ذلك حق الفهم ،فأكثر الآباء ينتفعون بجهود الاطفال وخصوصا الباعة والفلاحين ، والاطفال أنفسهم يستطيعون العمل في المنازل والحقول ، ويفضلونه على الحياة المدرسية ، لأن الانسان في أصله حيوان خشن جواب لايروقه المقام بين الجدران طول النهار ، فحاجة الآباء إلى أبنائهم من ناحية ، وشوق الابناء إلى الحياة الطلقة من ناحية أخرى ، يساعدان على إهمال المدرسة واختلاق الأعذار للنجاة من العقوبات التي تفرضها الحكومة على من يتخلف أبناؤهم عن المدرسة بغير عذر مقبول

وهناك أسباب جوية لا يستهان بها عند البحث عن أسباب نقص التعليم ، فني فرنسا أيضا عزب وكفور وأكواخ بعيدة عن البلدان التي تقام فيها المدارس الأولية ، فعلى الطفل في تلك الأماكن النائية أن يمشى في صباح كل يوم نحو ساعة ليصل إلى القرية التي تقام فيها مدرسة ، ومشى ساعة ليس بالشيء الهين على الطفل ، خصوصا في الأيام التي يكثر فيها المطر والجليد ، والأهالي الذين يقيمون في مثل تلك القرى الصغيرة لا يعدمون تقديم الأعلنار التي تقبلها الدولة وهي مكرهة حيث لا تستطيع المكابرة في الأمر الواقع

هذه البيانات التي أقدمها للقارى. مستقاة من مصادر و ثيقة ، ولم يلفتني اليها إلا ماشهدته بنفسي حين كنت أجلس في حديقة النباتات فيتقدم إلى بعض الشبان ومعهم رسائل من أهليهم لايدرون مافيها ويطلبون أن أقرأها عليهم ، وقد حدث مرة أن قدم إلى شابرسالة كتبها اليه رئيسه – وقد كان ذلك الشاب صبيا في مخازن السهاريتين فقرأتها عليه فكانت بعض العبارات تستغلق على فهمه لأنه بعيد بعض البعد عن لغة المراسلات إذ كان لا يحسن غير (البتوا) التي يتكلمونها في الريف.

والفرنسيون حين تحدثهم مثل هذا الحديث يجيبون بأن الحالة كذلك في الأقطار الامريكية ، ويسكتون عن ذكر الالمان والانجليز وقد امتعض بعضهم مرة وقال : ولكن آلام الجيران لاينبغي أن تعزينا من آلامنا!

على أنه ينبغى ان نشير إلى أن فى طبيعة الشعب الفرنسى شيئا من الاستهانة بتعميم التعليم، إذ يرون ذلك (بدعة عالمية) لا توجبها ظروف الحياة فى أكثر الأقاليم، وهم فى صميم أنفسهم لايفهمون لماذا يجب على الفلاحين وجوبا مطلقا أن يقضوا بعض سنوات فى المدارس الاولية و الابتدائية مع أنهم سيقضون أعمارهم بين الثير ان والفؤوس والمحاريث فى أرجاء الحقول!

وهذا الجانب من الأمية له أثره فى حياة الشعب الفرنسى، فهو شعب يقل فيه التلاؤم والتناسب والتقارب بين الحضريين والريفيين كيث يصعب أن يتفاهم أهل الشمال مع أهل الجنوب ، لاختلاف اللهجات وضعف اللغة الفصيحة عن أن تسود سيادة مطلقة بين الأقطار الفرنسية المختلفة حيث تحيا فى كل قطر تقاليــده وعاداته وطرائق تعبيره. والحدمة العسكرية لها أثر قوى فى تعريف هذه الأقطار بعضها ببعض وربطها بأواصر الوطنية والاخاء

والتعليم في فرنسا تتنازعه طائفة من القوى المدنية ، فقد كان رجال الدينقديما يملكون كل شيء تقريبا في التربية والتعليم، فلماكان عهد الجمهورية أراد رجال الحكومة أن يكون التعليم مدنيا صرفة لاأثر فيه للمؤثر اتالدينية التي يذيعها البروتستان والكائوليك،وقد تم لرجالالحكومة مايريدون، ولكن رجالالدين لم يعدموا وسيلة إلى نشر نفوذهم بين الأطفال والشبان وذلك أن المدارس الفرنسية تعطل يومين في كل أسبوع هما الأحد والخيس. والآباء كما يعرف القراء يخافونعلى أبنائهم من الأضرار الصحية والأخلاقية تعرض لهم في عطلة يومين كاملين حيث لا يعرف الاطفال والشبان كيف يقضون أوقات الفراغ في أمن وسلام، وهنا تدخل رجال الدين وأنشئوا ماسموه (باتروناج) وعرضوا على الأهالي أن يسلموا إليهم أبناءهم في يوم الاحد والخيس حيث يقضون أوقات الفراغ في الرياضة واللهو المباح، وتعهد رجال الدين أن لا يعطوا الأطفال دروسا دينية ، وأن يتركوهم لسجاياهم يمرحون ويلعبون ، وقد كان ذلك اليوم فرصة عظيمة لرجال الدين حيث يتسلمون الأطفال فيصوغونهم صياغة دينية بليغة الاثر في أنفسهم، ورجال الدين أقدر على التأثير من المعلمين لائن المعلمين يسوسون الاطفالسياسة جافة

غى سبيل الوفاء للمناهج و المقررات · ولذلك يبغضهم التلاميذ و ينفرون منهم . في حين أن الرهبان يشاركون الاطفال في ألعابهم ويروضونهم برفق وعطف وحذق على اعتناق ماتدعو إليه الاناجيل. وقد تنبه رجال الدولة بعد ذلك إلى خطرهذا (البتروناج) و تطوع المعلمون إلى النهوض برعاية الاطفال في يومى الاحد والخيس، وأعدوا لذينك اليومين أنواعا مختلفة من الالعابوالسياحات ، وبهذه التضيحة التي قام بها المعلمون استطاعت الجمهورية أن تأمن خطر رجال الدين. على أن هذا لايمنع أن للرهبان مدارس يعلمون فيهامذاهبهم الدينية ولكنها قليلة الاثر بجانب المدارس الحكومية التي تصوغ الاطفال صياغة مدنية صرفة تناسب واجبات الحضارة في القرن العشرين فاذا انتقلنا إلى التعليم الثانوي وجدناه محصورا في دائرة ضيقة حيث لايتقدم اليه إلا الموسرون، فليست المدارس الثانوية مجانية كايتوهم بعض من يتصورون اوربا تسبح فى بحار الرقى والنهوض والتعليم الثانوىفي فرنسا يذكركثيرا بالتعليمالثانوى فيمصر فكلاهما تقيل النفقات، معقد الأصول والفروع، وهذا التعقد في التعليم الثانوي الفرنسي له سبب معروف ذلك أن الفرنسيين يحبونأن يمتازوا من بين أمم العالم بالتفوق المطلق في العلوم والآدابوالفنون ، والسبيل إلى ذلك في وهمهم هو إثقال مناهج التعليم الثانوي بأكثر مايمكن من المواد المختلفة التي تتم بها الثقافة العامة، وكذلك نرى قوى الطلبة نهباً مقسما بين أطاح الأساتذة المختلفين الذين يريدكل منهم أن يفرغ

في رؤوس تلامذته كل ما وصل إليه فى العلم الذى يخصص فيه . وهذه الرغبة فى التهام مواد الثقافة العامة محمودة فى ذاتها . ولكنها من وجهة التربية خطأ جسيم ، فان أذهان الطلبة محدودة القوى وليس فى وسع الطالب أن يؤدى فى حماسة وإخلاص مايفرضه أساتذة الطبيعة والكيمياء والرياضيات والآداب واللغات الحية والفلسفة والتاريخ . وقد يحدث أن يتحمس الاساتذه لعلومهم ، ولكن تلك الحماسة تنتهى بتهاون الطالب وتغافله و تبلده وانصرافه عن متابعة الاساتذة الذين يطالبونه بمالا يطيق

ويسرنى أن تجد هذه الكلمة آذانا واعية من رجال التعليم فى مصر فأغلب الظن أن تعقيد المناهج فى التعليم الثانوى المصرى كان أثراً لمحاكاة مناهج التعليم الثانوى الفرنسي . وقد اعترف الفرنسيون بخطئهم وهموا فعلا بالاقلاع عنه فمن الواجب أن نقلع نحن فى مصر عن خطأكنا فيه مقلدين!

لقد رأى الفرنسيون فداحة الخطب فى إثقال مناهج التعليم . ورأوا كيف يفرض على الطلبة كل شيء ، ولا يظفرون بشيء . ولاضرب المثل باللغات القديمة ، فقد كان الفرنسيون يتشبثون بتعليم اليونانى واللاتينى . ثم انتهى بهم الأمر إلى التخيير بين اللغات الميئة واللغات الحية ، فكانت النتيجة أن انصرف الطلبة عن اللغات القديمة إلا أقلية ضئيلة لا يحسب لها حساب

والمتبعون لحركة التعليم فى مصر يذكرون تقرير المسترمان

الذى صرح فيه بان تعليم اللاتيني لاقيمة له في الثقافة المصرية ويذكرون كذلك أن هذا الرأى لم يغير شيئًا من مناهج التعليم بكلية الآداب بالجامعة المصرية . أفأ ستطيع أن أذكر لقرائي أن تعليم اللاتيني في فرنسا نفسها وهي أعرق الامم اللاتينية أصبح ضئيل الاثر في نفوس الطلاب ، وأن أحد الاساتذة المتفوقين في تعليم اللاتيني أقسم أنه قضى شهرا كاملا مع طلبة البكالوريا في دراسة «ثلاثين سطرا » فقط ، وأنه سأل أحد الطلبة يوما عن «الالياذة» ما هي فا استطاع أن يجيب ؟!

إن العصر الذي نعيش فيه عصر رقى وحضارة ، مافى ذلك ريب ، ولكنه فى الوقت نفسه مغمور بأسباب المحاكاة والتقليد فأكثر الشعوب يضعون لتعليمهم مناهج ليست من طبائعهم ولا سجاياهم ، ويتورطون فى واجبات هم عنها اغنياء ، إن فرنسا نفسها تعنى بطائفة من النقاليد التعليمية لتحاكى من ، أتعرف أيها القارى لتحاكى فرنسا القديمة فى القرن السادس عشر والسابع عشر ومع أن الشعب هو هو لم يتغير فقد أصبحت محاكاة فرنسا لحاضرة لفرنسا الماضية نوعا من خطل الرأى ، فكيف نريد لمصر مثلا أن تتورط فى محاكاة فرنسا أو ألمانيا أو انجلترا محاكاة مطلقة لا أثر فيها لتقدير البيئة والاقليم وما يوجبانه من تخير ألوان التثقيف الواقع أن مسألة التعليم فى غاية الصعوبة وقد وقع فى حبائلها الفرنسيون ، فللمصريين بعض العذر إن ضلوا السبيل ، ولكرف

كيف يمكن الصبر على من جعلوا من المدارس حقول تبحربة ، في حين أن صرعى هذا التردد هم شبان الآمة المرجوون الذين سيصبح الآمر كله إليهم بعد عشر سنين ؟ إن الاقدام والحزم لواجبان في اللحظة الحاضرة ليسلم لمصر جيلها الجديد ، وذرة من الاخلاص كافية لاقناع أولى الشأرف في وزارة المعارف بأن الآمر أخطر من أن يداوى بقرارات تصدر ، ومنشورات تذاع

حديث كله شجون

سابكيك ما فاضت دموعي فان تغض فسلك منى ما تجرف الجوانح فسلك منى ما تجرف الجوانح فسلا أنا من رزء وإن جل جازع ولا بسرور بعد موتك فارح

أبى

أتذكر كيف كنت أطوى عنك همومى وأحزانى ؛ أتذكر كيف كنت تسميني الرجل الشجاع؟

ألا فلتعلم أن موتك أثار دمعى ، وكنت رجلا لا تفجعه الحوادث ولا تهزه الخطوب . . . وما أحب أن أزكى نفسى بالبهتان فأنا إنسان أحزن كما يحزن الناس، وأفرح كما يفرح الناس، ولكنى كنت أطوى عنك أشجاني رفقا بك، وإشفاقا عليك، أما الآن، وأنت في عالم البقاء فلم يبق ما يوجب الرفق بك، ولا الاشفاق عليك، فانظر من عليين إلى ذلك الطفل الذي هزمته الفجيعة بك وأمضه الرزء فيك!!

أبى

لقد أردت أن أنهض بأحزانى كما ينهض الجمل بالحمل الثقيل، وكذلك أخفيت موتك عن أصدقائى وإخوانى، فلم أتلق التعزية إلا من الأهل والأقرباء ، فانظر كيف يفضحنى الحزن فأتحدث بمصابى فيك إلى من يعرف ومن لايعرف ، واعجب كيف مادت الأرض بالرجل الشجاع ، وكيف انطلق يبكى وينتحب لايستره تجمل ولا يوارى حزنه عزاء

أبي

أرأيت كيف يكون لك الفضل في الآخرة والأولى؟ لقدعرفت بموتك حقيقة نفسى، وكنت أتشهى أن أكون أمة وحدى في عالم الوفاء، فطب نفسا إن كان يعوزك ذلك، فما أثار موتك في صدرى إلا ذكريين غاليتين: ذكرى أمى التي فقدتها في سنة ١٩١٧ وذكرى أخى سيد الذي فقدته في سنة ١٩١٨ أما أطفالي الذين دفنتهم من قبل ومن بعد فقد نسيتهم كل النسيان، لأن حزني عليهم نوع من الا ثرة، أما حزني عليكم فباب من البر والوفاء

أبي

عزيز على والله أن تقهرنى الأقدار على رثائك ، وكنت أود أن يطول عمرك حتى تبلل قبرى بدموعك ، ولكن وقاك الله شر الشكل ، وأعد لى فيك فواجع الاحزان ، فكانت رحمته بكمن بعض نعمه عليك .

أبى

كيف أذكرك ؟ وكيف أتحدث عنك ؟ إن أقطاب المنوفية يذكرون جيداً كيف كان عبد السلام مبارك ، وأقسم مارأيت أصبح منك وجها ، ولا أصح دينا ، ولا أصدق قولا ، ولا أفصح لسانا ، ولا أثبت جنانا ، فامض إلى دار البقاء مرضيا عنك من الله والناس ، وادع الله أن يسدد خطوات ابنك الحزين

وهل أراني في حاجه إلى الثناءعليك ولقد قضيت في حداثتك أعواما قليلة في المدرسة ، ثم بقيت طول عمرك في عقل لم يظفر به من الناس إلا القليل ، وماقيمة الدرس بجانب العقل الموهوب القد كنت حجة على من يتوهمون أن العقل من نصيب من يطيلون صحبة الفلاسفة والحكاء ، وكان أسلوبك في حياتك نموذجا للعقل الراجح والذوق الدقيق ، فاذا افتخر أهل الدنيا بآبائهم فأنت المأثرة الباقية التي يفتخر بها ابنك الحزين ، إنكانت الدنيا تستحق أن يتباهى فها الرجال بكر مالانساب

الآن أشعر بأنني فقدت كنزا من الكنوز الغالية ، فقد كان يروق لى أحيانا أن أدعو بعض الكبراء لزيارة سنتريس . وكنت في ذلك أمثل الأثرة والأنانية ، كنت احب أن أقول : هذا أبي مل العيون و القلوب ، فأصبحت محرومامن تلك المتعة النفيسة ، وعدت وليس لى من الحسب والنسب الا ذكراك في قلوب من عرفوك أبي

أفى الحق أنى لن أراك وأنى صرت من الآيتام الكهول ؟ لو تركتنى وأنا طفل لشغلنى عنك الجهل بقدرك، أما الآن وقد عرفت فضلك، وخبرت مواهبك، وعرفت سرك وجهرك، وفطنت إلى فجيعتى فيك، فكيف الصبر عنك، وكيف السبيل إلى نسيان أياديك؟

ياحليف الكرم و الجود ، و يانصير الضعفاء ، و ياسناد المظلومين انظر من عالم البقاء لترى كيف خلا مكانك ، ولتعرف كيف تكون غيبة البدر في الليلة الظلماء

أبي

أتذكر أيامك الآخيرة ، من كان يظن أنى سأفارقك إلى غيرلقاء وهل رأى الناس قبلك إنسانا يتهيأ للموت شهوراً فلا يتأوه ولايتوجع ؟

ولكن لا موجب للعجب، فقد كان المصحف سميرك، وكان القاء الله أحب اليك من لقاء الأهل والأحباب، وعند من تطلب

الشجاعة إن لم يفض بها طبعك، وكنت الرجل البسام في السراء والضراء ؟

أبي

كنت أقول : أوصانى أبي ، ونهاني أبي ، فالآن ماذا أقول ؟

إن اسمك وحده يملا البيت أحزانا وأشجانا ، فكيف الرجوع إلىمانصحت وأوصيت؟

ذكراك، أيها الفقيد الغالى ، تنغص عيشى ، و تؤرق نومى ، و ترمينى بالويل و الخبال ، فكيف تر انى أعود إلى عهودك فأحييها بالبر و الحنان ?

يازينة الدنيا ،كيف خلفتني ومضيت!

الدنیا ، یا أبتاه ، أحقر من أن تستطیل بفتنة ، أو تعتز بسلطان ، بعد أن كفنتك وسویت قبرك بیمنای

أبى

لقد أخرجني موتك عن وقارى ، ورماني بطوائف من التحرق والالتياع ،فأخذت أتأمل كيف يأفل القمر ثم يعود ، وكيف تتعاقب النجوم فلا يعوقها أفول ، ثم نظرت فرأيتك تذهب إلى غير معاد وفكرت في العلالة الانسانية التي وعد بها الانبياء ، وتمنيت أن تكون الحق كل الحق . وأقسم ماكفرت مذ آمنت ، ولكن موتك قلقل يقيني ، ورمى بقلبي في أتون من الحزع لا يرحمني من بلائه إلا الخبر بتصرف الحنواطر و تقلب القلوب

كيف يموت مثلك وكنت من عناوين الرحمة فى هذا الوجود ؟ ولأية غاية نحيا ونموت ، نحن المساكين الذين يخلقون قهراً ، ويموتون جبراً ، وما هى الأسرار الحفية النى تقضى بأن ننبت ، ثم نزهر ، ثم نذبل ، ثم نبيد ؟

أنحن جهلة نتطاول إلى فهم ما لا نملك ؛ وكيف بالله كتب علينا الحرمان من فهم أسرار الوجود ؟كيف كتب علينا أن نجهل سر الحياة والموت وقد كدنا نعرف كلشيء ؟

ما هذا الذى أقول، أترانى أشك فى مصير الصالحين من المؤمنين؟

أنا لا أشك ، ولكنى أضعف ، والانسان منذ خلق عرضة للفزع والضعف ، وهل رأى الناس رجلا يكفن حبيبه وهو يبتسم ثقة بأنه ينقل من يحب إلى فراديس الجنان م

إن المعانى العلوية فوق ما نملك ، نحن نتصورها تصوراً ، ولا نظمئن اليها إلا أملا فى تخفيف ما نقاسى من عنت البأساء ، وقد آن أن نعترف بأننامهما استطلنا لانزيدعن ذرات صغيرة تغدو وتروح فى أجواز الفضاء .

رباه ، إن الشك يأكل قابى ، وأكاد أنظر ما يضطرب فى صدرى من شياطين الارتياب ، سبحانك قضيت ماقضيت : فهذا شتى و هذا سعيد فامنحنى من الصبر ما أستربه همومى وأحزانى ، واجعل لى مخرجامن هذا البلاء الذى صبه على قلى فراق ذلك الفقيد الغالى

ابي

لقد حدثونا أن الأرواح لا يغيب عنها شيء، فهل رأيت ما أعانى من كروب الأسى بعد إذكفنتك، وهل رأيتكيف تفردت بألوان من اليتم لم يعرفها أحد سواى ?

إن من القليل أن أحزن وألتاع ، ومن ذا الذي رأى وجهك مرة واحدة فاستطاع أن يحبس دمعه حين بلغه نعيك ؛

لقد كنت من أعظم الشواهد على رفق الله الذى خلقك وسواك فعدت شاهداً على أن الأمركله لله ، وأن الانسان مهما سما وشرف لايقيم فى الدنيا إلا إلى حين

هل تعلم أني ما تلفت إلا رأيتني مغموراً بأياديك ، فهذا دمك يجرى في عروق ، وأنت الرجل الشهم الذي اجتاز مفاوز الدنيا بقلب أقسى من الصخر ، وعزبمة أمضى من السيف ، وتلك رزانتك أتمثلها فأزداد سخرية بالحوادث والخطوب ، وذلك ثغرك الذي لم يعرف غير الابتسام في جميع الاحوال أتمثله فأعرف أن الدنياأهون من أن يقطب لها جبين الرجل الشجاع ، وذاك إيمانك أتذكره فأعرف أن اليقين كنز ثمين

وآخر درس تلقيته عنك هو بساتك أيام المرض، ويالها من أيام المرض، ويالها من أيام! لقدكنت تعانى أهوالا تندك لها الجبال، ومع ذلك لم تحزن ولم تبتش، ولم تفارق الابتسامة شفتيك

ولكن هل أفادنى ذلك الدرس ياأبتاه ولقد جزعت لفقدك جزعا لم يصب بمثله قلب قبل قلبى ، ألم تركيف عجزت عن دخول البيت الذى خرجت منه محمولا على الأعناق ؟

أى بلاء هذا الذى صبه مو تك على فؤادى ، أكنت أنتأول من مات وكنت أنا أول من وقف يتلقى فى أبيه العزاء

ولكن أى أب، لقد كانت شمائلك تفيض بالعطف والحنان وكان النظر إلى وجهك ربيعا للقلب والروح، وكان اتجاه الفكر اليك يغمرنى بالرفق والروحانية ? فكيف العزاء وقد حرمنى موتك جميع أسباب العزاء ؟

أما أنا فماذا تحفظ عنى ياأبي ؟ أتذكر أنك شهدت منى لمحة و احدة من ملامح العقوق ؟ إن كان لمثلى بعد موتك عزاء ، فسيكون من أسباب عزائى أنى لم أخرج فى سرى ولا جهرى عن و اجبات البنوة ولم أتحدث اليك إلا بقلب خاشع و طرف غضيض

ولكن كيف أمن عليك بالتأدب في حقك ، وأنا ابنك ، على حين لم يطمع في مخاشنتك مخلوق ، وكنت يكرمك وهيبتك أعز من أن تمتحن بعداوة الناس

أيها الكنز الغالى ، كيف فقدتك ،

إن الوجود بعد فراقك يبدو لعينى فى لون قاتم سخيف ، وما قيمة الدنيا وقد ودعتك فيها الى غير لقاء . لقد كنت آمل أن يظل عودك يقاوم الشيخوخة زمنا طويلا ، وكنت أتعزى كلما تذكرت أن أمامى فرصاكثيرة لمشاهدة وجهك، والتمتع بحديثك، فما بال الأقدار تعجل هذا الشقاء الذى كنت أرجو أن لا أرزأ به إلا بعد أعوام طوال؟

أبى

إنى لأعجب كيف يصح لمثلى أن يجزع ، بعد إذ رأى سخف الدنيا وهزالها منذ رآك بين الأموات ، إن الدنيا التى لايخلد فيها وجه مثل وجهك لا تصلح ميدانا للا فراح والاحزان ، فما الذى يغرينى بعدك بالحديث عن البؤس والنعيم ، وقد رأيت بعينى كيف يضن الوجود على مثلك بالخلود ، وما أشقانى بعد اليوم إن غرني ما فى الدنيا من زخرف وبريق!

أبى

أيسرك أن تعلم أن موتك أور ثنى بعض النفع إلى لقد كانت خطوب الزمان لاتؤذيني إلا لأنها تؤذيك، واليوم وقد تنزه قلبك عن الحزن فلتفعل الآيام ما تشاه: فسألق صروف الدهر بقلب أقسى من الموت وأعنف من كيد الزمان

۸ مایو سنة ۱۹۳۵

الى الدكتور زكى مبارك بقلم الاستاذ ابراهيم الدباغ

إلى الصديق الحنين والآخ الحزين الدكتور زكى مبارك السلام عليكم ورحمة الله وبركانه .

فى معترك الحياة مرامى تأساء للحزين ، وفى ميادينها مباءة سلو لأهل اليقين . والحليم الحليم من تلقى سهامها بصدره ، والشجاع الشجاع من عرف أبواب الصبر الجميل عند وقع المصاب .

أزعجنى بلاغ يوم الجمعة الماضى ففيه قرأت وفاة والدكم المبرور والتقطت من حبات دموعك ولآلى، نثيرك ما أحاول تنسيقه أو جمع طاقة منه فأستطيع القيام لك بواجب المواساة والتعزية التي هي حق لك غير مجحود على كل متأدب في هذا البلد الامين

ولقد عجبت ثم عجبت من إخفائك عن إخوانك خبر المصاب يوم وقوع سهمه، فلعل لهم شأنا أو هوية فى مشاطرتك الاسى على فقدك أعز عزيز لديك .

صنیعك هذا یذكرنی برزانة رجال أهل حكمة سبقوك فتلقوا المصائب فطووها فی الحقائب، وشربوا من الامرین فی أكواب م ــ ۹ بدــ ج ۲ ا الآيام والليالي كؤوسا أدارتها يد الزمان ، وتلك صفات استأثر بها االصفوة من أهل النبوة ، والنخب من حكماء العرب ، وأقربهم بنا عهدا أستاذنا الامام محمد عبده وقد مات والده ولم تقم (له المـآتم) . ولا علقت شارات الاتراح والأحزان على الأبواب والجدران . وقد سافر الكثيرون من المعزين إلى منزل الشيخ محمد عبده في عين . شمس فلم يجدوا على الباب غير مصباح المنزل ، ومنهذاالعهد أخذ · الناس يفكرون في حل هذه العقدة الاجتماعية الادبية في مصرالتي . يذيع عنها في الشرق كل ماتصنع من خير وشر ، وكما ذهب الشيخ أحمد عبد الله والد الشيخ محمد عبده ذهب عبدالسلام والد الدكتور .زكى مبارك، فلا مناحة ولا لطم خدود، ولا صبغ وجوه بالسواد ولا صياح ولا تصدية أو مكاء ، إلاما كان أسفا أوبكاء . إنى أعرفك ولقد رأيتك ولم أر الفقيد العزبز ولكني بك عرفته فرأيتك فيه ، .ورأيته فيك، والوليد سر الوالد

قال حكيم العرب (ولدك ريحانتك سبعا، وحاجبك سبعا، ثم هو بعد السبعة الثالثة عدو أو صديق) وهذا أنت للمرحوم أبيك نعم الصديق الحميم، فصلوات وتسليم، أما صبرك ورباطة جأشك التي شهدتها في سطور مقالك فحدث عنها صدور أهل الحسلم والرجال البارزين في تحمل المكاره من المتقدمين، جاء رجل إلى الاحنف بن قيس سيد بني تميم يشكو له وجع الضرس فقال الاحنف: فقدت عيني منذ ثلاثين عاما ولم أشلك أمرها لاحد من الناس ولم أخبر

بشأنها جليسا ، وها أنت تراهاكا نها سليمة . وإنى لا عجب لصبرك عجبي لصبر الاحنف وإن جاء صبرك بعده بقرون وأحايين! وقد حدثتناكتب الادب أن أحدهم تزوج ثم أصيبت زوجته بالعمى فتعلى معها عشرين عاما ثم ماتت ورآه الناس وهو يغدو ويروح مبصرا فقالوا ألم تكن أعمى ؟! وكيف رجع إليك بصرك! ؟ قال لم أكن في عمى وإنما تعاميت جبرا لكسر تلك الزوجة المسكينة

هاؤم اقرأوا أيها الكتاب والأدباء والشعرا. هذا السطرالذهبي من سطور المروءة والنخوة في السابقين السالفين.

لايريد الدكتور زكى مبارك حمل إخوانه مشاطرته فى حمل أحزانه. إنى سأشاطرك الحزن على أبيك أنا و بعض محبيك أرضاك ذلك أو لم يرضك يادكتور

إن نوعا من النخوة والمروءة سيظهر له أثر اجتماعي قوى بين الناس إذ شاهدوا في سواك. لعل الناس إذ شاهدوا في سواك. لعل للمرحوم والدك وصية أستاذنا الشيخ محمد أبوراشد فقد جمع أولاده وأفر ادأسرته في ساعة متأخرة من الليل وأخذ يسأ لهم واحدا واحدا عن شأنه إذا أصبح الاستاذ في عداد الاموات ففزعوا جميعا فمازال بهم يروضهم بالعظة والحكمة حتى ألزمهم الصمت والصبر، ثم قال: إذا أنا مت بعد صلاة الصبح فلا تأت الساعة العاشرة إلا وأنا في قبرى قبل أن تخبروا أحدا من أصدقائي

وهكذاكان. فانى ذهبت لزيارة الشيخ كعادتي فوجدته في العالم

الثاني .و تبارك الباقي ، ومسكين هذا الانسان الفاني

لم أبلغ مافى نفسى مما أريده فى تعزيتك ولعل نفحة قدسيــــة أو روحاً سماوية تمر بى وتبعث فى قوة أستطيع بها القيام بما يجب على الحر للحر ، ويفترض على الأديب للأديب، والسلام عليك

لغة العرب قبل الاسلام

جيلان يختصمان :جيل النقل وجيل العقل

إعتاب الشيخ عبد المطلب ـ صراع بين مدرستين ــ أصل الحلاف ـ رأى المتقدمين ـ أهمية النقوش الحميرية ـ وحدة اللغة الفرنسية ـ كيف يتكلم العرب اليوم في مختلف أرجاء الجزيرة ـ اللغة العربية في أفريقيا الشمالية ـ روح اللغة ـ كلمة تساوي خسة جنيهات وكلمة تساوى (شلن) ـ نصوص القرآن لاتكفى في الدلالة على وحدة اللغة ـ حديث خنافر الحميري ـ نصوص حميرية ـ قيمة كلام ياقوت عن اللغة اليمنية

١ — قرأت ذلك البحث المطول الذي كتبه الاستاذ محمد عبد المطلب عن وحدة اللغة العربية في جزيرة العرب «كلها» وقرأت بعد ذلك كلمته الرقيقة التي يعتب فيها ويستعتب. وأنا أعتبه أجمل الاعتاب ثقة مني بصدقه وإخلاصه، وإعزازاً لتلك النفس التي تحب في الله و تبغض في الله . وأصارحه بعد ذلك أنى وإياه نمثل جيلين.

مختلفين أشد الاختلاف في درس تاريخ الآداب العربية

وأحسب أن الفرصة سانحة لمناقشة الاستاذ عبد المطلب. ولهذه المناقشة فائدة ونفع: فالاستاذكان ولايزال من مدرسي الادب وله تلاميذ في مدرسة القضاء الشرء , والازهر ودار العلوم . وهؤلاء التلاميد في مدرسة القضاء الشرء , المنازه في المدارس الثانوية ، فهم التلاميد فد أصبح فريق منهم أساتذة في المدارس الثانوية ، فهم ينشرون ما تلقوه عنه بين شباب العصر الحاضر ، وللاستاذ مع ذلك زملا ، ينهجون منهجه ويذيعون نفس الآراء التي يذيعها هو بين ختلف الاوساط، و بهذا نرى أن المدرسة الادبية التي يمثلها الاستاذ و يمثلها معه زملاؤه و مشايعوه مدرسة ذات خطر في تكوين النشء الجديد من طلاب الآداب

أما أنا فأمثل مدرسة ثانية هي المدرسة التي تحكم العقل في كل شيء ، وتفرض على الباحث أن ينقد أولا المصادر التي يعتمد عليها وتروضه على إدراك الفروق بين الأذواق والأحاسيس في مختلف العصور الأدبية ، ولهذه المدرسة الجديدة أشياع عديدون ، ولكني أمتازمن بينهم بميزة ظاهرة إنني لاأعرف ماهوالحقد وما هوالضغن ولا أفهم مطلقا كيف تنقلب الخصومات العقلية إلى خصومات شخصية يقال فيها : هذا لله وهذا للشيطان

وفى يقينى أننى سأحول النقدالادبي فى مصرتحو يلاجديا وسأعلم القراء كيف يبحثون عن الحجج والبراهين قبل أن يغرموا بتلس النزوات الصغيرة التي يلقى بها الكتاب هناو هناك وهم يتجادلون و يتحاورون

وخلاصة القول آني لا أتفق مع الأستاذ على الأساس الذي يبنى عليه ماينشي، من النظريات والفروض، وأرى أن المدرسة التي يمثلها لا تتناسب مع الجيل الجديد، وأرى من واجبى أن أقدم للقر الحلما سنحت الفرص شو اهد جديدة على أن المدرسة التى أمثلها انا هي المدرسة التي توفق بين المعقول و المنقول و تفرض على أنصار هاأن يروضوا أذهامهم على فهم الواقع و ترك مادرج عليه بعض المحافظين من التعلق بالأوهام وليكن الميدان اليوم مناقشة الاستاذ فيماقال به من وحدة اللغة العربية في جزيرة العرب «كلها» قبل الاسلام ، ولتلاميذ الاستاذ وأنصاره أن يختاروا أي الصفين بعد ذلك ، وإن كنت أوصى الاستاذ منذ الآن أن يذهب إلى إحدى شركات التأمين ليؤمن على الاستاذ منذ الآن أن يذهب إلى إحدى شركات التأمين ليؤمن على ذلك الجيش الذي يناصره فاني و اثق أنه سينضم إلى صفى بعد قليل وأكاد أرى طلائعه تتحول من ميدان إلى ميدان

٧- الحلاف بينى و بين الاستاذ عبد المطلب ينحصر هذه المرة فى وحدة اللغة : فانا أرى أن اللغة العربية التى نزل بها القرآن هى لغة قريش أو لغة العدنانيين ، وأرى أن هذه اللغة تختلف اختلافا جوهريا عن لغة القحطانيين من أهل الجنوب ، والاستاذ يرى أن لغة العرب كانت واحدة فى جميع أقطار الجزيرة العربية . فكيف يفض هذا الخلاف

أنا أعتمد على الأدلة الآتية

أولا ــكان القدماء من مؤرخى اللغة العربية يفهمون حق

الفهم أن اللغة العدنانية تختلف عن اللغة القحطانية في كثير من الآلفاظ والتعابير ، وشواهد ذلك كثيرة جدا سأقدمها إذا طلبها القراء ، ومن القدماء من صرح بأن لغة أهل اليمن غير لغة أهل الحجاز ، ومن هؤلاء عمرو بن العلاء

ثانيا — النقوش الني اكتشفت في اليمن ودرسها المستشرقون تبين في وضوح تام أن اللغة الحميرية لغة مستقلة لاتتشابه مع اللغة العدنانية إلا في طائفة من الألفاظ ، أما أصولها من حيث النحو والتصريف وصياغة الجمل وطرائق التعبير فتختلف عن اللغة العدنانية أشد الاختلاف . ومن أشهر من كتب في هذا الموضوع السنيور جويدي الكبير الذي استقدمته الجامعة المصرية القديمة لدراسة فقه اللغة العربية ، وأبحاثه في هذا الموضوع نشر جزء منها في مجلة الجامعة المصرية واستغل الدكتور طه جزءاً منها في كتابه عن الآدب الجاهلي

و تلك النقوش أو ثق من الروايات الشفوية التي يعتمد عليها بعض الناس. واستهانة الاستاذ عبد المطلب بهذه النقوش تعد جرأة عجيبة ، لأن الاثر المنقوش أو ثق من الاثر المكتوب في عرف أهل التاريخ. وما يلجأ اليه الاستاذ عبد المطلب من التشكيك في قيمة النقوش لا يغنيه فتيلا، لأن تلك النقوش اليها المرجع حتما في درس أصول اللغات

ثالثا ــ طبيعة الحياة تأبى أن يكون للعرب لغة واحدة فى جميع

أرجاء الجزيرة قبل الاسلام ، لأن الاسباب التي يفترضها أمثال الاستاذ عبد المطلب لاتكفي لتوحيد تلك اللغة

وأنا أقدم شاهدا بديعا لما أراه من أن طبيعة الحياة تأبى أن تتوحد اللغة في أمة مترامية الأطراف ، ذلك الشاهد هو الأمة الفرنسية ، وأنا أكتني بالآمة الفرنسية لأنى أعرف آدابها وأعرف كيف تطورت لغتها ، فهذه الأمة التي توحدت سياسيا واجتماعيا وأدبيا منذزمن طويل لاتزال فيها عدة لهجات تتباعد تباعدا شديدا بحيث لايستطيع بعض أهل الجنوب أن يتفاهم مع بعض أهل الشهال وهذا يقع مع انتشار الجرائد والمجلات والمطبوعات وفرض تعليم اللغة الفصيحة على البنين والبنات. والحكومة الفرنسية تعرف ذلك ولها في مداواته طرق عديدة منها المزج بين الجنود في أيام الخدمة العسكرية ، ومع هذا توجد أقاليم تصرعلي إحياء لغتها الاقليمية مثل مقاطعة البروفنس ولشاعرها ميسترال مؤلفات كبار هجر فيها اللغة الفصيحة وآثر الغة الاقليم. ولا تزال هناك إلى اليوم صحف إقليمية تكتب بمايسمونه « البتوا » فكيف يمكن إذن أن تتوحدلغة العرب قبل الاسلام فى جميع أطراف الجزيرة ولم يكن هناك ما يوجب توحيد اللغة بين اهل الشمال واهل الجنوب؟

٣ — جاء الاسلام فأذاع لغة قريش وفرضها على جميع المسلمين
 حين صيرها لغة الصلوات والعبادات ، أفتحسب انه مع هذا أمكن
 أن تصبح لغة قريش لغة جميع سكان الجزيرة العربية ؛

إذهب ايها الاستاذ فعش عاما أوعامين متنقلا في أرجاء الجزيرة من الشرق إلى الغرب ومن الشهال إلى الجنوب ثم اعمل ماكان يعمله أبو عبيدة و الاصمعى فقيد الفروق المختلفة بين الالفاظ والتعابير فسترى أنه لاتزال هناك لغات متعددة يعز التفاهم بين أهليها ويعسر عليهم فهم القرآن و الحديث والشعر الفصيح

أنا أوصيك بهذا وأرجوك ألاتنسى أن سكان الجزيرة راضهم القرآن على اصطفاء لغة قريش، وهم مع ذلك لايزالون مختلفين في تسمية الأشياء وفي طرائق التعبير، وإنكان هذا لايمنع أن جماهيرهم تتذوق لغة قريش بعض التذوق لانهم يقرءون بها الادعية والأوراد والصلوات

وما رأيك في سكان أفريقيا الشمالية ?

أنت لاتنكر أن الاسلام أذاع اللغة الفصيحة في طرابلس والجزائر ومراكش، ومع هذا أوكد لك أن أولئك الجيران لا يستطيعون التفاهم في أكثر الأحيان، لأن العامة في جميعالامم لاتهتم باللغة الفصيحة وإنما تلقى بنفسها في تيار اللغات المحلية، وتلك لغات تتقارب و تتباعد من بلد إلى بلد ، ومن صقع إلى صقع : حتى ليعسر التفاهم بين فريق من أهل مصر وفريق من أهل السودان مع أنهم يسكنون واديا واحدا ويلتفون حول راية واحدة هي راية القرآن وكل ما يمكن الاطمئنان إليه هو أن اللغة الحميرية أمدت اللغة وكل ما يمكن الاطمئنان إليه هو أن اللغة الحميرية أمدت اللغة

ذلك المدد على أيدى الشعراء والخطباء الذين انحدروا إلى الشمال، وحاولوا التفاهم مع العدنانيين المثقفين . والهجرة من الجنوب إلى. الشمال كان لها أثر في التقريب بين اللغتين ، ولكنها ما كانت تستطيع أن تحولها إلى لغة واحدة لأن ذلك من العسر بمكان

ولأضرب لك مثلا اللغة العامية التي يتكلمها المصريون: فهذه لغة معظم مفرداتها عربية ، ولكنها في تكوينها اللغوى من حيث صياغة الجمل واستعال حروف الجر وأدوات التنفيس تقرب من اللغة المصرية القديمة ، وذلك أن المصريين حين اتخذوا اللغة العربية أداة للتفاهم ظلوا يحرون على روحهم الأول في كيفية التعبير ، ونظير ذلك ما يقع لأحدناحين ينشى ، بحثا بلغة أجنبية فانه في الغالب يصوغ مفردات تلك اللغة في قوالب تذكر بلغته الأصلية ، فهو إلى الترجمة أقرب منه إلى الانشاء

وهذه مسألة دقيقة جدا وهي تذكر بما يسميها الفرنسيون و تورنور » وعليها يتوقف فهم روح اللغة ، ولا أزال أذكر أن أديبة مصرياكان يأخذ على بحلة الفكاهة أن أكثر كتابها سوريون وكان يقول. ويستحيل على الشامى أن يضحك المصرى » ومرجع هذا أن الأمم الى تتكلم لغة واحدة قد تتفاوت تفاوتا بعيدا في طرائق الافصاح مع اتفاقها في المفردات ، وهذا في أوربا ظاهر في الأمم التي تتكلم اللغة الفرنسية ، فالبلجيكيون والسويسريون لا يفصحون عن أغراضهم بنفس الأنماط التي يفصح بها الفرنسيون ، ولو انتقل فلاح بلجيكي

إلى مقاطعة فرنسية لعسر عليه التفاهم ، لأن وحدة اللغة الأدبية عند الأمم المتجاورة لا تقضى بوحدة الروح إلا بعد أن تتخذ الوسائل لذلك فى أزمان طو ال

وقد نقل إلى أنك كنت تشرح مرة لتلاميذك قول الشاءر وأطلالك اللائى بمنعرج اللوى بلين بلى لم تبلهن ربوع فقلت لهم : كلمة (بمنعرج اللوى) تساوى خمسة جنيهات! وهذا مرجعه أنك تتذوق هذا التعبير ، ومن المحتمل أن نجدمن يقومه بأكثر من ذلك فيرى أنه يساوى عشرة جنيهات! وقد لا يفهمه بعض الناس فيرفض أن يدفع فيه خمسة ملليات!

ومن هذا ماوقع مرة للا ستاذعلى الجارم وكان يفتش فى إحدى مدارس البنات فقرأت له تلميذة موضوع الانشاء فجاءت فيه كلمة سابلة » فقال الاستاذ: هذه كلمة تساوى شلن!

وأنا هنا لا أمزح وإنما أتخذ منهذه النوادر شواهد لابحاثي في فقه اللغة : فللا لفاظ حيوات مختلفة في أذهان الناس ، و بعض الألفاظ أحيا من بعض في التعبير الواحد ، وهوهو لم يتغير ، وإنما تتغير الأذواق

وما تعتمد أنت عليه من قوله تعالى (إنا أنزلناه قرآنا عربيا) لا يدل على وحدة اللغة العربية فى جميع أطر اف الجزيرة ، لأن القرآن كان يخاطب حينذاك خصومه مرب قريش ، ولم يكن اليمنيون الشتركوا فى معارضة الدين الجديد حين نزلت الآيات التي تمن على

العرب أن القرآن جاء بلسان عربي مبين

٤ — ونعود بعد ذلك إلى الحديث الذى أثار هذه المشكلة وهوحديث الكاهن خنافر ابن التوأم الحميرى وقد رواه ابن الكلبى عن أبيه ، وهذا الراوية معروف بعدم الثقة ، وللاستاذ عبدالمطلب أن يجهد نفسه قليلا فيقدم لنا بحثا عن الرواة الذين اهتموا بنقل آثار العرب القحطانيين ، ولو فعل لا نكشف له الغطاء عن أشياء كثيرة كانت تحسب حقائق وهي أوهام . فان لم يفعل فسندله نحن على قيمة الآثار الحميرية التي دونت بلغة قريش . وأنا على هدذا سأشقيه وأشق زملاءه معه فقد انقضى زمن الفروض وأصبحنا في أشد الحاجة إلى أن نعرف كيف تكون الرهبنة في طلب العلم وكيف يجب أن نشغل بدرس آدابنا دراسة عميقة تقفنا من أصولها موقف المستيقن الواثق مما يكتب وما يقول

و إلى القراء نموذجا من حديث خنافر الذى اطمأن فريق من القدماء والمحدثين إلى أنه بمثل اللغة الحميرية قبيل الاسلام فقد روى عن ذلك الكاهن أنه قال:

« كان رئيى فى الجاهلية لايكاد يتغيب عنى ، فلما شاع الاسلام فقدته مدة طويلة وساء نى ذلك ، فبينا أنا ليلة بذلك الوادى نائما إذهوى هوى العقاب فقال : خنافر! فقلت : شصار ! فقال : اسمع أقل . قلت : قل أسمع . فقال : عه تغنم . لكل مدة نهاية ، وكل ذى آمد إلى غاية قلت : أجل! فقال كل دولة إلى أجل ، ثم يتاح لها حول ، انتسخت

النحل، ورجعت إلى حقائقها الملل،إنك سجير موصول، والنصح لك مبذول، وإنى آنست بأرض الشام، نفرا من آل العذام، حكاماً على الحـكام، يزبرون ذارونق من الـكلام، ليس بالشعر المؤلف ولا السجم المتكلف، فأصغيت فزجرت ،فعاودت فظلفت. فقلت: بمتهيمون، و إلام تعتزون؟ قالوا: خطاب كبار، جاء من عندالملك الجبار ، فاسمع ياشصار ، عن أصدق الآخبار، واسلك أوضح الآثار تنج من أو ار النار . فقلت : وما هذا الـكلام ؟ فقالوا فرقان ، بين الكفر والايمان، رسول من مضر، من أهل المدر، انبعث فظهر فجاً. بقول قد بهر، وأوضح نهجا قد دثر ، فيه مواعظ لمن اعتبر ، ومعاذ لمن ازدجر ' ألف بالآي الـكمر . قلت : ومن هذا المبعوث من مضر ? قالوا: أحمد خير البشر. فان آمنت أعطيت الشبر، وإن خالفت أصليت سقر، فآمنت ياخنافر، وأقبات إليك أبادر ، فجانب كل كافر ، وشايع كل مؤمرن طاهر ، وإلا فهو الفراق ، لاعن تلاق » النح . النح

وهو حديث طويل اكتفينا منه بهذه الفقرات ، ويهمنا أن نثبت أن الذى اخترعه دس فيه بعض الألفاظ اليمنية لتصح له المحاكاة ، من ذلك الزخيخ والهوب بمعنى النار ، والجحمة بمعنى العين والواهر بمعنى الساكن . الخ

وأين هذه اللغة السهلة المقبولة من النصوص التي نقلها السنيور جويدى عن النقوش الحميريه كقولهم : « وهيم وأخهو بنو كلبت هقينو إلى مقة ذهرن ذن مزندن حجن وقهمو بمسألهو لو فيهمو وسعدهمو نعمتم » وقولهم:

« أخت أمهو وشفنرم بعلتي خمتن بخلف هجرت مريب شمتي. و ثنن لال مقة بعل أوم حجن وقهمو بمسألهمو لو فيهمو »

ويجب أن لايدهش القارى، من غرابة هذه النصوص فهى عند الشرح تبدو قريبة من اللغة العدنانية قربا يتناسب مع ما كان بين القحطانيين والعدنانيين من مختلف الصلات ، والتفاوت بين هاتين اللغة العربية واللغة العبرية ، فهما مختلفتان ولكنهما في الوقت نفسه تتقاربان في كثير من الخصائص والمميزات

وقد اتفق لى مرة أن اطلعت على جريدة تونسية فيها مقال بلغة أهل تونس العامية فحسبته لأول وهلة كتب باللغة التركية ، ثم تبينت بعد التأمل قربه من العربي الفصيح

وهذا هو الحال فيها كان بين اللغة الحميرية واللغة العدنانية فهما أختان لاحداهما خصائص أهل الجنوب ولاخراهما خصائص أهل الشهال

وأنا موقن بأن أهل اليمن لم يفهموا القرآن حق فهمه حين وصل إليهم لأول مرة ، وإنما راضهم زعماء الاسلام الفاتحون على فهم اللغة العدنانية ليفهموا بلاغة القرآن

وهذا الذي أقوله يطابق العقل والمنطق والاستقراء ، وللاستاذ عبد المطلب أن يتغاضى لحظة عن نصوص ياقوت وأحكامه في اللغة والتاريخ ، ثم يقيم بنفسه تجارب لغوية ليقتنع بصدق ما أقول وكان في مقدوري أن أنكر قيمة ما يراه ياقوت لانه كتب ما كتب في القرن السابع للهجرة وعن مصادر تنقصها الدقة وفي حياة مضطربة لاتسمح بروية ولا تحقيق ، ولكني مكتف بالاشارة إلى أن أحكام ياقوت وأمثاله على اللغة الحميرية لاتفيد غير الغلن ، أما النقوش التي يدرسها الباحثون اليوم فهي باب إلى اليقين النقوش سنة ١٩٣١ .

العيد في سنتر يس

« صورة وصفية »

القرى المصرية تتشابه فى كثير من الشمائل والتقاليد، وأوضح آيات هذا التشابه هندسة البناء، وهى تدل على وحدة الذوق فيها توجهت فى قرى المنوفية والشرقية والغربية والجيزة وأسيوط تروعك الصورة الموحدة أو المتماثلة التى تمتاز بها القرى المصرية، ومن أسباب هذا التشابه وحدة منافع العيش الني تفرض على أهل ومن أسباب هذا التشابة وحدة منافع العيش الني تفرض على أهل ومن أسباب هذا التشابة وحدة منافع العيش الني تفرض على أهل ومن أسباب هذا التشابة وحدة منافع العيش الني تفرض على أهل العلم وهي بلدة الاستاذ الدكتور وقد أنجبت كثيرا من أهل العلم والفضل وال

الشمال أن ينقلوا بعض محصولاتهم إلى الجهات الجنوبية ، وشجرة الجميزة المقدسة يراها الناظر فى كل قرية حيث تغرس فى المنازل. السمال والجنوب لتدل الناظر على أنها نبتت فى بيت واسع الارجاء ، ولتشعر من يراها بأن من غرسوها يعيشون فى بلد يستحب فيه الظل الظليل

وشهائل الفلاحين واحدة ، أو كالواحدة ، فى نظام البيت واستقبال الضيف ، والتعابير التى يتداولونها واحدة مع اختلاف قليل فى الآدا، وجرس النبرات ، وأحلامهم ومخاوفهم واحدة ،فهم جميعا يعيشون فوق أرض متشابهة فيها استعدت لاخراجه من الشجر والنبات ، ويروون من نهر واحد هو النيل ، وهم فوق هذا وذاك يخضعون لثقافة واحدة ، هى ما يصل اليهم من تعاليم الدين فان رأيتني أتحدث عن العيد فى سنتريس فتذكر أني أعنى العيد فى الريف ، وأنا مع هذا لاأنكر أن هناك تقاليد خاصة يفترق بها بعض البلاد عن بعض ، ولكنها لاتلاشى الطبع الاصيل الذى يصطبغ البلاد عن بعض ، ولكنها لاتلاشى الطبع الاصيل الذى يصطبغ البلاد عن العلاد

على سننريس صورتان مختلفتان لطعام العيد، الأولى لعيد الفطر والثانية لعيد الأضحى، فني عيد الفطر يغلب الكعك – وهم في بلدنا ينطقونه بالحاء المهملة ومنه جاءت كلمة الكيك في اللغات الأجنبية وهو في الأصل فارسى معرب

و يكثر كذلك « المنين » وهو أقراص صغيرة تحلي بالسكر

أو بالعجوة، وربة البيت تصنع من عجينة الكعك قوسا لـكل صبي. وعروسة لـكل صبية ، والقوس كعكة كبيرة تنقش نقوشا مختلفة -يفرح بها الصبيان ، والعروسة بنية صغيرة من العجين المأدوم بالزبد-والمحلي بالسكر والزبيب

وفى عيد الأضحى يكون الطعام من اللحم، ولا يصنع. الكعك إلا قليلا

والهدايا تساير هذا الاصطلاح،فالخاطبيهدى لخطيبته كعكا فى عيد الفطر ، ومعه البندق وعين الجمل واللوز وهذه الأشياء تسمى «الفطرة » لذلك ، وفى عيد الآضحى يهدى إليها فخذة الخروف ، والعروس بعد أن تزف إلى زوجها ويجىء العيد يهدى إليها أهلها كعكا فيه قوس « للعريس الجديد » وفيه عروسة للعروسة ا

٣ - وللكعك في نفس أهـل سنتريس صورة الفرح والانشراح وهم لذلك يحرمونه على أنفسهم في العيد إذا كان في البيت حزن ، والأهل والجيران يراعون خواطرمن مات لهم ميت لم يمض عليه العيد فيمتنعون عن خبيز الكعك ، ومع أن المحزونين يحرمون على أنفسهم الكعك فانهم يصنعونه أحيانا للصدقة على روح الأموات ، كانهم يتأدبون بأدب الآية الكريمة

(لن تنالوا البرحتي تنفقوا مما تحبون)

ومن غرائب التقاليد فىسنتريس أن الكعكوالفطير لايحسن. م ١١ ب^{د – ج ٢} صنعه إلا كرائم النساء، وفى كل حى سيدة أو اثنتان لهما شهرة بذلك: والفتاة التى تحسن « تبطيط » الفطيرة وتجيد « تفتيل » الكعك ، وتعرف كيف تقعد أمام الفرن لانضاج الكعك والفطير ، مثل هذه الفتاة يأتى الجارات لتهنئة أمها ويدعون لها « بعريس الغفلة ، والباب بلا قفلة » وسر ذلك أن الفطير أسيل الحد تؤذيه النار ولا تحسن إنضاجه إلا سيدة لبقة أو فتاة ناضجة الذكاء ، وكذلك الكعك يحتاج فى إنضاجه إلى حزم ورفق

والبنت التي لاتحسن انضاج الكعك والفطير يبكتها أهــل البيت مهذه الـكلمة

« افحتوا للخايبة النقرة ، عيشتها عار وموتها سترة »

ويتبع دلالة الكعك على الفرح والانشراح أنهم لا يصنعونه فى غير العيد إلا عند عملية الختان وعند الزواج ، وهو يقدم بسخاء لمن يدفعون النقوط

وفيها عدا ذلك يضربون هذا المثل:

« بعد العيد لاينفتل كعك »

وألفاظ التعبير تختلف باختلاف المخاطبين فحين تلقى برجلاكهلاتخاطبه في عيدالأضحى بهذه العبارة «العيد المقبل تكون على منى » وعندما تلتى شابا تقول له : « العيد المقبل تكون فى حضنك العروسة « والسيدات يتخاطبن فيها بينهن بأمثال هذه العبارات :

« السنة المقبلة يا أختى ، يسكون على كتفك ولد!.. السنة المقبلة تكون بنتك العدل » بفتح العين والدال

وكذلك تمضى عبارات التعييد في حدود المعاني الأدبية والمعاشية ، وكله « العروسة » تجرى يوم العيد في كل بيت وفي كل شارع وفي كل مجتمع ، وبهذا تأخذ « العروسة » مكانا في خيال الطفل منذ نعومة أظفاره ، فلا يرى نفسه رجلا إلا حين يتزوج ، ولهذه النزعة أثر كبير في منع أزمة الزواج في الأرياف ، وأهل بلدنا لا يعرفون هذه الأزمة الاجتماعية على الاطلاق ، وبذلك يغلب عليهم التصون والعفاف ، أكرمك الله ياسنتريس !

و سولاة العيد اسم طنان في سنتريس ، وأشهر مساجدها المحامع أبي فراج و جامع سيدى سالم ، وهم يزعمون أن «أبا فراج » من العراق ، وأن « سيدى سالم » هو سالم بن عبدالله أحد كرام التابعين وما رأبته في شرح البخارى ينقض ذلك ، ولعل هذا جاء من أن أهل مصر لا يعز لديهم في الغالب غير الغريب ولذلك حرص أهل سنتريس على أن يكون (سيدى سالم) من الحجاز وأن يكون (أبو فراج) من العراق ، والغريب يستطيع بسهولة أن يصطنع النفسه منزلة علمية أو أدبية أو دينية ، أما ابن البلد فيشتى كا شقيت ولا يعترف له أحد بجميل !

وأعود فأقول إن أهل سنتريس يذهبون إلى المساجد قبل

الفجر بساعة أو ساعتين فيقرأ المتهجدون ورد السحر ويرتلون الدعوات والتسبيحات ، أما الشبان فيأخذون معهم فى عيد الفطر كميات من البندق وعين الجمل واللوز ويملا ون المسجد بالفرقعة والضجيج ، وفى هذه الاثناء يكون الاطفال قد أحاطوا بالمسجد وشرعوا فى ضرب الاسواط والصواريخ!

7 _ يتأهب الفقراء للعيد بشراء ثوب العيد ، وهو في الأغلب من البفتة البيضاء ويلبسونه بلا غسل فيكون له قعقعة وحفيف! والخياطة غالبا من صنعة النساء الفقيرات ، ولا يذهب إلى الخياطين إلا المتأنقون ، وفي يوم الوقفة تجد الناس يغدون ويروحون للبحث عن ثيامهم ، وقد يتجمهرون على باب الخياط في ليلة العيد ، وهي عند الخياطين ليلة ساهرة يصلونها بالصباح

ولهم فى عيد الأضحى خرافة طريفة ، فهم يعتقدون أنه لا تجوز الحياطة ولا حمل الابرة فى وقفة عيد الأضحى ، ويزعمون أن الحجاج يدعون عليهم فى عرفات فيقولون

(الله عليك يا ما سكة الابرة ، الله عليك ياحالة شعرك!!)

٧ — وزيارة الأموات فى ليلة العيد من التقاليد المعروفة فى سنتريس، ولكن لايبيت أحدمنهم كما يقع فى القاهرة، ولايذهب رجل أو فتى إلى المقبرة إلا وفى يده فانوس، والطبقات الفقيرة تقتنى الفانوس ولا توقده إلا فى ليلة العيد لهذا الغرض، و تكون الفوانيس غالبا ملونة الجوانب بالاحمر و الاخضر و الاصفر، كا نها عرائس

حدا الزمان!

٨ - وفى يوم العيد تجلس كل عائلة فى الدوار لاستقبال المعيدين وتتخير كل عائلة (وفدا) للطواف حول الباد فترى الشوارع تموج بجماهير تلك الوفود، ومن واجبك أن تصافح يوم العيدكل من تلقاه وإن لم يكن لك به معرفة ، وأن تدعو له بحج بيت الله الحرام إن كان متزوجا، وحضن العروسة إن كان عزبا، وبالذرية الصالحة إن كانت امرأته عقيما

وتلك الوفود تتناول القهوة فى كل دوار ، و لا ضرر فى ذلك فانها فناجين صغيرة لا يبلغ بجموعها كا سامن الشاى ، ولكنهم يمتنعون عن القهوة فى منازل الاحزان ، ولنقيد أن المحزونين لا يقدمون للمعزين غير القهوة المرة ، ولنقيد أيضا أن الميت يقام مأتمه فى العيد الأول والشانى بعد وفاته وإن مضت أشهر ، ويسمع الصراخ والعويل فى بيت أهله كأنه لم يدفن إلا أمس ، وهذه العادة تضيع كثيراً من بهجة العيد فى سنتريس

هـ ومع أنه لا يجوز صنع الكعك في المنازل الحزينة فانه يجب على أهل الميت أن يلبسوا في العيد جديد الثياب مع الاحتشام، والحشمة توجب أن يتجنبوا اللون الأبيض والأحمر، وأن يتخيروا اللون البني أو الاسود. ومن غرائب المفارقات أن أهل الاندلس كانوا يختارون اللون الأبيض في ثياب الحداد وفي هذا المعنى قيل هذان البيتان:

يقولون البياض لباس حزن بأندلس وذاك من الصواب ألم ترنى لبست بياض شعرى لأنى قد حزنت على شبابى ويعتقد أهل سنتريس أن الميت يشتهى فى قبره أن يظهر أهله بمظهر الغنى والجاه، ولذلك يستحب أن يتقمش المحزونون

۱۰ وفى اليوم الذى يسبق وقفة العيد يطوف الجزارون.
 بالبلد فى موكب من الأطفال اللاعبين ، ومعهم ما أعدوا للذبح من الغنم والبقر و الجمال ، و يكون ذلك قبيل الغروب ، وهى اللحظة التى يعود فيها الناس من الغيطان ، و ينادى المنادى :

غربي البلد بكره، عند محمود الرفاعي! شرقى البلد بكره، عند أبو شعلان! العسل الشهد عند أبو شبل! اتفرج وشوف يا ابن الحلال!

وفى فجر الوقفة تنحر الذبائح ويتسابق الناس إلى تموين بيوتهم من اللحم الغصيب

١١ وفي سنتريس أسرة قبطية تشارك المسلمين في العيد ،
 ولكنهم لا يأكلون لحم الجمل ، وفي الصباح يتكون وفد من الأقباط للطواف بدواوير المسلمين فيقا بلون بالترحيب

۱۲ – وكانت ملاهى العيد فى سنتريس قليلة ، ليس فيها إلا أراجيح الاطفال ، ولـكن جدت فى هذه الايام قهوتان إحداهما! على النيل بجوار طريق الاسكندرية والاخرى على طريق أشمون

وفى هاتين القهوتين يدار الفونوغراف ، وتلقى بعض النكت المبتذلة ولا يذهب إلى هذه الملاهى إلا الشبان الذين يخلصون من سلطان الآباء ، فان أهل سنتريس لا يعيدون إلا فى منازلهم ودواويرهم ولا يخرج منهم إلى القهوة إلا من وصل إلى أذنه أن المدنية الحديثة لها فى العيد مذهب جديد!

ومن المؤكد أن رواد القهوات فى سنتريس سيقرأون هذا المقال ويعتبون ، ولكن لا بأس فنحن نصور الواقع رغبة فى تأريخ التطورات الاجتماعية فى الريف

* * *

أما بعد فقدكان حضور العيد فريضة وكنت لا أستطيع قضاءه. إلا فى سنتريس بين الأهل والأحباب، ثم راضانى الأيام على احتمال الفراق. وصلالله بكم قلبى ياأهل سنتريس، وأرانى وجوهكم, فى خير وعافية والسلام أول شوال سنة ١٣٥٢

ش______و قى

كلمة صدق فى توديع أمير الشعراء

كان فى مصر رجلان يقال لهما حافظ وشوقى ، وكان لذينك الرجلين ولوع بالحديث عن الموت ، وكان حافظ ينعى نفسه فى كل مناسبة ، ويرحب بالراحة الأبدية ، أما شوقى فكان يقف دائما وقفة المتطلع ، ويتمنى لوحدثه الأموات عما بعد الموت ، حتى كاد حديثه عما بعد الموت يعد من إحدى لوازمه فى قصائد الرثاء

وكان القدماء يرون أن الدنيا لو سئلت وصف نفسها لمــا عدت قول أبي نو اس:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عرب عدو فی ثیاب صدیق ونحن نری أرب الحیاة لو سئلت وصف نفسها لما عدت خول شوقی:

كم فى الحياة من الصحراء من شبه كلتاهما فى مفاجأة الفتى شرع وراء كل سبيل فيهما قدر لا تعلم النفس ما يأتي وما يدع

افلست تدرى وإن كنت الحريص متى

تهب ريحاهما أو يطلع السبع

ولست تأمن عند الصحو فاجئة

من العواصف فيها الخوف والهلـم

ولست تدرى وإن قدرت مجتهدا

متى تحط رحالا أو مـــــتى تضع

ولست تملك من أمر الدليل سوى

أن الدلي__لوإن أرداك متبع

أو قوله :

البنان ردتني اليك من النوى

أقدار سير للحياة دراك

جمعت نزيلي ظهرها من فرقة

كرة وراء صوالح الأفلاك

نمشى عليها فــوق كل فجاءة

كالطير فوق مكامن الأشراك

والذي يقرأ ما سطره المكتاب في رثاء شوقي يراهم جميعا وقفوا يتحدثون عن الموت وعما بعد الموت؛ كائن ذلك الرجل الذي طال وقوفه بباب الأقدار ألهمهم ما يقولون في التطلع إلى ما سيكون بعد الموت . . . أكان شوقي أول ميت حتى يثير كل هذه الشجون الأملى لا ، لم يكن شوقي أول ميت ، ولكن موت الشاعر فجعية تبعث م المرابد و المرابد و حرم المرابد و ا

على التفكير فى حقائق الموت والحياة ؛ وخاصة شوقى ، فانا لانعرف إنسانا فى مصر طابت له الحياة كما طابت لشوقى ، ولا نعرف شاعر ا تغنى بأطايب الحياة كما تغنى شوقى ، فكان من الحق أن نسأل : وشوقى، أيضا يموت ؟!

و بعد فمن شوقي ۽ وما شعره ۽

كان شوقى عاديا فى حديثه ، و فى مظهره ، و لكنه كان فى شعره . أعجوبة الأعاجيب ، وكان دليلاعلى أن العرب كانو امعذورين حين . ظنو ا الشعر من و حى الشياطين . فما أذكر أن حديث شوقى راعنى . مرة ، أو دلنى على أن للرجل عقلا يمتاز على سائر العقول . وكان . مظهره بسيطا جداً لانه كان يبغض اللباس الأنيق ، و إنهم ليذكرون . أنه كان يبغض اللباس الأنيق ، و إنهم ليذكرون . أنه كان يضيق صدراً بالملابس الرسمية ، و أنه طلب من الخديو السابق أن يعفيه من لبس الردنجوت فى قصر عابدين ، وأن الخديو أعفاه وأن شكله كان يضحك حين يتكلف ملابس الاستقبال عند تقديم وأن السفر اه .

ولكن هل العبقرية لباس مهندم ولسان معسول؟
هيهات! لقد استطاع ذلك الرجل الصامث الخشن الملابس أن.
يكون أشعر الناس في زمانه ، لان العبقرية سرمكنون ، وقدأ فصح هو عن ذلك أبرع إفصاح حين قال :

رب سامى البيان نبه شانى

أنا أسمو إلى نياهة شانه

كان بالســــبق والميادين أولى

لو جری الحظ فی سوا. عنـــانه

ما الرحيق الذي تذوقون من كر

مي وإن عشت طائفــــا بدنانه

وهبونى الحمام لذة سجم

أبن فضل الحمـــام فى تحنـــانه

وتر في اللهـاة ما للمغنى

من يد في صفـائه وليـانه

ومن ذلك الوتر الرنان الذي وهبه شوقى كانت الدرع الحصينة التي يدفع بها سهام الحاقدين ، فقد قامت في وجه الرجل أعاصير جائحة من النقد المسموم ، فثبت لها ثبات الجبال الرواسخ ، وظل هو في جميع الاحوال لا يخبو زنده ، ولا ينكسر جناحه ، ولا يقع طائره ، مع أن حاسديه لم يتورعوا _ وهم ينهشون لحمه _ من رميه بمايه دعزائم الرجال . وكان يتخذ من أحقاد خصومه مادة لشعره قد تكون من أجمل ما تغذى به خياله الوثاب ، والقراء يذكرون أن ناسا عابوا عليه سكوته عند نعى حافظ و ذهبوا يتقولون عليه الاقاويل ، فدمغهم بقوله في رثاء حافظ :

قد كنت أوثر أن تقول رثائي

يامنصف الموتي مرن الاحياء

لكن سبقت وكل طول سلامة

قدر ، و كل منيــة بقضاء

وودت لو أنى فداك من الردى

والكاذبورب المرجفون فدائى

الناطقون عن الضغينة والهوى

والموغرو الموتى على الأحياء

من کل هدام ویبنی مجـده

بكرائم الانقاض والاشلاء

ما حطموك وإنما بك حطموا

من ذا يحطم رفرف الجوزاء!

انظر فأنت كأمس شأنك باذخ

في الشرق واسمك ارفع الأسماء

وهو يعنى نفسه بالبيتين الآخيرين ، وإن توهم القارى، أنه يعنى حافظ إبراهيم

* *

كان شوقى مفطورا على الشعر ، وكانت الحياة فى عينيه شعرية الملامخ ، وكان يستبيح من متع العيش كل ما حوت فراديس الشعراء وكانت حياته فى بيته و بين أهله مطبوعة بطابع شعرى أخاذ ، وكان

هيامه بقطع المسافات الطوال على قدميه أيام قوته دليلا على أن الرجل يقظ المشاعر ، وأنه مفتون بدرس مظاهر الوجود ، وكان الشعر يسود كل مافى حياته من نظام واضطراب . وقد تصادقنا حينا وألفنا التلاقى فى كل يوم حقبة من الزمان ، فكنت الاحظ أن للرجل نواحى هو فيها أضبط من الساعة _كا نعبر فى لغة الحديث ونواحى يهمل فى ضبطها و تحديدها أغرب الاهمال ، وهو فى نظامه واضطرا به شاعر يعرف كيف يتذوق مفاتن العقل و الجنون

وكان شوقى مفتونا بأبنائه إلى حد العشق، وخاصة بابنته أمينة وابنه حسين، وله في أبنائه شعر رائع يدل على أن الرجل كان شاعر العقل والذوق والروح، وكان يتعلق بأصهاره تعلقا شديدا يذكر بعيش الفطرة في خيام الاعراب، وكانت منافع الدنيا تتمثل له فاتنة جذابة ، لأن الرجل في شعره وفي صميم قلبـــه وروحه ونظامه السياسي والاجتماعي كان رجل دنيا ، وكان لايفهم كيف يكون الزهد وكيف يكون الاعراض عنأطايب العيش، والذن لاموا شوقى على التشبث بأهداب الجاه العريض لم ينظروا إلى الدنيا بعينيه القلقتين ولم يعرفوا كيف تكون السيطرة وكيف يكون الاستبداد بمتع العيش علىشواطى. النيل. والحياة فى مصر_ وفى الدنيا كلها _ لاتتم أسبابها بغير الجاه والمال، وكان الرجل يفهم ذلك فهم الشاعر، وليتصور القارىء كيف يكون فهم الشاعر ، وخاصة عند أمثال شوقى ممن تلقوا الدنيا بحس مرهف وذوق مصقول

كانت لشوقى دنيا قبل الحرب فأخرجته منها أفاعى الحوادث كا عبثت الحية فأخرجت آدم من الجنة ، وقد ظلت ذكريات ذلك الفردوس المفقود تعتاده فى اليقظة والمنام ، وذلك هو سر تحفظه وحيطته فى كل ما يمس دقائق السياسة العالية ؛ فان قال ناس إنه لم يهب الجماهير صفو شعره فليتذكروا أن ذلك لم يكن ليقع لو أن الرجل فطر ذوقه فطرة شعبية ، وكيف وكان يزهى ويفتن كلما تذكر أنه ولد فى رحاب المجد والجاه!

كان شوقى مفتونا بشعره كل الفتون ، وكان لا يصدق أن في الدنيا شاعرا غيره، وكان يعادي و يصادق على هذا الأساس، وقــد اتفق أن توثقت بيننا أو اصر الصداقة بعد عودته من المنفى ، وظلت صداقتنا على خير حال نحو ثلاثة أعوام، فلما كان صيف سنة ١٩٢٥ طلب مني أن أكتب مقدمة للشوقيات فقبلت، ثم عدت فتذكرت أن الذوق يفرض أن تكتب المقدمة بشيء من المجاملة، وأن هذا قد يضرني إذا اضطررت لنقد شعره في مستقبل الأيام، فكتبت إليه خطابا أعتذر عن كتابة مقدمة الشوقيات ، وكان في الخطاب تعليل لذلك الاعتذار يتلخص في مصارحته بأنه عرضة للخطأ والصواب وأنني أحب أن أحتفظ بحريتي في نقده إذا اقتضى الحال. وكنت أنتظر أن يتقبل الرجل عذرى ، ولكنه أسرالغضب وأضمر الجفاءوطوي ماكان بيننا من وداد منذ ذلك الحين (١) (١) ومع ذلك فقد بالغالدكتور في الثناءعليه بما لا مزيد فوقه وتلك لعمري

أحاسن أخلاق العلماء . مصححه

كان شوقى من كبار أهل العلم بأسرار اللغة العربية ، وقد دانت اله تعابيرها وأخيلتها وألفاظها بحيث كانت قصائده تحمـــــل من صنوف الثروة اللغوية مالا تظفر به قصائد غيره من المعاصرين إلا · في النادر القليل ، ومن رأى بعض رجال الأدب أن شوقي كانأعلم من حافظ باللغة ، وحجته فىذلك أن حافظ لم يملك غير الديباجة المتينة أماشوقي فكانيقع على كلمات نادرة يطرز بها شعره من غيرأن يشعر القارى، أنها اجتلبت عن طريق التكلف أو الافتعال، وكان شوقى بالفعل من المولعين بالمراجعات الموصولة في كتب الأدب والتاريخ وكان يفهم جيداً أنه من أئمة الأدب، وأن من واجبه أن يتعرف إلى روائع الأدب القديم والحديث، وكان لهمثل هذا الموقف من الآداب الأجنبية وإنكانتصلته بأدب أوربا وأمريكا وقفت عند حدود المشاهد السينهائية منذ ضعف بصره عن كثرة القراءة ، ومثل شوقي كانت تكفيه اللمحة الدالة ، فكانت المناظر السينائية تغنيه عن قراءة مختلف الأقاصيص.

* *

كان شوقى من حيث الديباجة في الذروة العالية ، وكانت

معانيه وموضوعاته من روائع الآدب الجديد ، وقد ظلم ناس أنفسهم وظلموا النقد النزيه حين قرروا أن شوقى لم يكن فى معانيه من المبدعين ، وحسب القراء أن يذكروا أن شوقى كان من أسبق الناس إلى تدوين كبريات الحوادث فى مصر والشرق ، وسيظل ديوانه من أهم المراجع لتاريخ هذا الجيل .

وقد ابتدع شوقى القصص الشعرى المسرحى لأول مرة فى تاريخ اللغة العربية ، ولم يكن أول منحاول هذه المحاولة ، ولكنه أول من نجيح نجاحاً يذكر ويؤثر ، وسينسى التاريخ المحاولات. الأولية مع الأسف ، ويذكر أن شوقى هو أول من شغل المسارح برواياته الشعرية ، وأول من طاف بشعره الممشلون فى مختلف الأقطار العربية

وبعد فهذه كلمة قصيرة فى توديع شوقى ، وإن نفسى لتطيب كلما ذكرت أنى كنت أول ناقد أنصف شوقى فى حياته كما يشهد بذلك. كتاب « الموازنة بين الشعراء » ويرحم الله من قال: وطيب نفسى أننى لم أقل له كذبت ولم أبخل بماملكت يدى. 17 أكتوبر سنة ١٩٣٢

النباتيون في باريس

حقائق تنفع الشباب والكهول

باريس في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٣٠

إن المذاهب الفلسفية لا تنشأ مصادفة واتفاقاً، ولكنها تنشأ وفقا لطائفة مر. لغرائز والطبائع والميول والأهواء، ولن تجد رجلا يتشيع لمذهب من المذاهب الروحية ، أو الطبيعية ، أو الاجتماعية إلا خضوعا لحاجة ملحة من تكوينه الطبيعي والجثماني والحسى. فالفلسفة ليست من الشؤون الكمالية كما يتوهم المتوهمون ولكنها ضرورات الحياة يلجأ اليها من خانته قوة من قواه أوألح عليه هوى من أهوائه ، أو اضطرب نظام أعصابه ، أو أمعائه ، أو غلبت عليه أزمة من الأزمات الاجتماعية التي تفرض تغيير نظام الاجتماع من وضع إلى وضع ، وتبديله من حال إلى حال . وأهل الفلسفة ليسوا هم طلبة الفلسفة ولا أساتذة الفلسفةالذين يدرسونها في المعاهد والجامعات؛ فقد يكون أكثر طلبة الفلسفة وأساتذتها ناسا عاديين هادئين لم يجدوا من تقلبات الحياة وصروفها مايحملهم على اعتناق مذهب من المذاهب الفلسفية ، وإنما أهل الفلسفة هم 7--414-6

«الناس الحساسون الذين اصطدموا بأمواج الحياة فغالبوها وغالبتهم وكان منهم المنتصرون والمنهزمون،ولوأننا عدنا الىالفلاسفة فدرسنا. حياتهم الخاصة ، وعرفناكيف كانوا يعيشون في منازلهم ، وبين أزواجهم وأبنائهم، وأصدقائهم وأقربائهم، وخلطائهم وعشرائهم ثم تطرفنا فبحثنا كيف كانوا يلهون ويلعبون ، وكيف كانوا يجدون ويعملون ، وكيف كانوا يحبون ويبغضون ، ومن أى طبيعة كان حبهم وبغضهم ، وجدهم ولعبهم ، وعلى أى حال من الأحوال النفسية كانأحبابهم وأعداؤهموأنصارهموحسادهم ، لوأننا درسنا حياة الفلاسفة بشيء من الاستقصاء لعرفنا كيف تكونت فكرتهم الفلسفية ، وعرفنا ما السبب في أن بعضهم يقبل على مذهب و ينحرف عن مذهب آخر ، وما السبب فى أن هذا الفيلسوف كان مر. _ الروحيين ، وذاككان من الطبيعيين، وهذا كان من فلاسفة الاجتماع وذلك كان من أصحاب الرأى في الحق أو الخير أو الجمال.فان الواقع أنكل كلمة يخطها الآديب العبقري أو الفيلسوف المتمرد، ترجع الى طائفة معقدة من الحوادث الفردية والاجتماعية ، وليست الآثار الأدبية والفلسفية إلا صدى لزوابع وأعاصير ورعود مرت بنفس الأديب أو الفيلسوف ، والقارىء قد يلهو وهو يقرأ ما يقع له من آثار الفلاسفة والأدباء ،غير مكترث بمــا بين يديه من عصارة اللحشاء والاعصاب والقلوب ، ولعله لو تأمل لرأى في ظلال كل كلمة حشا يتفتت أو قلبا يذوب.

أكتب هذا تميداً لما أقدمه من أعمال النباتيين في باريس ، فاني لا أظن أن المذاهب الطبيعية تنشأ في مثل باريس حبا في الشهرة وطلبا لبعد الصيت ، كلا و إنما استطاعت باريس بما فيهامن تعقيد اللهو والطعام والشراب، وما يجرى في خفايابيوتهامن البؤس والفاقة والضجروالاكتئاب، استطاعت باريس بعنفها وجبروتها أن تهدى ناسا و تضلآخرين :فهي مأوى لجميع المذاهب الادبية والفلسفية إذ كانت مأوي لأكثر الاشقياء والسعداء والمترفين والبائسين، فغي كل ركن من أركانها يشقى ناس ويسعد ناس، ويموت فريق من البطنة وفريق من الجوع ، ويغتسل ناس باللبن لتنعم أجسامهم فيما يزعمون ، ويبحث آخرون عن لقمة فلا يجدون ، ومثل هذا الجو المعقد جدير بأن مخلق ألوانا من التفكير يختلف بعضها عن بعض أشد الاختلاف: فللمدرسين فلسفة، وللفنانين فلسفة ، وللعال فلسفة وهكذا دواليك حتى لاتجد باريسيا واحدا خالى الذهن من المشاكل العقلية والروحية والاجتماعية ،وإنك لتجد صدىذلك كله في الجرائد وفي الأندية وفي المطبوعات، وعلى ألسنة الناس حيث تجمعهم ساعات العمل أو ساعات الفراغ.

وليس معنى ذلك أن الفلسفة النباتية لم تنشأ إلا فى باريس ، لا فهى فلسفة قديمة عرفها الهنود والعرب واليونان ، وهى فوق ذلك كله فلسفة طبيعية : فهناك ناس يفرون بفطرتهم من اللحوم من دون أن يعظهم أديب أو فيلسوف ، فنى القرى المصرية يوجد أفراد لا يا كلون اللحم ، وليس امتناعهم عن أكله أثراً للاقتصاد أو الفلسفة ، ولكنهم لايسيغونه ولا يشتهونه ، وأنياب الانسان عند التأمل غير مستعدة لأكل اللحم، وإنكان هذا لا يمنع أن في الناس من يأ كلون السمك نينًا ، وأقول السمك فقط ، لأنى ماسمعت ولا رأيت إنسانًا يأكل لحم الحيوان قبل أن تنضجه النار (١) وقديمًا وجد فىالعرب لعهد النبوة من حرم اللحم على نفسه فنز لتآية (ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وامتناع الانسان عن اللحم امتناعا مطلقا يبدوكأنه فلسفة عديمة القيمة ، وقد امتنع أبو العلام المعرى عن أكل اللحم ، ويؤثر أن طبيبه وصف له فروجاً يأكلهوقد أبل من مرض ألم به ، فلمالمسه صاح : «استضعفوك فوصفوك ! هلا وصفوا شبل الأسد!» وهي سذاجة من جانب أبي العلاء، وإلا فلووصف له شبل الآسد فأكل منه لعجزتأمعاؤه عن هضم ذلك الضارى الفتاك

والأطباء حين يصفون اللحوم البيضاء يسايرون الطبيعة ، فانه لاجدال فى أن الانسان بطبيعة تكوينه قادر على هضم لحوم الطير بلا مشقة ولا عناء ، وفقهاء الشريعة الاسلامية كانوا على حق يوم تعرضوا للحم الجمل واستحبوا أن يضعوا لآكليه بعض الآداب الحاصة بالوضو. والاغتسال، لأن لحم الجمل قوى لا يهضم بسهولة ،

⁽١) علمت أن بعض القبائل الوحشية تأكل اللحم نيثًا ، ولكنهم فىالأغلب. يضعونه فى ترابل تلينه

وقديما عاب كسرىعلى العرب إقبالهم على لحمذلك الحيوان ، ورأى في أكله نوعا من الوحشية والاستذآب

وبعد فقد أنشئت جمعية النباتيين فى باريس سنة ١٩١١ وهى تسمى بالفرنسية «علامة الوصل» أنشأها جماعة من محبى الفلسفة والراغبين فى إنقاذ الحياة الانسانية من مضار اللحم والحمروالتدخين واليك ترجمة المبادى التى أعلنتها يومذاك:

أولا _ نحر. نعتقد أنه من الممكن لكل إنسان في الحالة الاجتماعية الراهنة أن يصل بمراعاة أفضل قواعد الصحة والتهذيب الشخصي إلى تحسين عظيم الأهمية في تقويم حياته

ثانيا _ نحن نعتقد أن قيمة الأفراد هي التي تكون قيمة الجماعات . وهي التي تحدث أعظم الأثر في الأنظمة العمومية

ثالثا _ ونحن نعتقد _ تبعا لذلك _ أن كل إنسان عليه واجب خطير نحو نفسه و نحو المجموع و نحو مستقبل النوع، وذلك الواجب يتحقق حين يعمل جهده في إصلاح حياته الفردية

رابعا _ نحن نعتقد أن جهد الانسان فى إصلاح نفسه له نتيجة لازمة هى ظفره بمقدار من السعادة يتناسب معمايبذله فى هذاالشأن خامسا _ نحن نعتقد أن دراسة قوانين الطبيعة والوفاء لمبادئها تعطى الانسان أصدق المرشدين لتقويم نفسه

سادسا — نحن نعتقد أن للفكرة وللارادة الانسانية قوة عظيمة وأنه يجب أن يستخدم الانسان فكرته وإرادته عن عزيمة صادقة

في عمل الخير ، والسمو إلى الآفاق العلوية

سابعا _ نحن نعتقد اعتقادا جازما بالانتصار المؤكد للجمال على القبح ، والحق على الباطل ، والبر على الأثرة والجقد

ثامنا — نحن نعتقد أن الوسائل الفعالة فى تحقيق النفع هى الحب الشامل والاخاء والتعاون ، وأنه لاشىء من الحق أو الجمال أو الخير يمكن أن يبنى على أساس الحقد والتحزب والتعصب والمنافسة والانتقام والاضطهاد

تاسعا — نحن نعتقد وجود الجاذبية العامة ، والعطف المشترك بين من يعملون مخلصين للخير ، وإن كانوا متعارضين في الظاهر لأن الطرائق لايجاد مستقبل أحسن تختلف بمقدار ماتختلف طبائع الناس .

هذه هى المبادى التى أعلنتها جمعية النباتيين يوم إنشائها ، والذى يتأمل هذه المبادى يرى أنها تعطى القوة الفردية قيمة كبيرة ، والفرد فى حقيقة الأمر هو الحجر فى بناء الجماعة ، وكل بناء لا تسلم أصوله لبنة لبنة ، وحجراً حجراً ، قريب من التداعى والسقوط . والطرائق لتحقيق هذه المبادى وتتلخص فيها يأتي :

أولاً الامتناع المطلق عن المشروبات الروحية .

ثانيا — الامتناع عن التدخين وجميع المواد التي تميل بالجسم إلى التخدر والذهول

ثالثا ـــ الامتناع عن اللحوم وجميع الأطعمة التي تثير الشهية

رابعا — الاقبال يوميا على الاستحمام ، أو على الأقل دلك الجسم.

خامسا — الحياة فى الهواء الطلق وفى الشمس كلما أمكن ذلك سادسا — القيام يوميا بطائفة من الألعاب البدنية التى تحيى الجسم وتنبه قواه الغافية

سابعا ــ تقوية الاحساس وفهم الجمال وذلك يتحقق بتخصيص جزء من كل يوم لدراسة الاحساسات والمشاعر الفنيــة النبيــلة ومشاهدة الجمال

ثامنا _ تقوية الذكاء بالمطالعة والدرس المنظم الموصول. للنصوص التي تتطلب جهودا عقلية

تاسعا — تقویة ملکات النفس من اعتدال و اتساق و ابتهاج. وصبر و احتمال و ثبات و حزم و کرم و حب

عاشراً ــ تمرين الارادة على الحياة العاليـــة وذلك يتحقق. بالاشتراك عن إخلاص ونزاهة فى أعمال الحير والبرااتي يتجه نفعها. إلى الانسانية بدون تفريق بين الاجناس والاديان

*

وللقارى، أن يسأل : هل لهذه الجمعية شهرة وسلطان في باريس؟

والجواب بالسلب: فقد طال ترددي على هذه المدينة منذ أعوام

ولم أر أثرا فعالا لهذه الجمعية ، وقدمت في صدر هذا المقال أن المذاهب الفلسفية لاتخلقها إلا الضرورة ، فمن المعقول إذن أن تكون أعمال النباتيين وجهودهم مقصورة النفع على من يجد الحاجة إلى متابعة ما يفرضون من القواعدو الاصول، وأهل باريس نشاوى من الخر والحب وقلما يفيقون

وحسب القارى، أن يعلم أن المطاعم فى باريس تعد بالألوف يجدها الانسان حيثها توجه ، ومع ذلك لا يوجد للنباتيين فى باريس إلا مطعمان لاثالث لهما ، وهذا دليل على أن النباتيين لا يتجاوزون بضع مئات فى مدينة كاد سكانها يبلغون ستة ملايين .

ولكن كيف حال المطاعم النباتية ؟

الواقع أنها غير مغرية ، وأنا شخصيا لم أتردد عليها إلا بقدر ماأعد المستندات لهذا المقال ، وهي في الجملة خالية من كل أنواع الخر ولا يشرب الآكلون فيها غير الماء و نوع من عصير العنب غير المختمر وفي الخرمعني ليس في العنب كايقولون ، ولا يباح التدخين للآكلين والحبز جاف جدا لأنه على طبيعته الجافية لم تنزع منه النخالة ، والمائدة تتكون من الحساء والحضر اوات والبقول والفواكه والبسكوت وليس في هذه المطاعم خدم يو زعون الطعام على الزائرين وإنما يذهب كل امرى. ومعه ماعونه يأخذ فيه ما شاء من أنواع الطعام وهو طعام تغلب عليه « قلة الطهى » لخلوه من إدام اللحوم وهو كثير الأنواع و يختلف باختلاف الأيام ، والملح في هذه المطاعم كثير الأنواع و يختلف باختلاف الأيام ، والملح في هذه المطاعم

جريش غير مطحون. والآكلون في هذه المطاعم يتكلمون بعضهم مع بعض بدون تعارف خلافا للقواعد المتبعة في باريس حيث يعد ذلك نوعامن الفضول. ومواعيد الطعام يغلب عليها التبكير، فاذا ذهبت قبل الظهر بساعة مثلا وجدت الناس سبقوك إلى هناك وكذلك يبكرون في طعام العشله. والكامخ (السلاطة) يعطى بلا حساب وهو مصنوع من الكرنب والجزر والبطاطس والزيت والبصل. والمطعم في جملته تغلب عليه الصبغة الطبيعية ، وزوار هذه المطاعم غربا، في باريس حتى لتكاد تحسبهم من أهل ماقبل التاريخ!

لقد ذكرنى هؤلاء النباتيون بفقراء الفلاحين فى مصر ، فهناك عائلات فقيرة لاتعرف ما طعم اللحم إلا فى المواسم والأعياد، وهم مع ذلك فى غاية من سلامة الحواس ، وعافية الأبدان. فمن للفقراء الفلاحين من يفهمهم بأنهم فلاسفة من حيث لا يشعرون ٩

انما ينافق الضعفاء

تنصحني ياهذا بأن أجامل، وأن أصانع، بل تريد أن أنافق، ويحك، إنما ينافق الضعفاء

إن الله لم يخلقني لا كون ألعوبة ، أدارى هذا وأحاني ذاك ؛ أنا خير منكم جميعا ؛ بل سيدكم جميعا ، فانظروا ماتصنعون

イチール パーーチャ

أنا فى نعمة من الله ، لا أبالى بعدها أين يكون سخطكم ، وأين يكون رضاكم ، وإن الله لأكرم من أن يضطرني إلى مصانعة جماعة من الكسالى لاقيمة لهم فى هذا الوجود . لاتنصحونى وانصحوا أنفسكم ، حدثونا ماخطركم فى هذه الحياة العاملة ، التى نطق فيها الحجر وأنتم بفضل جهلكم صامتون ؟ ؟

إن فضيلة الوفاء هي التي تضطر مثلي إلى أن يجامل بعض الناس وسأعرف كيف أهجر الناس جميعا حين لايرضيهم غير النفاق! هذا هو فصل الخطاب: ألستم تريدون أنأنافق كما تنافقون فهكلا لن يكون ذلك: إنكم تنافقون لتعيشوا ، أما أنا فحي بالرغم منكم ، لأن الله لايريد أن أموت ، وسوف تعدون أغسطس سنة ١٩١٩

الحياة الحرة"

يذكرون أن السيدجمال الدين الأفغاني رفض مساعدة المصريين له وهم يودعونه إلى منفاه ، فلما ألحوا عليه أقنعهم بهذه الكلمة « أينها توجه الليث وجد فريسته » وقدكان السيد جمال الدين الأفغاني يستطيع مكاثرة (قارون) لوكان للمال عنده قيمة ، ولكنه (١) نشرت في جريدة الافكار في نوفيرسنة ١٩٢٧ كان رجلا يستقل الموت في سبيل الشرف ، فلم يكن عجبا أن يستقل في سبيله العدم والاقلال!

واليوم نسجل مانقل عن المستر لويد جورج من الرغبة الشديدة في الحياة الحرة، لأن في ذلك عبرة لأولى الأبصار: فقد جاهر الرجل الذي دوخ العالم بضع سنين بأنه مصطر إلى طلب الرزق، وصرح بأنه فقير ولا عارعليه في فقره إن عمل لسد حاجته من طريق شريف! سقط لويد جورج، ثم تأمل فاذا هو خالى الوفاض، ثم نظر حواليه نظرة الليث الجائع فاذا كل مافي الأرض من طعام وشراب قد لوثه الذباب، ففزع إلى قلمه يستصر خه فأمطره شآبيب الرزق الحلال!

اتفقت جريدة النيويورك تيمس والشيكاغو تريبون مع المستر لويد جورج على أن يقدم لهما كتابه « ذكريات الحرب » ليختصا بنشره في مقابل أربعين ألفا من الجنيهات يأخذها دفعة واحدة حين يسلمهما الكتاب!

ثم اتفقت معه بعد ذلك جمعية النشر الأمريكية على أن يكتب لها مقالات أسبوعيه تنشر في صحفها التي تزيد على ثلاثين صحيفة في مقابل سبعة آلاف وخمسائة من الجنيهات! ولكن مراسل النيويورك تيمس والشيكاغو تريبون خاطب هاتين الجريدتين حين علم بهذا الاتفاق: وسألهما أيدخل في مزايدة ويتفق مع المسترلويد جورج على ٢٥٠٠ أي بزيادة الف جنيه عن المبلغ الذي قبله من

جمعية النشر وهل له أن يزيد المبلغ إلى تسعة آلاف جنيه و لجاءه الرد بأن يحتج على هذا الاتفاق: لأن اشتغال لويد جورج بهذه المقالات يؤخر وضع كتابه ولأن ظهور هذه المقالات أسبوعياً قد يصرف الناس عن ترقبه فلما رفع المراسل اليه الاحتجاج كتب من فوره إلى الجريدتين خطابا طويلا جاء فيه:

«ماظننت لحظة أن العقد الذي وقعته يمنعني من نشر المقالات السياسية ، ولو رأيت فيه مادة من هذا القبيل لرفضته:فقد عولت بعد أن استقلت على الاشتغال بالكتابة في الصحف بغض النظر عن كتاب « ذكريات الحرب » ولقد خدمت الحكومة سبعة عشر عاما مم خرجت وأنا فقير فلم يكن بد منأن أكتسب بقلمي بعد ما وقفت ما سآخذه منكم على الصدقات »

هذا لويدحورج بطل انجلترا يودع رياسة الوزارة ويودع مها الجاه والمال، ليستقبل الحياة الحرة، وليفتح بقله ممالك عجزت عن فتحما الجيوش والاساطيل!! وهكذا يشغل العظماء عن أنفسهم حين يتولون المناصب الرفيعة، فاذا تخلوا عنها أصبحوا فقراء كانما يطرقون باب العالم من جديد، أما صغار النفوس فلهم من مصالحهم الشخصية شاغل عن مصالح الجماهير، والمناصب فرصة لحؤلاء يدخرون فيها الدراهم البيض لليالى السود وافتحوا أعينكم أيها الناس وتأملوا كيف عجز لويدجورج وقدملك المشرقين عن أن يدخر لنفسه وبدرة من الذهب » ينفقها حين يخونه الحظ، ويسلمه التوفيق!!

لا يخجل لويد جورج ولا يتحرج من أن يقول إنه فقير ، لأن الغنى لم يمنع آلاف الناس في انجلترا من أن يودوا بجدع الأنف لو أصبحوا فقراء على أن يكون لهم ما لهذا الفقير من مجد شامخ يعز على من رامه ويطول ، ولكن بعض الناس في مصر وفي غير مصر يخفى فقره ويسامى الأغنياء فيكون مثله كمثل الضفدعة التي راقها جسم الثور ، فأخذت تنتفخ عساها تصبح في ضخامته حتى بقرها الانتفاخ

ولئن حمدنا للمستر لويد جورج وقفته هذه فى وجه الحياة يطلب ما خلق له من السيطرة على الناس بآرائه الأدبية والسياسية بعد هيمنته عليهم هيمنة فعلية حين كان رئيسا لأقوى حكومة فى العالم الحديث ، فانا لنحمد للامة الانجليزية والشعوب الامريكية هذه الشهوة الحادة شهوة الاطلاع التى جعلت رسائل هذا الوزير عما يتنافس فيه المتنافسون ، حتى لتصبح شغلا لثلاثين جريدة لهن ما لهن من الدوى الشديد فى آذان الملايين من أحرار العقول!

لقد غلاكل شيء في الغرب حتى المداد ، ورخصكل شيء في الشرق حتى الدماء!! وإن قطرات من الحبر يسود بها لويد جورج وجه القرطاس لأعز منالا من الدم القاني يسفح في سهول الشرق وإن بكت له الأرض والسهاء

وبيدكم أيها الشرقيون كشف هـذه الغمة ومحو هذا الظلام، فلو شتتم أعززتهم نفوسكم، واغليتم دماءكم، ولن يمكلفكم ذلك أن تكونوا ناراً تلتهم القابسين والمستصبحين ، بل يكنى أن تكونوا نبتة مرة المذاق ينفر منها أولئك (الذين إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون)

اعملوا فى شبابكم بعض ما يعمل لويد جورج فى مشيبه ، واعلموا أن الأمم لاتحيا بالقيل والقال ، وكثرة السؤال ، وإنما تحيابا لأعمال العظيمة يقوم بها جبابرة المفكرين من حيث لا يبتغون الجزاء

الادب عند الاحياء

ذهبت لزيارة صديق فرنسى حجبه عنا المرض يومين ، فتجلد وأقبل يحيينى ويحيى رفيق الذى صحبنى إلى هناك ، و بعد لحظة هممنا بالانصراف ليعود إلى سريره الصديق العليل ، ولكن قادما طرق الباب ، ففتح له فاذا رجل فرنسى يكاد ينقلهالفرح إلى هذيان الجنون وهو يصيح:

ـــ اليك ياصديق بحموعة من (كانديد)و(جرنجوار) تقتل بها وحشة الليل إن أزعجك المرض وغاب عنك الانيس

وأقبل الصديق العليل على تلك الصحف يقلبها واحدة واحدة وقد تمشى البر. فى سقمه وعاوده الجذل والنشاط؛ وأخذالصديقان يتقارضانالثناء؛ وأخذرفيق يجاذبهما أطراف الحديث، أماأنافظللت مطرق الرأس أفكر فى حياتنا الأدبية وما ينتابها من خمود عندنا فى مصر أدباء ، ولكنهم لم يستطيعوا إلى اليومأن يشغلوا القراء بالأدب،وأن يصيروه من العناصر الضرورية لمقومات الحياة

فكيف اتفق ذلك مع كثرة الصحف وكثرة الكتاب؟

السبب واضح: ذلك بأن أدباءنا لما يعرفوا ان الأدب في صميمه ليس إلا شرحا لأهواء النفوس ، وشهوات العقول ، ونزوات القلوب، ومن أجل ذلك كان أدباء فرنسا أعز الناس على القراء ، لأن كل قارىء هناك يجد فيها يقرأ صوراً صادقة لمشاكله الروحية والوجدانية والعقلية . أما هنا فالأدب في جملته ثرثرة فارغة بعيدة أشد البعد عن حياة العواطف والقلوب والعقول ، لأن الحديث عن الوجدان طيش وخلاعة وبحون ، والحديث عن العقل زيغ وزندقة وإلحاد . وبهذا ينصرف الأدباء طائعين أو كارهين إلى الأدب الصورى الذي يتمثل في طنطنة الألفاظ لا في روعة الاغراض

ومن أشنع ما رزى به الأدب في مصر أن هناك طائفة من « المجددين » هم في أنفسهم حجارة صهاء ، وقد استطاع هؤلاء أن يفرضوا « أسهاء هم » على الناس ، ولكنهم لركودهم وجمودهم لم يستطيعوا أن ينقلوا أحداً من غي إلى رشد ، أو من هدى إلى ضلال. والأدب الصادق هو الذي يدخل على النفوس فيبدد ما كان فيها من أمن وسكون ، و يحولها إلى ميادين يصطرع فيها الحق والباطل ، والشك والبهتن .

وقد تسمعون أحيانا أن من المؤلفين الآوربيين من تقدم إليهم ثمرات مؤلفاتهم قبل أن يشرعوا في تأليفها . فاعلموا إذن أن الناشرين يثقون بخطر أولئك المؤلفين، ويعلمون أنهم سيطلعون على الناس وقد اكتشفوا آفاقا جديدة كانت مجهولة من حيوات النفوس الانسانية وكثير من الناس لا يعرفون أنفسهم ، وينتظرون من يدلهم على ما فيها من أصول الخير والشر ، والبر والعقوق ، والنفس دنيا ثانية فيها أزهار وأشواك ، وسهول ونجود ، وفيها كذلك مناطق. خطر ومناطق أمن ، وفيها أيضا عوالم شدة وعوالم رخاء

وفى اكتشاف ذلك العالم المجهول، عالم النفس الانسانية تتفاوت أقدار الكتاب والشعراء والمؤلفين، وخريطة ذلك العالم خريطة مطموسة لارسوم فيها ولا حدود، ويمكن أن يقال مع هذا إن رموزها سهلة الحل لأهل الصدق، أما المنافقون من أدعياء الأدب فهم عنها مبعدون. وهل جزاء النفاق إلا الحجاب عن مشارق النور الخالد، نور العقل المتمرد والقلب الخفاق؟

٣ سبتمبر سنة ١٩٣١

ذکری صدیق

كان مسلم بن الوليد يعجب من اتفاق اليأس والحنين ، وكنت أشاطره العجب ، فأترنهم بقوله :

حنین ویأس کیف یلتقیان مقیلاهما فی القلب مختلفان ثم أصبحت مؤمنا بهذا الاتفاق ، فلا أراه عجیبا ، فقد مات صدیق الشیخ حسین الحکیم منذ سنین ، وأمسیت یائسا من لقائه بل الطمع فی لقائه جنون ، ولکنی أحن إلیه کائه حی وأکاد أزوره فی منزله ، لانسی _ حین ألقاه _ همومی وأحزانی!!

والحق أني لا أريد الاقتناع بأنه مات ، فليس إلى الصبر على موته سبيل ، وإنما أغالط حسى ، وأخادع نفسى : فأتوهم تارةأنه على سفر ، وأن هذا السفر طويل ، وأتخيل تارة أخرى أن الموت لا حقيقة له ، وإنما ننقل من دار إلى دار كما قال أبو العلاء ،وأني سأجده في انتظاري حين أنقل إلى الدار الباقية ، فالى الملتقي ياصديقي العزيز!!

آمنت بالله ، فما أحوجني إلى الايمان وما أغنى الله عنى ، وعن. إيمانى ، وعن جميع العالمين ، وماذا يغنى الشك؟ إنه لايقف دورة الفلك ولا يحول بين القـــدر وبين تصرفه فى الـكائنات ، بالمحو الفلك ولا يحول بين القـــدر وبين تصرفه فى الـكائنات ، بالمحو

موالاثبات ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب!!آمنت بأن الله قوى ، وأن العبد ضعيف ، وآمنت بأن الله عزيز ، وأن العبد ذليل ، ولكن أليس لى فى ضعفى وذلى ، أن أطلب إمن الله فى عزته وقوته أن يهبنى الطمأنينة على مصيرى ومصير من أفقد من الأصدقاء؟!

☆ ☆ ※

ولد الشيخ حسين الحكيم في سنتريس ، من قرى المنوفية ، ثم سكن القاهرة ، والتحق بمدرسة القضاء الشرعى ونال منها شهادة العالمية ، ثم عين مدرسا بمدارس الجمعية الحيرية الاسلامية ، فقضى سنة في المدرسة الواصفية ببور سعيد ، وبضعة أشهر في مدرسة دسوق الثانوية ، وقضى نحبه هناك يوم الجمعة ٩ ربيع أول سنت دسوق الثانوية ، وقضى نحبه هناك يوم الجمعة ٩ ربيع أول سنت السبت ودفن بها مساء الاحد ، وسبحان من تفرد بالبقاء!

كان للفقيد أصدقاء ثلاثة ، ومازالوا أصدقاءه وإن حجبه عنهم التراب، أو لهم كاتب هذه السطور ، وثانيهم الاستاذ الشيخ حسن مامون قاضى محكمة زفتى الشرعية ، وثالثهم الشيخ مصطفى الجمل المحامى الشرعى ، ففكرنا بعد موته فى أن نوفيه حق الرثاء فى إحدى الجرائد اليومية ، فكتبت عنه أربع رسائل بعثتها إلى جريدة المنبر بولكنها ألقت بها جميعا فى سلة المهملات، إذكانت لاتعرف مانعرف

من مجد ذلك الصديق!! فضممت تلك الرسائل إلى صورة الفقيد، وإلىخطاب بعثه إلى من القاهرة ، وخطاب بعثه إلى من بور سعيد ووضعت هذه الذكريات في مكان حريز آملا أن يجيء يوم أسجل فيه هذا الأثر الغالى ! فلما كانت الثورة المصرية وجاً. دورى فى الاعتقال؛ لم يكن همي حين زارني في منزلي مأمور قسم الدرب الآحر إذ ذاك المرحوم محمد بك فرج إلا أن آخذ معى إلى المعتقل ما بقى من آثار الشيخ حسين الحكيم لتكون أنسى فى وحشــــة الاعتقال! فلما عدت وضعتها في مكانها من جديد ، وصرت أتردد إلها كما يتردد العابد إلى المحراب، ثم فتش البوليس منزلي في الصيف الفائت فبعثر هذه الأوراق ، فأعدتها إلى مكانها مرة ثالثة ، ولكن البوليس عاد ففتش منزلي في الاسبوع الماضي ، فعزمت نهائيا على نشر هذه الآثار في كتاب البدائع لأقوم لصديقي الراحل ببعض ما يوجب الوفاء

كان صديق الشيخ حسين لايرسل إلى خطابا إلا ابتدأه بوصف ما أرسل إليه من الشعر ، أو النثر ، ولوكنت أرى رأيه فى شعرى ونثرى لنشرت ما بعث به إلى من آيات الثناء ، ولكنى أرجوه أن ياذن لى بطى هذه الصحيفة فقد لاتهم القراء ، وأكنى بنشر ما يمثل سمو نفسه ، وصفاء روحه ، ورونق أدبه ، وجمال خلقه . . فمن ذلك خطاب بعثه إلى بتاريخ ٥ ما يو سنة ١٩١٨ جاء فيه .

(أخي القد حالت بيني وبين الانتفاع بآثار قلمك، والتمتع

بمكنون نظمك ونثرك ، ضرورة حياتى الجديدة التى أنستنى كل شىء — ما عدا صداقتنا الوطيدة الأركان المتينة الدعائم — وما كان بودى شهد الله ولاعن رضا ، ولكنها الحياة تشغل المرء عن نفسه و تلهيه عن واجبه ، وكان ما كان

والآن ، هل لأخى أن يفتح لى قلبه ، ويحلنى من نفسه المحل الذى كنت أشغله من قبل ? وهل أجد من كريم أخلاقه ، ولطيف عفوه ، وجميل رعايته ، وحسن عطفه ، ما يشجعنى على إحياء حب دفين ، وغرام مستكن ، كاد يقضى عليه الاهمال ، ويسحب ذيل العفاء عليه النسيان ، ويذهب برونقه وبهائه باطل هذه الحياة الفانية ?

إنك إذا فعات ذلك ياسيدى _ وأظنك فاعلا _ تكون قد أحسنت إلى إحسانا لا أزال أذكره ، حتى يعتاق نفسي حمامها ، ويهال عليها ترابها ، وضممت هذه الى نظير اتها _ وهي كثير عندى _ بل هي كنزى الثمين ، أحرص عليها حرص البخيل بماله ، والعفيف بعرضه _ هي سلواى في هذه الديار النائية ، والبلاد القاصيه ، إذا ذكرتها ذكرت نعيمنا الماضي وعزنا الغابر وهنامنا السالف

يوم كنا ولا تسلكيف كنا نتهادى من الهوى ما نشاء نعم تصرم حبل ذلك الزمان السعيدو خلفه آخر أسودمن الغراب وأمرمن الصاب، يصدق فيه قول الشاعر:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب.

لولا أنه أراد الانسان وأردت الزمان، فكلاهما غادر ما كر لا يؤمن كيده، ولا يتقي شره، ولا رعى الله حياة التدريس لأطفال حمر الحواصل، لا يحسنون النطق، ولا يفرقون بين التمرة والجمرة ولا بين الألف والمأذنة، حياة شبيهة بالموت، تمسخ العالم جاهلا، وتقلب المفكر غبيا، وترجع بالمرد إلى مافيدل الآن بعشرات من السنين. فتجاوز عما تمر به في كتابي من أشياء لاترضيك، فهذه إحدى سيئات الدهر إلينا!!)

وفى هذا الخطاب كلمة قاسية فى وصف بور سعيد إذ يراها « قطعة من أوربا فى الآخلاق والنظام والعادات » وقد رأيت التجاوز عن هذه الكلمة ، مراعاة لعواطف أولئك الناس ، فقد تكون الغربة أثرت فى ذلك الاديب فقال ماقال

ولا أنسى أنه أجزل الثناء على صديقيه الشيخ محمد طاهر سمره ومحمد افندى بهجت ولعلهما كانا زميليه فى المدرسة الواصفية، وأحب أن يتنبه القارىء إلى أن فى القطعة التى نقلتها من خطابه دليلا على شعوره بأن أجله قصير، وقد لفتنى إلى ذلك حضرة صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى القاياتى حين أسمعته هذا الخطاب فى سنتريس وكان شرفنى بالزيارة هناك

وقد أرسل إلى من مصر خطابا رقيق الحاشية ، استهله بهذا البيت

سلام الله لاأرضى سلامى فكل تحية دون المقام

وفى هذا الخطاب كلمة عن رأيه فى التسرع بالزواج، ننقلها بنصها لأهمية الموضوع الذى كتبت عنه . قال :

« وكنت أتمنى من صميم الفؤاد أن يسعدنى الحظ فأنعم برؤية ذلك المهرجان الذى أقامه حضرة الوجيه السيد عبد الحميد مبارك احتفالا برفاف نجله الاديب الشيخ على مبارك لأقوم بو اجب التهنئة ولأوجه اليه بعض اللوم على تسرعه فى هذا الزواج ، فانت تعلم ياأخى أن للشبان أطوارا مختلفة فى حياتهم ، تتكون حسب تربيتهم التى خصصوا أنفسهم لها . وربما رضى الشاب بعمل اليوم لقصر نظره وصغر عقله ، حتى إذا دخل فى طور جديد من أطوار حياته تحول فى عينيه نعيم هذه الدنيا إلى شقا . ورضاه إلى سخط ، ويندم ولات ساعة مندم !!»

وآخر خطاب وصلنى من هذا الصديق جاءت فى ختامه هذه الكلمة :

«أنا سعيد بالاقامة في مصر ولا ينقصنى إلا التمتع بلقياك فآمل أن يسمح الدهر برد نعيمنا الشارد وأنسنا الغابر؛ فأين ذلك اليوم ومتى أراه ؟ »

وهنا يعجز القلم عن رد هذا الخطاب، فقد سمعت أن هذا الصديق مات فى ديسمبر سنة ١٩١٨، وعلمت بعد ذلك أن شقيقه الاستاذ حامد افندى الحكيم مات فى أسيوط فى أو اخرالسنة الماضية ١٩٢٢م

وقد كان حامد افندى غزير العلم، شهى الحديث، وكائل. أحاوره الآن على شاطىء النيل فى سنتريس، وكنت أتعزى به عن شقيقه الشيخ حسين، ولكن الدهر بالكرام ضنين شهابان منا أوقدا ثم أخمدا وكان سناً للدلجين سناهما

لقدساً في أن عنست زوجتاهما وأن عربت بعدالوجي فرساهما ولن يلبث العرشان يستل منهما خيار الأواسي أن يميل غماهما

مومس تستبق الخبرات

قرأت كلمة لمراسل احدى الصحف اليومية يذكر فيها أن. مومسا ببندر دمنهور طلبت من وزارة الأوقاف التصريح لها ببناء مسجد سيدى ضحوة الخرب ، على نفقتها الخاصة ، ولما كانت موارد رزق هذه المرأة (معروفة) فقد رفض الطلب بادى و ذى بدم ، لولا أنها جددته وقدمت إعلاما شرعيا يفيد حيازتها بالميراث الشرعى أملاكا ثابتة ومنقولة . فوافق المفتى على طلبها وشرعت فى البناء . قال المراسل وزادت تلك المومس على ذلك أن وقفت جميع أملاكها على بناه و ترميم و تصليح كل مسجد خرب فى دمنه و ره و المساجد الخربة فيها كثيرة

ثم علق هذاعلى النبأ بقوله: كان لاتيان هذه المومس عملا خيريا

كهذا صيحة دهش وعجب في نفوس الجميع: فكنت ترى في الآندية والفنادق وفي مشارب القهوات جموع الحاضرين يتساءلون ألا يوجد في المدينة غير المومس! فكان المنظر مؤثرا جدا يبعث على الحزن العميق، وينم على مبلغ تأصل الحقد في النفوس، ويؤجج في القلوب نارا لا يخمد لها لهيب. في اللعار و ياللفضيحة ، و يالشقائك يادمنه ور !!

杂 杂

هكذا يتحدث الناس حين تقوم امرأة فاجرة أو رجل فاسق بعمل جليل ، ولعل أكثرهم ثر ثرة فى مثل هذه الشؤون هو أعداهم للبر وأبعدهم من المعروف!! إنكم لاتستنكرون أن يخبث الطيب ، كا تستنكرون أن يخبث الطيب ، كا تستنكرون أن يطيب الخبيث . ولكن الله فى رحمته لم يشأ ان يترك العالم لأحكامكم الجائرة ، وعدوانكم الفظيع ، فقال وهو أصدق القائلين (إن الحسنات يذهبن السيئات) وقال (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف)

المحدث حافظ ابراهيم

بمناسبة سفره إلى وادى الخلود

قضى الأمر، ولا راد لقضاء الله، وأصبح حافظ ابراهيم فى ذمة التاريخ

وأول مانقاسيه بعد فقده هو الوحشة الآليمة التي تساور نابوفاة رجل مهذبكان يصافى كل من يعرفه من الناس وكان لقاؤه تحية خالصة لاتعرف التصنع ولا الرياي، وكان الادباي في صدره إخوة وأبناء، يعزه جميعا ويوليهم من إنصافه و تشجيعه مايندر أن يوجد له نظير عند أكثر الشعراء. وكان متواضعا أجمل التواضع، وكان في تواضعه يقوم أغلاط محدثيه في لطف و رفق ، ثم يشير عليهم بمراجعة القاموس، لينفي عن نفسه التثبت ، وهو بذلك يريد أن يكون موقفه موقف المشير لامو قف الاستاذ، ولفد أذكر أنه لقيني مرة فاستنشدني ميثا من شعرى فأنشدته قصيدة ختمت بهذين البيتين:

یامن یعز علینا أن نجازیهم صدًّا بصد و إغضاء باغضاء نوترحمون وصلتم شیقاکلفا آلتی جفاکم علیه ألف بأساء ونطقت کلمة (یعز) بکسر العین ، فقال رحمه الله : یظهر یامبارك م - ۱۲ بد - ج۲ أنه يحسن أن تنطق (يعز) في هذا الموضع بفتح العين ، لأنها بمعنى يشق ، وهي بالضم بمعنى يغلب ، وبالكسر معناها صار عزيزا ، ومع هذا فأرجوك أن تراجع القاموس ، وقد راجعت القاموس يومئذ فرأيتني على صواب ووجدت فيها لغتين الكسر والفتح ، ومع هذا استفدت من كلامه رحمه الله فائدتين : اللطف في تقويم المحدثين ، والشعور بقيمة الدقة في نطق الألفاظ ، فاني مع اعترافي بأن (يعز) بمعنى يشق تفتح عينها وتكسر أصبحت أميل إلى بأن (يعز) بمعنى يشق تفتح عينها وتكسر أصبحت أميل إلى إيثار الفتح ليصح التمييز بالحركات بين المعانى الثلاثة ، وكذلك كان رحمه الله يميل إلى تنويع المدلولات وفقا لتنويع حركات البناء

* *

ليس يهمنى فى هذا المقال رثاء حافظ لآنه أعز علينا من أن يودع بالبكاء ، ولكن يهمنى أن أذكر الخصائص الآدبية لحياة ذلك الشاعر العظيم ليكون فى ذلك خدمة لمن يريدون الكتابة عنه من الباحثين

وأول ميزة لحافظ أنه كان «محدثا» وكلمة محدث في هذا الموطن تماثل الكلمة الفرنسية «كوزير » والحديث نوع من الأدب الرفيع ولا يحسنه إلا الأقلون ، وقد كان حافظ محدثا بكل معنى الكلمة كما يقولون ـ فاذا صادفك في الطريق ألهاك حديثه عن نفسك وعما تقصد اليه ، وأذكر أني ماصادفته مرة في الطريق إلا ألهاني وشغلني

بأدبه نحو ساعة أو يزيد، وكنت في جميع المرات أجد مشقة في صرف نفسي عن حديثه لأمضى إلى حيث أشاء ، أما مجالسه فكانت جنة دانية القطوف، كان يجلس فيتحدث في ظرفو لباقة ، ويتنقل من فن إلىفن ، ومن حديث إلىحديث ، وهو فى ذلك يمزج الحلو بالمر والجد بالهزل، و يحول الجالسين إلى آذان مرهفة. وقلوب واعية وأحلام تكاد من طرب تطير، والخرالتي وصفوها بأغرب الأوصاف لا تفعل بالنفس ماكانت تفعله أحاديث حافظ ابراهيم ، ولقد لقيته مرة في المساء فاحتجزني بالقوة في مشرب نيوبار ، وانطلق يتحدث وكنت من لحظة إلى لحظة أقول: أعفني ياحافظ بك، أنا عندي الحصة الأولى، وأنت لاتعرف ماالحصة الأولي عند المدرسين! وهو فى كل مرة يقول: اسمع هذه فقط! ثم انصرفت وأنا أوقن أن الدنياكلها بما فيهامن حصة أولىوأخيرة لاتساوى لحظة في حضرة حافظ ابراهيم ، فيارحمتا لمن صرفتهم الشواغلأو المقادير عنأجاديث حافظ ابراهيم ، فان هؤلا. حرموا من خير كثير ، ولم يعرفوا شيئًا قيما عن حافظ، لأن شعره و نثره لا يقاسان إلى حديثه، فان له أمثالًا ونظائر في الشعر والنثر، ولكنه كان في حديثه منقطم النظائر والامثال

كانت أحاديث حافظ ابراهيم ترجع إلى أصلين : أولهما روائع الأدب العربى ؛ وثانيهما ما اخترعه أو سمعه من الطرائف المصرية.

اما الأصل الأول فكان أبلغ دليل على أن حافظ بذ معاصريه جميعا فى الاطلاع على ذخائر الأدب العربى، وأعيذ القاىء أن يظن أن أحاديث حافظ كانت كلها نكتا وفكاهات، لا، فقد كانت أحاديث حافظ روايات ممتعة شائقة خلابة من الهزل البارع والجد الرصين، وكان يحفظ كثيرا من القصائد والمقطوعات والآبيات، واسمه (حافظ) منطبق على حياته الأدبية أنم الانطباق: وقد كانت كلمة (حافظ) لقبا عند المتقدمين على من يحفظ جملة كبيرة جدا من الأحاديث الصحيحة، ولقب بها كثير من الأثمة والمجتهدين، وكذلك كان حافظ ابراهيم فى الأدب، فقد كانت محفوظاته تعد بالألوف، وكانت لاتزال ماثلة فى ذهنه على كبر السن وطول العهد، بحيث لا يمترى إنسان فى أن هذا الرجل كان من أعاجيب الزمان

وقد حدثنى رحمه الله أن فى نيته أن ينشركتابا يختار فيه لكل شاعر بيتا واحدا ، وأنه جمع أصول ذلك الكتاب فبلغ بضعة آلاف ثم أخذ يذكر الشواهد ، وأشار إلى أنه اختار لاحد الشعراء هذا الميت :

ولا بد لی من جہلة فی وصاله

فهل من حليم أودع الحلم عنده

ثم أخذ رحمه الله يعجب بسحر هذا البيت ، فقلت له : ليست هنا مشكلة كما يظن حافظ بك ، فقال وكيف ؟ فقلت : الخطب سهل يترك حلمه عند البواب !

فقهقه رحمه الله قهقهة عالية وقال: صدقت، فان البوابين أحلم الناس! أثم اندفع يحدث عن (سماحة) البوابين!

وكانت أحاديث حافظ تذكر بما قيل: إن الناس يختارون، أحسن ما يقرأون، ويحفظون أحسن ما يختارون، ويتحدثون بأجمل ما يحفظون به فاذا شئت الأدب فخذه من أفواه الأدباء بوكذلك كانت أحاديث حافظ تفيض بالأدب المتخير الجميل، وكانت أقوى حجة على غنى الأدب العربى وقدرته على إمداد الأديب بما يحتاج اليه فى شتى الفنون، وقد لاحظت أنه كان يحفظ أشعارا كثيرة بجهولة طويت فى بطون المخطوطات واستقر علمها من ذاكرته فى حرز حريز، وكان يحفظ كذلك نتفا كثيرة جدا من الكلمات النادرة التى تدل على بلاغة أو عقل أو وجدان فكان يقف رحمه الته عند الكلمة يختبرها اختبارا دقيقا ثم يضيفها إلى محصوله الوافر لتكون من عتاده حين يفتتح الحديث

وقد كنا نقرأ أن بعض المحدثين القدماءكان يصاحب الأمراء أعواما طويلة فلا يعيد حديثا واحدا وإن طال الزمان، فما كنا نصدق ذلك ، فلما رأينا حافظ وشهدنا كيف يتحدث كل يوم بفن جديد عرفنا أن ذلك من المواهبالتي لا تمنحها العناية إلا لقليل من النامغين

ومن الواجب أن نقرر أن نشأة حافظ ساعدت على تفوقه فى الآداب العربية ؛ والنشأة هنا لا أريد بها غير العشرة الصالحة التى

وفق اليها حين اتصل برجال الآدب الممتازين مثل محمد عبده ومحمود البارودي وسيد المرصني، ومن اليهم من الرجال الأبرار الذين كانوا يؤمنون بان اللغة العربية من أرقى اللغات ، وأدبها من آسمي الآداب ، وهذا حق فان اللغة العربية ظفرت في ماضيها بما لم تظفر به لغة من اللغات الحية ، فقد دخلت اليها العبقريات من كل جنس عن طريق الاسلام، وجمعت بين ثقافات مختلفة في آسيا وأفريقيا وأوربا ، ونكالها من الحظ مالم تحظ بمثله الفرنسية أو الانجليزية في العصر الحديث، وذلك أن الفرنسية والانجليزية على حظهما من الرواج لم يكتب سهما من الاجانب عن فرنسا وانجلترا إلا عدد ضئيل جدا ، أما اللغة العربية فتغلغلت في أقطار كثيرة اجنبية شم حولت أولئك الأجانبءنها بفضل الاسلام إلى جنود مخلصين يكتبون بها ويؤلفون ويصنفون ، فكان من ذلك أن ظفرت العربية بكنوز غنية من عبقريات الأمم المختلفة ، وكان لها من جهودهم غنا. أي غناء

وهذا الذي نقوله لاتحيز فيه ، ولكنه الحق ، وللقارى أن يتأمل هذه الفكرة فسيراها من صميم الصواب

أولئك الأصدقاء العارفون بقدر اللغة العربية وجهوا حافظ وجهة صالحة حين غرسوا فيه الميل إلى التعمق فى الأدب القديم فكان له فيه معين من الرواية لا ينضب ولا يغيض، وكذلك كان من أعرف الناس بما أبدع الأولون

أما الاصل الثاني لاحاديث حافظ وهو الفكاهات المصرية فيرجع إلى فطرة حافظ، وكانت شعبية تمت إلى روح الشعب بأمتن الأواصر والأسباب، والشعب المصرى شعب طرب وجذل وافتنان في ضروب اللهو والمجون ، وكان حافظ يتلمس مساقط النكتة في المشارب والقهوات، ويسره أن يكون له من أدب العامة بحموعة صالحة يتندر بها عند الخواص حين يشاء. والعامة في مصر أدباء بالسليقة ، وحكمتهم في جهلهم تذكر بأعرابالبادية الذين كانوا ينطقون بالقول الفصل وهم جهلاء، وقد استطاع حافظ أن يتخلص من قيود الصنعة وهويستمع إلى العوام ، لأن هؤلاء ليسوا بفنانين ولكنهم يرمون بالكلمات القصيرة فيمثلون بهاعواطفهم ونوازعهم أصدق تمثيل. وفي أدب العامة صدق وصراحة وإشراق، لأنه يصدر عن النفس في غير تكلف و يعبر عن مشاعر أصحابه في جلا. وكان من هم حافظ أن يسمر عند الخواص المصطفين من أعيان المصريين ، فينقل اليهم من حكمة العامة أمثال ما كان ينقله الأصمعي من حكمة الاعراب في مجالس الخواص ببغداد

أضيف إلى هذا أن حافظ كانت له شيعة كبيرة جدا من عشاق النكتة المصرية ، وكانت له خلوات وصبوات تحتاج إلى ذلك الهزل الطريف ، وما كان رحمه الله يتورع عن مصارحة أصفيائه ببعض الألفاظ والتعابير التي تقع له أو لغيره في أوقات العبث والمجون وكان هو نفسه يتفق مع بعض أصدقائه على خلق أسباب النكتة ،

وله فى ذلك نوادر يحسن طيها عن القراء مراعاة لبعض التقاليد واذكر أنه حدثنى مرة عن مشكلة أثارها فى بعض المنازل وقد استدعى أحد الاطباء المعروفين وزج به فى ورطة (فنية) صارت بعد ذلك مورد فكاهة لمعارف ذلك الطبيب

وكان حافظ مع هذا يخلق النكتة خلقا حين يعز عليه النقل: من ذلك ماحدثنا به أن أحد رؤساء الأقلام كان له حاجب، واتفق أن الحاجب أخبر محدومه أن برقية جاءته بوفاة أبيه، وأنه لذلك فى حاجة إلى إجازة ، فنحه رئيسه الاجازة ، وبعد ذلك عاد الحاجب فطلب إجازة لآن برقية جاءته بوفاة أبيه ، فمنحه رئيسه الاجازة ، وبعد عامين التمس الحاجب إجازة لآن برقية جاءته بوفاة أبيه ، فمنحه رئيسه الاجازة ، وقد فهم الحاجب من هذا أن رئيسه ينسى مافات ، وبعد مسدة طلب إجازة لآن أمه ماتت ، فمنحه رئيسه الاجازة ، وبعد عامين طلب إجازة لآن أمه ماتت ، فمنحه رئيسه الاجازة ، وبعد عامين طلب إجازة لآن برقية جاءته بوفاة أمه ، فصرخ وبعد عامين طلب إجازة لآن برقية جاءته بوفاة أمه ، فصرخ

« قد أفهم أن يكون لك أربعون أبا ، ولكن لا يمكن أن يكون لك إلا أم واحدة!! » فأسقط في يد الحاجب وفهم أن رئيسه يعد عليه أسباب الاجازات!

وكان يقبل على جليسه فى نشاط عجيب فيتكلم بكل نفسه ، ويسد على جليسه منافذ الحلاص من المجلس إذا طال ، وكان أحيانا يتعب من القصص فيقول فى كل مرة : هذه آخر نكتة أقولها ، وتكون هذه النكتة الأخيرة واحدة من خمسين بقصها بعد أن تبدر عليه أمارات الملال

وليحذر القارى. أن يظن أن حافظ كان على هذا « مهرجا » م معاذ الأدب أن يكون ذلك ، وإنما كان حافظ « محدثا » على نحو مأكان الجاحظ فى قديم الزمان

وقد نفعه مذهبه عند كبار الرجال ، وأذكر أنه ذهب مرة إلى . المغفور له سعد باشا وكان رئيس الوزارة وكتب إليه هذين البيتين. قل للرئيس جزاه الله صالحة

بأن شاعره بالبـــاب ينتظر

إن شا حدثه أو شا. أتحفه

بكل نادرة تروى وتبتكر

أوكما قال ، فقد اجتذبت هذين البيتين من الذاكرة بجهادعنيف والمؤكد هو عبارة « إن شاء حدثه » وفيها تصريح بما كان يفهم حافظ عن نفسه من حسن الحديث ·

وقد تعلق به سعد باشا فی أخریات أیامه تعلقا شدیدا ، وکان سعد باشا من الادباء الفحول ، فکان یروقه أن یستمع إلی أحادیث م – ۱۷ بد – ج ۲

حافظ الحلوة الشهية ، وقد اجتذبه فى العام الذى توفى فيه الى مصاحبته فى مسجد وصيف ، وقد سألت المرحوم حافظ عما اشترطه على سعد باشا فى تلك الصحبة فابتسم وقال : اشترطت أن أبقى دائما فى البيجامة كيفما كانت الظروف ، ثم سكت لحظة وقال الااذا اقتضت الحال أن نستقبل بعض السفراء!! وهذه الحكاية ملما حواش لاتكتب وهى تدل على مبلغ ما وصل اليه من امتلاك وقلب المرحوم سعد باشا

وللقارى أن يثق بأن الصلات التى ربطها حافظ مع كبار الرجال افى مصر من أمثال سعد زغلول و أحمد حشمت و محمد عبده و محمد محمود ، يرجع الفضل فيها أولا الى صفاء نفسه وظرف حديثه موعذوبة لسانه ، لانه كان فى حديثه أشعر منه فى قصيده ، وكان الصوته رنات مقبولة جدا على قوته وجهارته ، وتلك مزية تفرد بها ابين أدباء العصر الحديث

انتفع حافظ بحلاوة حديثه أجزل النفع ، واستطاع أن يتخلص من قيود وظيفته تخلصا تاما ، فكنت لاتراه فى دارالكتب المصرية الا زائرا ، ولم يستطع الاستاذ لطفى بك السيد أن يحتجزه فى تلك الدار الا فى اللحظات التى كان يحتاج فيها لمعاونته عند مراجعة ترجمته الكذاب الاخلاق

وكان رحمه الله يخرج من بيته فيظل يتنقل من ناد الى ناد ومن مشرب الى مشرب ومن منزل الى منزل باحثا عن أصفيائه الذين ألفوا ما ينفحهم به من طيبات الأحاديث

وأشهر المشارب التي كان يغشاها حافظ بار اللواء ونيوبارحيث يجلس الأدباء المتقاعدون الذين أخلدوا الى السكينة بعد أن كانوا أنشط من الجن وأخطر من النسار، وفي يقيني أن تلك المشارب ستشعر لفراقه بوحشة أليمة ، وسيذكر السامرون أن نديمهم غاب وأن أنسهم مضى وراح!

* *

لقد كانت الدنيا ضيقة على حافظ، وكان يتلمس الخلاص من همومه في لقاء اخوانه ، فليؤنس الله وخشته فى قبره ، وليجزه عن أدبه ووفائه أطيب الجزاء!

وبعد فلحافظ مكانته فى الشعر والنثر ، وهو فيهما من الأئمة المقدمين ، وسيحرص قوم على درس شعره و نثره ، وسيجمع له من ذلك مجلدات إن صحت نية المتأدبين ، فهل من إخوانه وأصفيائه من يسارع الى وضع كتاب عن أحادبث حافظ قبل أن يتصرم الزمن و يعنى النسيان على مابتى منها فى أذهان أولئك الأصفياء ؟

لقد فكر ناس فى جمع نكت البابلى ، ثم انصر فوا و نسوا ، فليتهم لا ينسون هذه المرة حتى لا تصح داءًا كلمة شوقى فى موكب أم المحسنين نسيت روعته فى بلد كل شىء فيه ينسى بعد حين ٢٩ يوليه سنة ١٩٣٢

خطر مدد الثقافة المصرية

الحكومة وشهادات كلية فكتوريا

وقع فى هذه الأيام حادث لم يلتفت الناس اليه إلا قليلا، ثم شغلتهم عنه توافه الحياة اليومية. وقد علمتني التجارب ومعاشرة الأجانب من أوربيين وأمريكيين أن المصرى وحده هو الذي يغفل عن التفكير في مستقبله ويهتم بمشاكل الساعة الحاضرة أما الأجانب الذي عرفتهم فلا يخطون خطوة إلا وهم يقدرون ما سيكون لها من نفع أو ضر بعد خمسين عاما ، ومنهم من يقدر نتائج الأعمال بعد قرن أو قرنين من الزمان ، وينبني على هذا أن الفرد منهم لا تهمه صفته الفردية إلا في حدود المعاش، ولكنه فيما عدا ذلك أسير لصفته القومية ، فهو انجليزي أو فرنسي أوأمريكي ، أعني أنه ينظر إلى الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية كرجل يمثل أمته في مختلف الشؤون، أما المصرى فيضيق صدره حين تسأله عن. نتائج عمله بعد عشرين عاما ، لأنه تعود التفكير في النفع المباشر الذي. يجنى ثمره بعد عام أو عامين

وعلى هذا الآساس فكر الانجليز فى المستقبل البعيد حين حملوا الحكومة المصرية على منح شهادات كلية فكتوريا جميع الحقوق. التى يتمتع بها حملة البكالوريا المصرية ، وفى ظنى أن الانجليزوصلوا إلى ذلك بلاعناه ، لأن الوزراء المصريين يصعب عليهم تقدير مالتلك المنحة من العواقب المشئومة التى سنبينها للقارى ، فى هذه الكلمات وقد يكون من القراء من خلا ذهنه من مشاكل التعليم ، فمن الخير إذن أن نوضح هذه المسألة بعض التوضيح فنقول :

الذى درجت عليه الحكومة المصرية منذ أزمان يتلخص فى أن الشهادات الأجنبية لانعطى لحامليها حق التوظف فى مناصب الدولة إلا إذا ظفر بالبكالوريا المصرية ،وهذه ظاهرة تبدو بسيطة ولكنها مهمة جدا من حيث النتائج: فإن اشتراط البكالوريا المصرية معناه فرض الثقافة المصرية على جميع لموظفين ،والموظفون حين تتوحد ثقافتهم الأساسية يكونون هيئة متجانسة متقاربة العواطف والأهواء والميول ، والثقافة الأساسية تتكون من التعليم الابتدائى والثانوى أما التعليم العالى فتتكون منه فى الغالب ثقافة عالمية تمتاز بسموها عن الصبغات الطائفية والقومية ، ومن هنا فكر كثير من المصلحين فى أن المسبغات الطائفية والقومية ، ومن هنا فكر كثير من المصلحين فى أن المسبغات الطائفية والقومية ، ومن هنا فكر كثير من المصلحين فى أن يتعلم الشبان فى الخارج إلا بعد إنمام الدراسة الثانوية

إذا فهمنا هذا أدركنا الخطر الذي يهدد الثقافة المصرية من منح شهادات كلية فيكتوريا الانجليزية مزايا البكالوريا المصرية، فأن الانجليز لن يهتموا مطلقا ببث الثقافة المصرية في كلية فيكتوريا بالاسكندرية وما سيلحق بها من معاهد وكليات في الأعوام المقبلة، وإنما يعنيهم أولا وقبل كل شيء نشر الثقافة الانجليزية ، لا سيها

وقد استطاعوا أن يستلينوا حكومة صدقى باشا فيظفروا بمنحة ظلوا يتطلعون اليها السنين الطوال

والمصريون ينسون سريعا، وقديكون فيهم من يذكر ماصنعه المستر جورج لويد حين ضاق صدره بتفوق المدارس الفرنسية في مصر، فقد ذهب ذلك الانجليزي المستعمر واستنهض الجالية الانجليزية بالاسكندرية وجمع منها على قلتها ما يقارب المائة ألف جنيه في جلسة واحدة ليقوى كلية فيكتوريا ، وذهب يومئذ في صحبته وزير مصرى مستول فخطب بالانجليزية — والعياذ بالله ليعضد ذلك المشروع الخطير

والآن — بعد هذه الصدمة — لننظر ماسيكون في الغد، ولسنافي حاجة إلى منجم ولاعراف ولابديهة كبديهة وزير المعارف لنتنبأ بما يخبئه الغد، فان هذا معروف موثوق به منذ هذه اللحظة وإلى القارىء البيان:

سيتوجه فى الغد القريب جدا سفرا، الدول الاجنبية ليطلبوا لمدارسهم نفس الحقوق التى أعطيت لكلية فيكتوريا، وسيحرص وزير فرنسا بنوع خاص على كسب هذه الحقوق الآن الفرنسيين أكثر الاجانب مدارس ومعاهد فى هذه البلاد، ويومئذ تقف الحكومة المصرية بين نارين: نار الرفض و نارالقبول، فانرفضت كان معنى ذلك أنها حكومة متجلزة تخص الانجليز بالطيبات صدقا أورياء وإنقبات كان معنى ذلك أنها تصوب السهم طائعة إلى الثقافة المصرية

فانظروا فی هذا و أفتونا یا کتاب مصر و یامفکریها ، أوفلینظر فی هذا و زیر المعارف و مساعدو ، و وکیله و سکر تیره و جمیع من أقلت و زارة المعارف من مقتشین و مراقبین ، ثم لیدلونا علی مستقبل الثقافة المصریة الذی نخشی علیه ألعن الاخطار

قد يقول فريق من خلق الله : وما الذى يمنعنا من الحرص على ثقافتنا بايثار المدارس المصرية على المدارس الأجنبية ؛

ونجيب بأن التجارب علمتنا أيضا أن المصرى مغرم بالزهو والخيلاء، ومن أدلة ذلك ماصنعته كلية العلوم، فقد عبنا عليها إيثار اللغة الانجليزية على اللغة العربية ، ثم تبينا أن مدرسيها فرحوا بهذه التهمة أشد الفرح، وذهب وكيلها المصرى المتعلم يلتى محاضراته العامة بالانجليزية ، مع أن المحاضرات العامة لم تقررها الجامعة المصرية إلا رغبة في تثقيف الجمهور الذي لايتسع وقته لسماع المحاضرات في الكلية ، فمن الذي أخبر وكيل كليه العلوم أن الجمهور لايفهم بغير الانجليزية!

اقرأوا هذا أيضا أيها الناس واشرحوا معناه ، أما أنا فأفهم أن. وكيل كلية العلوم يسره جدا أن يقال إنه يتكلم الانجليزية كأهلها كما كتب المقطم ، وفى هذا الكفاية كل الكفاية ، وعلى القومية العفاه!

بقى مخرج واحد من هذا المأزق ، وعلينا أن نفكر في مثل. هذا المخرج ، لاننا لاننتظر من مثل صدقى باشا أن يسترد هبة أسداها إلى كلية انجليزية ، ولا ننتظر مطلقا أن يتعذر على المدارس الأجليزية من الأجنبية الوصول إلى مثل ما ظفرت به المدارس الانجليزية من مساوات شهاداتها بالشهادات المصرية : وذلك المخرج هو تقييد تلك المنحة بقيود تعصم الثقافة المصرية من الضياع ، فعلى الحكومة أن تشترط احترام اللغة العربية في تلك المدارس فيكون لها برنامج عائل للبرامج المصرية ، وعليها أن تفرض أن يدرس التاريخ والجغرافيا وما يماثلهما من أنواع الثقافة العامة باللغة العربية ، فان لم تفعل الحكومة ذلك — وأخشى أن تجبن — فستكون النتيجة أن تقبر الثقافة المصرية وأن يكون شبان المستقبل موزعين في أهوائهم ومشاربهم وطبائعهم بين متجلنز ومتفرنس إلى آخر ماسترمينا به الاقدار من نكبات الانحلال

وأنا بعدهذا أهيب بالكتاب المصريين أن يعطوا هذه المسألة حقها من العناية ، فلست فيها متشائما ، وإنما أتكلم عن يقين ه معبان سنة ١٣٥٠

إكه الحب وإكمة الجمال

فى أساطير الاولين

كانت أفروديت أو فينوس تعبد على أنها إلهة النور ، وكانت أجمل إلهة فى السموات ، ولم يكن تقديسها يراعى فيه فضلها وحده على أهل السهاء ، وإنما كان يراعى معه ماتفيض به على الأرض من الخصب والنهاه . أليس إشراق النور هو الذى تتفتح فى صفائه الأزهار ، و بفضله تتجدد حياة الحدائق والرياض والغابات فى أيام الربيع ؟ ومن أولى بالعبادة من إله النور الذى يفيض البشر والخير والايناس فى أرجاء الوجود ؟

وهذه الآلهة التي تظهر في فصل الربيع – وموقعه من السنة موقع الفجر من النهار – صارت مع الزمن إلهة الجمال في العالم كله والمسيطرة الخالدة التي تبعث الروح في جميع الآحياء . . . وإذا كان كل جميل يلهم القلب الحب فقد صارت تلك الآلهة ربة الجاذبية التي تحملنا على أن نحب كل ماهو جميل ، لآنه بفضل نورها يخلق الجمال و يشيع الحسن في كل مافيه حياة

مولد أفروديت

لقد ولدت أفروديت ذات البسمة الفاتنه من زبد الأمواج، ولدت بيضاء نقية كأنها فلق الصباح، على بحر فضى، وظهرت لأول مرة _ فيها يقال - على شاطى، قبرص المشرق الوهاج، بعد أن ظل النسيم الرطب يدفع الصدفة التي تحويها مدة طويلة فوق الأمواج الصاخبة ، إلى أن وصلت إلى الشاطي.و تفتحت وخرجت من مهدها البحرى المكنون، وكانت كلما تقدمت فوق الرمل نبتت الأزهار تحت قدمها الناعمتين، وكانت حارسات السهاء ذوات الأشرطة الذهبية يتلقينها ويمسحن جسمها الذى ينضح بالماء الأجاج ويضفرن شعرها الأصفر ويزينها بالملابس المعطرة ، وقد وضعن على رأسها تاجا من الذهب ، وفي أذنيها أقراطا من معدن نفيس ، وعقدن على جيدها وصدرهافر ائدالعقود، ولماتمت زينتهاأ حضرت حارسات السماء عربة تقودها حمامتان ، فركبت أفروديت وطارت لتعيش بين أهل الخلود، فلما رآها الآلهة وقفوا جميعا إجلالا لجمالها الفتان ، وحيوا فيهـا ملـكة جديدة وأجلسوها على عرش رفيع ، ومنذ ذلك الحين سادت أفروديت سعداء الأوليمب المعبودين

وكانت النضارة المشرقة التي تجول في جسمها الريان، والسحر الفاتن الذي يجرى في عينيها النجلاوين ، والابتسام الحلو الذي يشرق من تغرها البديع وإشاراتها المنسجمة ، ومشيتها النبيلة وزينتها الاخاذة ،

كان ذلك كله قد غمر سكان السهاء بينـابيع من البهجة والفرح لا تنضب ولا تغيض

تحاسد الآلهة

ولكن مع الأسف لم يخل عالم الا تحمة على يكدر عالم الناس من الحسد والبغضاء، فقد كان استراء تلك الا تحمة على عرش من عروش السماء عما يزرع الحقد فى نفوس الآلهة الآخرين، وكذلك ادعت هيرا وآتينا أنهما فى جمال أفروديت ، واستفاد إله الشقاق من تلك الغيرة التى دبت فى صدور الجميلات من سكان السماء ، فدخل خفية فى أحد الأعياد إلى قدس الأوليمب ، وكان الآلهة بين مأخوذ بالشراب ومفتون بالغناء ، فانتهز فرصة هذه النشوة ورمى وسط المائدة تفاحة جميلة كتبت عليها هذه الجملة : « هدية إلى أجمل إلحمة »

فأخذتها هيرا، وصاحت أتينا وافروديت طالبتين تحكيم زوس وكانت مشكلة رقيقة تخاص منها سيد الآلهة وهو يقول:

ماذا تربن أيتها الا همات الفاتنات! كنت أتمنى أن أفصل بنفسى فيها شجر بينكم من خلاف ، ولكنى لا أستطيع ذلك لأنى أحبكم جميعا على السواء، فلم يبق إلا أن أشير عليكم بأن تنزلوا حالا إلى « الآيدا » وهنالك تجدون الراعى الجميل « باريس» يرعى قطيعه الكبير . وقد اخترته حكما بينكم ورضيت قضاءه فيكم ، وأنت ياهرمس : خذ هذه التفاحة وانزل إلى « الآيدا » مع هؤلاء

الاكمات الثلاث وقل للراعي الجميل

« ياباريس ! زوس يأمرك بأن تحكم أى هؤلاء الملكات أرشق قدًا ، وأرق خداً ، وافتن لحظا ، وأحلى دلا ، وأملح شكلا ؛ وأعط هذه التفاحة لمن تراها أقدر على سي القلوب ، وأسر النفوس »

حکم باریس

فنزل هرمس مصحوبا بأفروديت وهيرا وأتينا على قمم الجبل المقدس الشجراء ، ووجدوا باريس يرعى القطيع وفى يده عصاه ، فقال هرمس :

« سلام عليكم ياباريس ! خذ هذه التفاحة واعطما لأجمل هذه الا كلمات الثلاث ، بذلك يأمرك زوس»

فنظر باريس إليهن ، واختبر جمالهن واحدة واحدة ، ولكنه وقف مترددا حيران بين هؤلا. الجميلات اللاتى يفضحن النجوم في المنهاء ، والازهار في الرياض.، و بعد تأمل طويل أعطى التفاحة لللا للمة أفروديت ، فرضى الشلاث بهذا الحكم وصعدن إلى الأوليم في سيكون ، وظلت أفروديت منذ ذلك الحين ملكة الملاح بلانواع بهذا الحين ملكة

عَوْلَمُ يُنكَفَ أَفْرُ وَدِيتُ أَن تَخْضَع لِجَمَالُهُ السَاحر كل سكان الماحر كل سكان المادي ليمثب له بل المعتب الماس الماس المادي ليمثب له بل المعتب الماس الماس المادي الماس المادي الماس المادي ا

وشاء لها هواها وعبثها وعدوانها على الخلق أن تغريهم بالآمال التي تلهب قلوبهم فتغرس فيهم الحب ، وتغمرهم كا تريد بالسعادة أو بالشقاء ، فان الحب لم يكن دائما متبادلا بين المحبين ، وإذا كان فى العشاق من يمرح فى النعمة لآن أفروديت تكلؤه وترعاه ، ففيهم من يقاسى ألوان الشدائد لأنها حكمت عليه بالعذاب . ولا توجد فى الواقع بأساء أقسى وأشد من أن يهوى الانسان من لا يهواه وقد قيل :

ما العيش إلا أن تحب وأن يحبك من تحبه ومع هذا لم يقتصر سلطان افروديت على حكم قلوب الآلهة والناس ، بل امتد سلطانها إلى الطبيعة بأسرها ، فكانت على البحر سيدة مطلقة ، بها تسكن الأمواج الهائجة ، وتهدأ الرياح الهوجاء ، وتداعب السهاء الأمواج . وكانت للارض مصدر خصب وحياة : بها يحيا الزرع و تتجدد الفصول

وإذا كان فضل هذه الآلهة المعبودة لا يظهر أثره فى البساتين والاحراش إلا فى الربيع فقدكان ذلك الفصل فصــل الازهار هو موعد الاحتفال بفضلها على الطبيعة والآلهة والناس

أدو نيس

وقد لوحظ أن أعياد الربيع كانت دائما قصيرة، فان الأزهار تتفتح ثم تذبل وشيكا ، ولتفسير هذا النهاء المسرع الذي يختصره الموت العاجلوضع اليونانأسطورة جميلة : فقدتصوروا أفروديت أما للحياة النباتية وأعطو ها ابنا هوأدونيس الذى يعد صورة للربيع المشرق السريم الزوال

فنى يوم من الأيام الجميلة التى طالت فيها مداعبة الشمس للزهر خرج أدونيس من لحاء الشجرة التى كانت تحتويه ، وقد كان نماؤه سريعا ، وكان عمره مع ذلك أقصر من عمر الورد ، فلم يبق جماله فى زهرته المتفتحة إلا أياما قليلة ثم حصده الموت ، وكان ذلك فى نهاية الصيف حين مالت النباتات التى أحرقتها الشمس على سوقها وأصبحت هشيها تذروه الرياح

كيف مات أدو نيس

كان أدونيس فى ذلك الحين يلاحق خنزيرا بريا فرجع إليهذلك الحيوان المتوحش وطعنه طعنة قاتلة ، فأسرعت أفروديت إلى إغاثة طفلها الجريح، ولكنهالفرطالفزع نسيت أن تلبس حذاءها، فداست وهى تجرى على شجرة ورد دخلت شوكتها فى قدمها فرى الدم، ومنذذلك الحين أصبحت تلك الشجرة تحمل ورودا حمراء ، وكانت ورودها بيضاء ولم تكد أفروديت ذات الشعور الشقراء الذهبية تصل إلى ابنها حتى وجدته قدهلك فذرفت عيناها دموعا غزيرة نبتت منها شقائق النعان وقد كانت حياة أدونيس المضيئة ونها يته العاجلة موضعا لعبادة حقيقية عند اليونان فني اليوم الذى مات فيه كان يبكى النساء لذكراه

الأليمة ، وكانت لهن في النوح عليه زفرات تفتت الأكباد ، وكن. يحملن سريرا من الفضة مغطى بالحرير الأحمر ، ينام فيه جسم يمثل آدونيس وهو في طريقه إلى الفناء، وحولهذه الجنازة ترى آلاف الهدايا ، والفواكهالمختلفة ، والمشاعل ، والأوانى المعطرة ، والسلال الفضية تحمل النباتات التي أسرعت في نمائها ثم أسرعت في جفافها تمثيلا لذلك الفقيد الغالى العزيزالذي يسكبن من أجله الدمع السخين وحول ذاك الجسد المعبودكان النساء يمكثن يوما وليلة يضربن صدورهن ، ويلطمن وجوههن ، ويشققن الجيوب في ذكري معبودهن المفقود ، وفي فجر اليوم التالي يقوم هؤلاء النسوة وشعورهن مرسلة ، وصدورهن عارية وصرخاتهن تصم الآذان ، فيدفن هذا الجسد المعبود في أثباج الأمواج. وحين يحتوى البحرهذا الجسدويآخذه فيحراسته تطير صيحات الفرح: لأن أدونيس سيعود مع أمطار الفصل المقبل مبعوثا مع الحياة في الزهر والشجر والنبات

إيروس

لم يكن أدونيس هو الابن الوحيد لأفروديت ، تلك الملكة الجيلة التي تسيطر على مافى الحياة من بهيج وجميل ، بل كان لها ابن آخر ، حلو فتان له أجنحة ذهبيه ، يسمى « إيروس » أو « الحب » وكان كا مه ينشر على الارض الحياة والسرورو الخصب ، وكان يذهب إلى جميع البقاع محمولا على النسيم العطر عند دخول الربيع فتورق فى

طريقه الأشجار وتزهر الأغصان ، وكان إيروس كا مه أفروديت يسيطر على قلوب الآلهة والناس فيخضع من يشاء لسحره الفاتن وأمره المطاع ، حتى السباع كانت تخضع لمشيئته وطالما رؤيت عربته يقودها النمور والاسود ، وبفضله عرف الناس رقة الصداقة وحلاوة الحنان ، وعرفوا كذلك اللذات والآلام التى تصحب الحب المتين

كان إيروس يتنقل من مكان إلى مكان مسلحا بالسهام وفى يده مشعال وضاء ، وكان يلهو بالمزج بين الدموع والبسمات ، والجمع بين السعادة والشقاء ، ومن أجل ذلك نرى المحبين يضحكون لحظة ويبكون ساعات ، كالذى وقع للمسكينة بسيشيه التى ذاقت أطيب اللذات وأوجع الحسرات

بسيشيه

كان لأحد الملوك ثلاث بنات ، وكانت بسيشيه أجمل أولئك الثلاث ، وكانت فاتنة يعبدها من يراها كأنها نفس أفروديت ، وقد بعث جمالها المرموق عقارب الحسد والضغن في آلهة الجمال ، فصممت على الانتقام من بسيشيه ضرتها في عالم الحسن ، ودعت لذلك ابنها إيروس وقالت له :

« ايروس! يابني! هذا هو الوقت الذي تحتاج فيه أمك الرءوم. إلى ساعديك القويين لامضاء إرادتها ، إن ناسا في الأرض بلغت بهم الوقاحة والسفاهة أن يساووا بين جمالى الحالد وبين جمال فتاة آدمية ، فانية ، تدعى بسيشيه ، فاذهب يا بنى واحكم على تلك الفتاة بالشقاء ، بان تجعلها مفتونة مدلهة بحب شاب بائس يضرب الناس بدمامته الأمثال!»

عندئذ خرج إيروس من الأوليمب ونزل على الأرض، ولكنه لم يكد ينظر إلى جمال بسيشيه ونضارتها وحلاوتها حتى فتن بسحر تلك الانسانة التيلاتقل إشراقا ونضرة عنامه أفروديت وبلغ به الوجد المفاجى، أن نقلها إلى قصر جميل في بقعة نائية، وهناك في ذلك المنزل المنعزل فوق ربوة عالية باحدى الغابات الهادئة ظل إيروس يزور محبوبته خفية في هيبة وحذر لئلا يعكر عليه صفوه سفها، الرقبا،

وكان يجلب اليهاكل ما تشتهيه من طيبات الأرزاق ، ولم تستطع . بسيشيه أن ترى وجه محبوبها الجميل لأنه لم يكن يزورها إلا فى . الظلام ، فكانت كلما لمسته وأحست نضارة جسمه ووجهه تمنت عليه أن يسمح لها برؤيته فى ضوء القمر أو ضوء المصباح فكان. يجيب :

« إن سعادتك يابسيشيه لا تدوم إلا إذاكتمت سرحبنا فلا يكن من همك أن ترى وجهى أو تعرفى من أنا ، أحبيني فقط ولا تكدرى صفو الحب بالبحث عن معرفة ما يجب جهله »

حسد الأختين

ولكن الغيرة التي ملكت الأختين حملتهما على التفكير في قطع ماوصل الحب لأختهما من نعيم ، فقدمتا لزيارتها ذات يوم وأفهمتاها أن محبوبها ليس إلا جنيا دميم الوجه وأن القصر الذي تسكنه ليس إلا داراً من دور الشياطين ، ثم قالتا لها :

« تستطیعین آیتها الآخت العزیزة أن تتبینی صدق ما نقول ،
موسبیل ذلك أن تضعی مصباحا صغیرا تحت السریر ، فاذا جاء
محبوبك لزیارتك فانتظری حتی یغمره النوم ثم قومی برفق فارفعی
المصباح و انظری فی وجهه لتعرفی أی جنی تعاشرین

وما كادت تسمع بسيشيه هذا الكلام حتى استبد بها الشغف شغف التطلع إلى معرفة مايستر الظلام من حقيقة رفيقها المعشوق فأحضرت فى المساء نفسه مصباحا صغيرا وأخفته تحت السرير وانتظرت حتى أخذ حبيبها النوم العميق ، ثم قامت فأدنت المصباح من وجهه ، وكانت تنتظر أن ترى جنيا دميم الخلقة كما وصف أختاها الواشيتان، ولكنها فوجئت برأس أشقر تزينه الشعور المعطرة وفم يزفر بأنفاس الرحيق ، وأعطاف من العاج يتصل بها ذراعان تزينهما استدارة ولين ، وباحداهما قوس ، أما أخراهما فقد وضعت تحت خده الأسما.

عندئذ هاج الحب فى قلب بسيشيه هياجا عنيف وهمت بتقبيل معشوقها الجميل، ثم مالت عليه وفى يدها المصباح فوقعت قطرة من الزيت المحرق على عطفه المكشوف، فاستيقظ إيروس من الألم وعرف أن محبوبته فضحت سره المكتوم، فطار من لحظته، وترك بسيشيه نهبا للاسمى والبكاء

مصير بسيشيه

بلغ الجزع من هذه المسكينة كل مبلغ ، فألقت بنفسها في النهر لتستريح من كمد الفراق ، ولكن الأمواج ردتها حية إلى الشاطىء ، فتجدد في قلبها الأمل وأخذت تبحث عن حبيبها الغضبان في جميع البقاع ، وكانت كلماصادفت معبدا دخلته وتمرغت على أعتابه وهي تتوسل إلى الآلهة أن يرحموا قلبها الخافق ودمعها المسكوب ولكن الآلهة منحوها آذانا صماء ولم يقبل أحد منهم أن يدلها على مكانه حتى تذهب اليه ، لأنهم عدوها جانية على نفسها حين رأوها تذيع من سر الحب ما لا يذاع ، وتسمع في محبوبها وشاية الواشين وأخيرا خطر ببال المسكينة أن تلجأ إلى أبواب أفروديت بعد وأن نال منها الشقاء ، وكانت ترجو أن ترثى إلهة الجمال لحالها فتسهل عليها سبيل الوصول إلى ابنها إيروس

ولكن افروديت ذات الجدائل الذهبية لم تكد ترى بسيشيه حتى هزت رأسها ساخرة ، ثم انقضت عليها فمزقت ثيابها ولوت شعورها وأدمت جسمها ووجهها بالضرب الوجيع، ثم قضت أن لا يكون لها من رفيق فى حياتها غير البغيضين: الحزن والحيرة، واتخذت منها أمة ذليلة ترهقها بأثقل الأحمال، فصبرت المسكينة صبرا جميلا وظلت فى بؤسها حافظة لعهد حبيبها المعبود

وبعد أزمان شفى إيروس من الجراح التى رمته بها قطرات الزيت المحرق، وفكر فى محبوبته التى ظلت على ولائها له، ولم ينسها غضبه وهجره مامر بينهما من عذب الوصال، فتوجه إلى الأوليمب وألتى بنفسه على أقدام زوس وتوسل اليه أن يأمر بخلاص بسيشيه وأن يمنحها له زوجة وفية، فقبل زوس رجاءه وأمرهر مس بادخال بسيشيه منزل الآلهة وضمها إلى صفوف الخالدين وماهى إلا أيام حتى زفت بسيشيه إلى ايروس، ورقصت أفروديت نفسها فى عرس الحبيبين، وكان ذلك أول دليل على أن العاقبة فى الحب و المجد للصابرين

ظلم العواطف

قيل لعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود: أتقول الشعر فى فقهك وورعك ؟ فقال: لابد للمصدور أن ينفث . وكان عبيدالله من وجوه الفقهاء الذين روى عنهم الفقه والحديث . وهو أحد الفقهاء السبعة

من أهل المدينة . ومن شعره

شققت القلب ثم ذررت فيه هو اك فليم فالتأم الفطور تغلغل حب عثمة فى فؤادى فباديه مع الخافى يسير تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور

إن الناس يجلون الفقها عن قول الشعر و لاسيما النسيب ، ويرون بعدهم عنه ، وبراءتهم منه ، من متممات فضلهم ، ومكملات مجدهم . وكان ذلك ظلما للعواطف ، وقتلا للشعور ، فان لبعض أولئك قلوبا نزاعة إلى الحسن ، ونفوسا عشاقة للجمال . ومنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما جنحوا إلى السلوان

ولئن خرج عبيد الله على الجفاة من معاصرية ، فقال فى الغزل ماقال ، فانى لاحسبه كتمناكثيرا مر ... شجونه ، وضن على الشعر بمكنون صدره ، مداراة للعامة من جبرته ، والسذج من عارفيه فان الخوف من صغار العقول ، والهرب من ثرثرة السفلة ، لم يسلم منه نابه ، فى عصر من العصور أو قطر من الاقطار

إن الأبيات القلائل التي نقلها الرواة إلينامن شعر عبيد الله لتحدث عن صبابة وتسفر عن غرام ، ولوأن الرجل أو تي من قوة الارادة وشجاعة الفؤاد ما يشرح به هواه ويمثل به خواطره لكان له من المواقف الحسان والمشاهد المبجلة ما يضمن له الحلود في الشعر الوجداني من عالم الآداب

إن ظلم العواطف حرمنا كثيرًا من نفثات الشعراء، وجعلنا

نتصيد طرائف الشعر الوجدانى من هنا وهناك ، ثم لانجد ماينقع الغلة ، ويشنى النفس : لما فى أكثره من التلون المذهب للعاطفة ، المميت للشعور

ولو أن ذلك كان وقفا على الفقهاء لتجملهم بالزهد، أو النساء لتحليهن بالعفاف ، لهان الأمروسهل ، ولكناوجدنا في أشهر الشعراء بالظرف وأعرفهم بالخلاعة من يمنون بالنهاة من أهلهم ، فينزلون عند حكمهم ويصدعون بأمرهم فيتناسون الهوى ، ويصدفون عن الغرام هـذا عمر بن أبي ربيعة ، كان من أجرأ الناس على إذاعة هواه وأبعدهم صيتا في الغواية ، وطاعة الشباب ، ثم ما برح أخوه الحارث يعظه وينهاه ، حتى دان منذلك أن أعطاه ألف دينار على أن لايقول شعرا فقال :

« أما مادمت بمـكة فلا أقدر ولكنى أخرج إلى اليمن » فلما سار إلى هناك لم تدعه نفسه وقول الشعر ؟ فقال :

هیهات من أمة الوهاب منزلنا واحتل أهلك أجیادا فایس لنا لادارکم دارنایاوهب إن نزحت یاوهب إنیك قد شط البعادبکم فکم و کم من حدیث قد خلوت به بل ما نسیت ببطن الحیف موقفها وقولها للثریا یوم ذی خشب

إذا حللنا بسيف البحر من عدن الحزن الا التذكر أو حظ من الحزن نواك عنا ولا أوطانكم وطنى وفرق الشمل مناصر ف ذا الزمن في مسمع منكموا أو منظر حسن وموقني وكلانا ثم ذو شجن والدمع منها على الحدين ذو سنن.

بالله قولى له فى غير معتبـــة ماذا أردت بطول المكث فى يمن. إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن. ويذكرون أن أخاه لما سمع هذا الشعر يتس من صلاحه وقال: قد فتك أخى وغدر

والذى أراه أن عمر بن أبى ربيعة ، ما كان له أن يذهب إلى. اليمن ، دفعا للوم أخيه فحسب ، فان الرجل طالما بهاه النهاة فلم ينته ولم يرجع ، وكان بينه وبين أخيه مايشعر بتهاو نه بنصحه ، وسخريته من عذله ، بدليل ما يذكرون من أخذه ألف دينار من أخيه ، فحين أنه كان من أكثر الناس مالا ووفر ا ، وأعظمهم تيها وكبرا ، ولكن الرجل كان يحاول أن يتناسى صبابته ، و يتغاضى عن هواه ، حتى كان من أمره أن حلف لا يقول بيتا من الشعر إلا أعتق رقبة ، نهيا للنفس عن الهوى ، وكبحا لها عن الغواية ، وكان من المسرفين فر ابن أبى ربيعة إلى اليمن ليبعد عن ملعب صباه ، ومرتع شبابه فيودع بذلك الشعر ، و يترك النسيب : ثم غلب على أمره فقال نو نيته فيودع بذلك الشعر ، و يترك النسيب : ثم غلب على أمره فقال نو نيته فيودع بذلك الشعر ، و يترك النسيب : ثم غلب على أمره فقال نو نيته

كان ابن أبى ربيعة من أصبح الناس وجها ، وكان عشقه شبيها بعشق الملوك: لتهافت الغوانى عليه ، والتفاف النساء حوله، فكان شعره لذلك ضائعا بين الأوصاف الظاهرة ، والمحاسن البادية ، فلا ترى له حسرة على فائت ولا لهفة على مأمول ، فلما صوح شبابه ، وحان منه التذكر ، نضب معين شعره ، ونهجت صبابته ، براً بذلك القسم

السالفة ، طوعاً لأمر الفؤاد

مونزولا عندحكم المشيب، فكان نصيبه من الشعر الوجداني ضئيلاً ، لما ظلم عاطفته ، وعق وجدانه ، وكان من القاسطين

أنا لا أبخس ابن أبي ربيعة حظه من الشعر الوجداني ولا أبعد أن يكون في ديوانه من هذا النوع شيء كثير ، ولكني أقول إن الرجل الذي يهر الناس شعره في مجالس الأنس، ويروقهم حديثه عن اللهو واللعب ، لجدير أن يقرح أجفانهم ، ويفتت أكبادهم ، لو بكى عهوده السوالف ومعاهده المقفرات

ولكن أبي الجدالعاثر إلا أن توضع هذه الأغلال في أعناق الشعراء فيمسون كالبلابل الموثقه الحبيسة: لاتستطيع التغريد، ولا تملك الترجيع

وما عسى أن يكون حزن بشار وبثه ؛ وقد نهاه المهـدى عن التشبيب ، وحال بينه و بين ما يشتهى من الغزل ، ومداعبة النساء .

وإنى ذا كر لك مثالا مختارا من شعره فيها يتعلق بالعواطف، و يختص بالوجدان، حتى تعرف أى خطب ألم بالشعر الوجداني، فأصبح ضئيلا في شعر هذا الرجل الكبير، قال:

نزلت في السواد من حبة القل شم قالت نلقاك بعدليال

أيها الساقيان صبا شرابى واسقياني من ريق بيضاءرود إن دائى الظما وإن شفائى شربة من رضاب ثغر برود ولها مبسم كغرالأقاحي وحديث كالوشي وشي البرود ب ونالت زيادة المستزيد والليـــالى يبلين كل جديد

عندها الصبر عن لقاى وعندى زفرات يأكلن قلب الحديد لا أبالي من ضن عني بوصل إن قضي الله منك لي يوم جود فانك لتبصر من خلال هذا الشعر رجلا صادق الحب، متين الصبابة ، ألح عليه ساقياه بالراح ، فتعفف عنها ، لازهداً فيها ، ولا غفوراً منها، ولكن ذكرى حارة، ولوعات دخيلة، هاجت بصدره و ثارت بلبه ، إذ ذكر صهباء الثغر بمن يهوى ، وخمر الريق بمن يحب شغل الشاعر عن الراح ، بما ذكر من محاسن محبوبه ، ولطائف معشوقه ، فأخذ يذكر ما فعل الحب بقلبه ، و نال الهم من نفسه فأسى عليكم إذا حثت مشعشعة فينا الشمول وغنانا مغنينا الاأكؤس الراح تبدى من شمائلنا سيما ارتياح ولا الأوتار تلهينا كان بشار من أظرف الناس غزلا، وأبدعهم نسيبا، ولكن قضى الله أن يحول المهدى بينه وبين التشبيب ، فيضيع بذلك الشعر الوجداني من هذا النوع ، فيما عسى أن يقول في ذكري لياليه الخوالي وعهوده السوالف! وقد ختمت زفراته المحرقة ،وعبراته المغرقة تكلمته الآتية:

من وجه جارية فديته ثوب الشباب وقد طويته ماإر غدرت ولا نويته عرض البلاء وما اتقيته وإذا أبي شيئا أبيت

يا منظراً حسنا رأيته لمعت إلى تسـونى ونى والله رب محمـد المسحكت عنك وربما إن الخليفـة قدأبى

ويشوقني بيت الحبيب بإذا غدوت وأن بيته

ونهاني الملك الهما م عن النساء فما عصيته بل قد وفيت ولم أضـع عهدا ولا وأيا وأيتــه

ثم انقصت حياة بشار الوجدانية ، وما عدت تسمع لهغير أبيات فاترة في الأسف على ما حيل بينه وبينهواه ، فنال اليأس من قلبه والقنوط من ضميره، وعاد من الهالـكين.

ولقد نال أبانو اس إمام الشعراء في وصف الخر ، مانال بشار ا إمامهم في وصف النساء، فقد نهاه الأمين عن شربها وحبسه ان أبي الفضل من أجلها ، ثم كلم فيه : فأخرجه على أن لا يشرب خمر ا ،ولا يقول فيها شعرا، فطالت حسراته، وكثرت زفراته، ثم قال:

أيها الرائحان باللوم لوما لاأذوق المدام إلا شميها نالني بالملام فبها إمام لاأرى لي خلافه مستقيما فاصرفاها إلى سواى فاني لست إلا على الحديث نديما جل حظى منها إذا هي دارت أن أراها وأن أشم النسية فكاً ني وما أزير. منها قعدى يزير. التحكيما كل عن حمله السلاح إلى الحرب فأوصى المطيق أن لايفيها

و تعرف أن أبا نواس إن نهىءن الخر فقد لا ينتهى ، ولـكنه لابد ، قلم عن وصفها ، طاعة للامام ، وفي ذلك يقول :

عين الخليفة بى موكلة عقد الحذار بطرفها طرفى

صحت علانيتي له وأرى دين الضمير له على حرف ولئن وعدتك تركها عدة إني عليك لحائف خلني نهى أبو نواس عن الخر فشربها سرا، ولكنه جامل الامام بترك نعتها، والتحدث عن وصفها، فاصاب الأدب ما أصابه، وغشى الشعر ماغشيه، فان أبا نواس فيها أدى أول الناس وآخرهم في وصف الراح والسقاة

ولو لم يقف فى سبيله الأمين ، لأبان لنا من مذاهب القول وطرق البيان ماكنا فى حاجة إلى بعضه : ولكن الزمان للادب ظلوم قهار

ليس وصف الخر والندامى ، والكؤوس والسقاة ، ضربا من الشعر الوجدانى : فانها أوصاف محسة ، ترجع فى جماتها إلى ماترى العين ويذوق اللسان ، ولكن طبع أبي نواس ومهارته ، جعلا لتلك المعانى الخرية صبغة خاصة تشبه أن تكون من عمل القلب ، وصنع الضمير

قل شعر عبيد الله لما تخوف الجمهور ، ونضب شعر ابن أبى ربيعة لمانهاه أخوه، وذهبت لطائف بشار فى الغزل لما منعه المهدى ، وحرمنا بدائع أبى نواس فى الخر لما زجره الأمين

فكان ذلك مما أوجب فقر الآداب العربية ، وجعل حظ الشعر غاية فى الضؤول ونهاية فى الخنود

فياليت شعرى أتشمل الحرية الأدب وتنتظم الشعر ، أم يعيش

الشعراء أسرى الأوامر العالية ، والزواجر الطاغية ، أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

مارس سنة ١٩١٨

الامل الضائع

تأيمت حتى لامنى كل صاحب رجاء سليمى أن تئيم كما إمت لئن بعت حظى منك يومابغيره لبئس إذاً يوم التغابن ما بعت

كنت أصبر على بأساء الحياة ، وأحتمل ما فيها من هم وغم ، لو أن عندى بقية من الأمل أرفه بهاأ حزانى ، وأدفع بها آلامى، ولكن حال القنوط دون الرجاء ، وأتى اليأس دون الطمع ، فلم يبق غير الجزع من مسعد ، ولا سوى النوح من شفا.!!

فياجيرة ما كان أهنأ وردهم، وأطيب عيشهم، ويا أحبابا ذقت الفرح بقربهم، وعرفت الهم لبعدهم، ويامن أفنانى فراقهم وكان أحياني لقاؤهم، بربكم ماالذى لقيتم بعدى، فقد لقيت بعدكم ذلاوهو انا وظلما وعدو انا، ومن عسى أن يكون قد ظفر بودكم، ونعم بحسنكم، فأصفاكم من الحب أجمله، ومن الانس أكمله، فقد صحبت بعدكم من جحد نعمتى، وأنكر خلتى، ومن سقيته الشهد فسقانى الصاب، ومن أوليته القرب فأولانى القطيعة!

فياليت شعرى من ألوم؟ أألوم نفسي على أن لم أعق في بركم أهلى وإخوانى : فأسير حيث سرتم ، وأقيم حيث أقمتم تفرق أهلي من مقيم وظاعن فياليت شعرى أى أهلي أتبع أقام الذين لأأبالي فراقه_مم وشط الذين بينهمم أتوقع أم ألوه كم على أن تركتموني وحيدا وآثرتم وطنكم وأهاكم ،ولم تبالوا بمن خلفتموه طريح حزنه ، وأسير همه ؟ أم ألوم قوماجعلتهم منكم بدلا فكانوا شر بدل ، واتخذتهم من بعدكم ذخراً فكانوا كالهباء ورجوتهم حصنا أتتى به الدهر الخائن ، والزمن الجائر ، فاذا هم أذل من قراد بمنسم ، وإذا المتفي ظلهم ،والراجي برهم ، يطمع في غير مطمع ، ويلجأ إلى شر وزر!

أم ألوم دهرا اضطركم إلى الرحلة فرحلتم ، وحكم على بالمقام فأقمت ، ثم أمدنا من اليأس لبعد الدار ، وشط المزار ، ماجعل الأمل فى التلاقى خائبا ، ورجاء التداني كاذبا

وقلماً أبقى عـلى ما أرى يوشـك أن ينعاني النـاعي ما هذا الذي صنعتم ? أخضعتم لليأس ، وأذعنتم للقنوط ، ولم ترهبوا العتاب، إذ لم تأملوا اللقاء؛ فزففتم تلك الشمس إلىغيرى، وآثرتم بها سوای.

> یاعز إن ضاعت عهودی عندکم أو عدت مغبونا فما أنا في الهوى

فانا الذي استودعت غير أمين لكمو بأول عاشق مغبون

غلب الياس عليم فمللنم — ولا وفا للول — فكان منكم ما أقض المضجع ، وأورث الجفن السهاد ؛ فهل تعلمون ما صنع اليأس بنا ، و نال القنوط منا ؟ ولكن هيهات بعد اليوم أن ينفع العزاء! هى الغاية القصوى فان فات نيلها فكل منى الدنيا على حرام نوفمبر سنة ١٩١٧

احاديث ٠٠٠

باریس فی ۱۰ ینایرسنة ۱۹۳۱

الوطن الذي يحفظ الجميل

مات المارشال جوفر فى باريس فخفقت لموته قلوب الفرنسيين جميعا، وأعلن الحداد العام على الرجل الذى كسب موقعة المارن، وأخذت الجرائد والمجلات تنشر ما عرف وما لم يعرف من أخباره وصوره وأعماله منذ كان يافعا إلى ان اختطفه الموت

وقد أثار هـذا الحـادث في نفسى أشجانا محرقة : فقد التفت النهن من فرنسا التي تحفظ الجميل إلى مصر التي تذكر الجميل وانى لأرجو ان يحتمل القراب وقع هذه المؤاخذة ، فانى لا ارضى أن أتملق عواطفهم وأهواجم ، وأظهرهم بمظهر الأوفيا. لوطنهم وقومهم ، على حين يرتطمون في أوحال العقوق كل شيء يتقدم في مصر إلا عاطفة الواجب نحو الجنود الذين

خدموا الوطن في امانة وإخلاص

والذى يعيش فى باريس يأخذه العجب بما انتثر فى هذه المدينة من مئات التماثيل ويكفىان يتجول الرجل من حى إلى حى على قدميه ليعرف تاريخ فرنسا العلمى والأدبى والسياسى عن طريق التماثيل

ولكن لا يحسب القراء ان التماثيل هنا تقام لمن هزوا فرنسا وأشعروها بوجودهم وفرضوا عليها الوفاء لهم . . . كلا ، فني أكثر الأحيان تقام التماثيل لرجال لم يسكن يخطر ببالهم أن سيكون لهم فذكر مأثور بعد الممات ، وإنما ينتبه الشعب الى مزايا رجاله وخصائصهم ، وتفوقهم فيها انقطعوا له من علم أو أدب أو طب أو سياسة أو قانون ، وكذلك تنظر فترى تمثالا يقام لرجل نسيه الأهل والأصدقاء والأقربون ، وليس له شيعة ولا حزب ولا أنصار ، وكل ما في الأمر أن بعض المنصفين تنبه إليه ودعا الحكومة إلى إنقاذ ذكراه من جور الخول

والذين يستحقون الذكر فى فرنسا لا يمجدون فقط فى بقعة واحدة ، وإنما تنتشر أسماؤهم فى جميع المقاطعات والأقاليم ، فاسم في حتور هوجو مثلا يطلق على عدد كثير من الشوارع والميادين فى مختلف القرى والحواضر الفرنسية ، وكذلك اسم جان جاك بروسو وفولتير وموليير ومن إليهم من رجال العلم والآدب والفن والسياسة والتشريع

هذا في فرنسا ، أما في مصر؟

أنا لا أذكر أنه أقيمت في مصر تماثيل شعبية , فان التماثيل القليلة يرجع السر في وجودها إلى بعض الرغبات العالية ، أما الشعب نفسه فيحتاج إلى من يهذب ذوقه ويروضه على تقديس الأوفياء من زعمائه ومعليه ، وحسب القارىء ان يذكر أنه كان من الممكن أن تتلاشى فكرة تمثال زغلول ، ولو لا قوة الوفد لوضع ألف غطاء على تمثال سعد وضريحه ، وكان من الجائز أن نشهد هذه المهزلة ونحن أحياً.

فاذا خلينا سعد باشا جانبا ، ورجعنا إلى مصطفى كامل تبينا الحقيقة ، فان تدهور الحزب الوطنى كانكافيا لآن ينسى معه اسم مصطفى كامل ومحمد فريد ، وكان على الشعب أن يفهم أن زعماء الحزب الوطنى الأولين غير مسئولين عن « البرودة » التى يخب فيها أشياع الحزب الوطنى في الوقت الحاضر ، وقد أذكر أن الوفد المصرى تقدم في أو اخر سنة ١٩١٩ إلى الاحتفال بتأبين محمد فريد ، فدل بذلك على تقدير ه لعظمة الرجل ، مع أن الخصومة بين الوفد د والحزب الوطنى كانت إذ ذاك أحر ما يكون

هذا حظ رجال السياسة والوطنية فى مصر ، مع مالهم من الأثر الفعال فى طبع أسمائهم فى الرؤوس

أما رجال العلم والآدب والتشريع الذين يعملون في تواضع وهدو، فان نسيانهم حتم لاريب فيه ،فكم فكر الناس في إحيا. ذكري اسماعیل صبری باشا ثمم شکتو ا ، و کم صاح الصائحون باحیاء ذ لری. الشیخ محمد عبده ثم هجعو ا

ومع هذا العقوق لايزال فى مصر ناس يشقون لتسعد أمتهم ويموتون لتعيش. وبفضل هؤلاء الضحايا ، ضحايا نكران الجميل ، يحيا الكاندون الجاحدون!

أسماء عربية

أخذ الشرقيون منذ أكثر من عشرين عاما يعتزون بقوميتهم ، والقومية الصربحة لشعوب الشرق الآدنى هي القومية العربية ، وقد أخذ فريق من المصلحين يعمل لنشر اللغة العربية بحيث تصبح لغة الشرق فنشأ عن ذلك أن انصرف أكثر الشرقيين عن الأسماء الأوروبية وأصبح من النادر أن يسمى الناس أطفالهم بمثل ادوار أو جورج ، أو جان ، وأشهر الداعين إلى هذه السنة الحسنة من إخواننا الأقباط رجل طيب القلب بعيد النظر يسمى (وهبي بك) وكان ناظراً لمدرسة الأقباط ، فاليه فيما علمت يرجع الفضل في شيوع الأسماء العربية بين الأقباط.

وأظهر الشواهد فى هذا الموضوع ماكان من الاستاذ الخطيب مكرم عبيد ، فقد أبعد عن نفسه اسم (ويليم) ليجمع بين الخصائص المصرية والعربية ، وليبعد عن نفسه وشائج السمات الانجليزية ،

والاستاذ مكرم خطيب شعبي محبوب، ولباقته في الخطابة سيكون لها آثار حميدة في شيوع اللغة الفصحي بين إخواننا الاقباط

هذا ولنا صديق في باريس من طلبة الدكتوراه اسمه ادرار فارس ، وهو شاب أديب نشر له المقتطف عدة قصص جيدة ، وقد رأيت أن أقدم بعض رسائله إلى المساء على شريطة أن يغير اسمه ، فارتاح للفكرة ، ولكنه قضى عدة أسابيع يتخير الأسهاء من عهد أصحاب المعلقات إلى اليوم ، وكان أحب الأسهاء إليه مروان وحسان ثم اختار أخيرا اسم « بشر » فهو الآن بشر فارس ، رضى الله عنه وأرضاه!

ولا يفوتنى بهذه المناسبة أن أذكر أن المأسوف عليه الدكتور يعقوب صروف كان يأسف على أنه لم يكن مسلما ، وكان يعتقد أن الباحث المسلم أقدر على التغلغل إلى أعماق النفوس الشرقية ، وفي يقيني أنه أصبح من المحتم على أهل الشرق أن يتسامحوا مع الاسلام في سبيل الوحدة الشرقية ، فان الاسلام دين هداية وسماحة ويقين ، ولا ضير على أهل الشرق من غير المسلمين أن يسايروا الواقع ، ويطمئنوا إلى المدنية الاسلامية التي تؤلف بين قلوبهم من حيث لا يشعرون

أسهاء مصرية

المسيو ميشو أستاذ الأدب الفرنسي بالسوربون وعميد كلية

الآداب بالجامعة المصريةسابقا رجل من أكرم الناس نفساوأنقاهم سريرة ، ذهبت لتحيته في عيد الميلاد ، وهو يسكن ضاحية قريبة من باريس تسمى (سو) فلما وصلت إلى الشارع الذي يقيم فيه عذرت كل من يعشق مصر من الأساتذة الأجانب ، فان اكثرهم يقيمون في مصر الجديدة ، ومصر الجديدة ضاحية قلما يوجد لهــا نظير في الضواحي الفرنسية ، فلما دخلت المنزل بهرني ما فيه من الزخرف والزينة ، وجاء المسيو ميشو فحياني ودعاني إلى زيارة حديقته ، ولكنالم نكد نضع أقدامنا في الحديقة حتى هرعالكلاب لاستقبالنا في حفاوة بالغة 'وهجم أحدها يريد معانقتي ، فنراجعت وقلت « امش ياكلب يا ابن الكلب!» فضحك وقال: ما خطبك؟ قلت: إنك لتعلم أنني أزهري قديم يكره النجاسة! فقال: إنهاكلاب لطيفة ، وقد سميتها بأسماء مصرية ، فالأكبر اسمه (الاقصر) والأوسط اسمه (اسمع) والاصغر اسمه (دغرى) فقلت في نفسي عجباً! إننا نسمى أبناءنا بأسمائهم ، وهم يسمون كلابهم بأسمائنا ا وحمدت الله على أنه لم يخطر ببال المسيو ميشو أن يسمى كلابه بأسهاء من كان يراهم كل يوم فى الجامعة المصرية مثل (زكى) و (لطنی) و (طه)فانه لو فعل لکانت ذکری غیر طیبة لاصحابها زکی مبارك ولطني السيد وطه حسين

هنینا مرینا غیر داء مخامر لعزة من «أسمائنا» مااستحلت

الاستعمار علىكف عفريت

لى صديق فرنسى مشغول الفكر بمستقبل المستعمرات الفرنسية، فاذا تحادثنا انطلق يشكو ما يلقى الفرنسيون في مستعمراتهم، من القلاقل والاضطرابات، وأظرف ما فيه شماتته بالانجليز، فهو يطرب لأخبار الهند ومصر بنوع خاص، ويقول: إن في مصر والهند دلائل قوة ونهوض، ويسرني أن أجد أصدقاءنا المصريين. وقد اكتملت قوتهم، واكتهلت تجاربهم، بحيث صارمن المستحيل أن تفنى قوميتهم او ان يطمئنوا إلى خداع السياسة الانجليزية، وإن الهند لتضرب المثل لمن يريد ان يفهم أن القوة الروحية لا تقل في خطرها و جلالها عن القوة المادية، قوة المال والسلاح.

فاذا انتهى الصديق من الاشادة بفضل مصر والهند عاد فذكر ان سكان الهند الصينية ناس خبثاء ملاعين! فاذا قلت: ولم ذلك ؟ أجاب: إنهم يحلمون دائما بالثورة ، ولا يتركوننا في أمان ، ولعلك تذكر ما كان من الطلبة الاناميين في صيف سنة ١٩٢٨ حين ذهب رئيس الجمهورية لافتتاح دارهم في المدينة الجامعية ، فقد كانوا يوزءون المنشورات الثورية علنا في حفلة الافتتاح ، مم اننا شجعناهم على التعلم ، و فتحنا لهم أبو اب الرقى ، و أنقذناهم من الجهل ، و علمناهم كيف تكون الحرية وكيف يكون الاستقلال

قلت : ونتيجة ذلك ? فأجاب : الخلاصة أنه من الحمق أن يفكر

المستعمرون فى تهذيب الشعوب الشرقية ، فقد ظهر أن العلم يفتح عيون أولئك الناس ويبعثهم على الثورة والتمرد والعصيان

وهنا ضاق صدرى فقلت: لقد آن لكم يا صديق أن تفهموا انه قد انقضى عهد الطمع فى استعباد الشعوب والشرق الذى ترمونه بالوقاحة والحبث لخروجه عليكم يرميكم هو أيضا بالغفلة والجهل حين تطلبون مالا يكون وتطمعون فى المستحيل وعما قريب لتصبحن نادمين!

العرب واليونان

نشرت الشورى الغراء للا مير شكيب ارسلان كلمة فى خو اطره عن العرب واليونان جاء فيها أن ابنه سأله : لمـــاذا يا ابت يمجد الأوربيون ذكريات اليونان ، ولا يمجدون ذكريات العرب وقد أجاب الامير شكيب بما معناه ان تحامل الغربيين على العرب لم يخف على احد ، حتى الاطفال! وفى رأيي ان إغفال الاوروبيين لذكريات العرب يرجم لاسباب كثيرة أهمها ما يأتى :

أولا — العرب لايزالون أقوياء بخشى شرهم، وذكرياتهم الأدبية والعلمية والتشريعية مقرونة بالاسلام، وكل إحياء لذكريات العرب خليق بأن يثير الزهو والكبرياء فى نفوس الامم الاسلامية وهم يعرفون ما صنعت تلك الامم فى الايام الحوالى، فليس من الحزم أن يشجعواذكريات العرب والاسلام لهذا السبب الخطير.

ولاكذلك اليونان ، فانهم أمة صغيرة قليلة الحول والطول ، وليس فى مقدورها أن تضايق أوروبا فى حرب أو فى سلم ، فهم ينشرون ذكرياتها فى طمأنينة وأمان

ثانيا – أهم آثار العرب ترجع في صميمها إلى التشريع ، وهو من المعانى الجافة التي لايقبل عليها غير أهل الجد من كبار الباحثين ، ولا كذلك آثار اليونان فان معظمها يرجع في جوهره إلى الأدب الصريح الذي يهيج الأهواء ، ويثير الشهوات ، وتلك شؤون تجد نصيبها في كل قلب ، ويسرى روحها في كل نفس ، حتى ليمكن أن يقال إن جميع الشهوات واللذات الحسية أخذها الأوربيون عن يقال إن جميع الشهوات واللذات الحسية أخذها الأوربيون عن اليونان ، ولهذا الفرق بين آثار العرب وآثار الاغريق أغوار بعيدة يعرفها من يقدر ظمأ السواد إلى اللهو الجامح ونفرته من الجد الرصين

ثالثا ــ اشترك اليونان بأنفسهم فى نشر آدابهم بين اهل الغرب وقلما فعل أنصار الأدب العربى شيئًا من ذلك ، وفى يقينى أنه لو ترجم كتاب العقد الفريد مثلا إلى اللغات الأوربية لكشف للعالم الغربي آفاقا من حرية الفكر وسلامة الذوق ، وخلق للادب العربى آلافا من الأنصار والأشياع، فالينا إذن يرجع اللوم فى طمس آثار أسلافنا الماجدين

ساعة حب

وَرَعَتْ آلِمَةُ الْخُبِّ صَبَاكُ وَهُدَى الْأَشْفَاقِ وَالْعَطْفَ هُدَاكُ

يَامَلِيكَ الْحُسُنِ عَزَّتُ دَوْلَتُكُ شِرْعَةُ الْاسْعَادِ فِينَا شِرْعَتُكُ

آنَ أَنْ يَنْسَى نُؤَادِى مَاشَكِاهُ

سَاعَةٌ مَرَّتْ وَفِي الْقَلْبِ هُوَاكُ

يَرْشُفُ اللَّهُمَةَ مِنْ كَأْسِ لَمَاكُ

أَنْتَ أَنْقَذْتَ فُؤَ ادى مِنْ جَوَاهُ وَسَقَيْتَ الزُّوحَ أَكْوَابَ الصَّفَاءُ

نَسَخَ الْاقْبَالُ أَيَّامَ الشَّقَادُ

**

سَاحرَ النَّغْمَة خَفَّاقَ الْجَنَاحِ

في ظِلَالِ الْأُنْسِ وَالصَّفْوِ الْمُتَاّحِ

وَأَرَانِي الْوَصْلُ أَسْرَارَ جَمَالِكُ وَرَأَيْتُ الْخُلْدَ مَنْضُورَ وصَالَكْ سَكَبَتْ نَجُو الْكَفِى الرُّوحِ الْأَمَانُ فَتَمَثَّاتُ فَرَادِيسَ الْجِنَانِ

وَتَفَ النَّجْـــمُ وَأَلْقَى بَالَهُ لِيُعدَّ الَّلْمَحَ مِنْ قَلْبِي وَقَلْبِـكُ

وَي ضَمِيرِ اللَّيْلِ مِنْ حُبِّي وَحُبِّكُ

وَتَفَ النَّجْبُ مُ وَأَلْقَ بَالَهُ وَيَعَ هَذَا النَّجْبِ مَ عَمَّا هَالُهُ وَيُحَ هَذَا النَّجْبِ مِ عَمَّا هَالُهُ

غَارَتِ الْأَبْحُمُ مِنْ قَلْبِي الطَّرُّوبْ، مَا يَقُولُ النَّاسُ لَوْ شَامُوا غَرَامِي؟ أَنَّا بِالْأَفْنَانِ فَتَّ الْكُ لَعُوبُ يَرْدَهِنِي الْغَيُّ فِي تِيهِ هُيَامِي

شُبْهَةٌ فِي قَلْبِكُ الْبِكْرِ يَلُوحُ طَيْفُهَا الْمُرْتَابُ فِي إِنْسَانَ عَيْنَكُ يَهْصُرُ الْمُطْلُولَ مِنْ مَا تُد غُصْنَكُ

أَنَا يَامُولَايَ لَوْ تَعْــــَكُمُ رُوحَ

تَنْظُرُ السَّاءَةَ من حين لحين ليَّتَ شعرى ماَ الدَّى يَسْتَعَجْلُكُ فَاتَّق الْحُبَّ وَدَعْ مَا يَشْغُلُك

إِنَّ هٰذَا الْوَصْلَ أَحْلَامُ سنين

مارس سنة ١٩٣٤

الدكتور طه حسين (۱) بين البغي والعقوق

-:0:-

لا ــ قصة الفأر الجبان فى أساطير الأولين
 شخصية زكى مبارك وشخصية طه حسين
 وزير المعارف الجديد

قصة الفأر الجبان

فى أساطير الأولين أن شيخا من السحرة كان فى بيته فأر جبان لا يسمع مواء القط إلا اضطرب وخاف ، فأشفق الساحر عليه وحوله إلى قط ، فصاريخاف من الكلب ، فحوله إلى كلب فصاريخاف من النمر ، فحوله إلى نمر فصاريخاف من الفيل ، فغضب الساحر وقال ؛ لافائدة من ترقيتك إلى حيوان مستأسد مادمت تحمل قلب الفأر الجمان

⁽۱) رسالة من كتآب , أكواب الشهد والعلقم، الذى سنصدره فى العام المقبل ، وإنما تعجلنا نشر هذه الرسالة فى « البدائع » لآن الجمهور تشوف اليها كثيرا ، ولأنها كانت ذات تأثير شديد فى جميع الآنديه الآدبية ، وبفضلها انكشف طه حسين وعرف الناس أنه كالطبل الاجوف وأنه مثال الانحطاط بين أهل هذا الجيال

وفی أخبار العصر الحدیث أن رجلااسمه زکی مبارك كان يهجم على شخص اسمه طه حسين ، وكان طه حسين يسكت فلا يجيب ، فكان النياس يظنون أن طه حسين يترفع عن ملاحاة زكل مبارك ، ثم مضت أيام وأصبح زكى مبارك موظف فى الحكومة المصرية ، ورأى طه حسين أن الوظيفة تحرم على صاحبها ألوانا من الخصومات ، فانطلق كالسهم يأكل لحم زكى مبارك فى غير تعفف ولا إشفاق ، وكذلك عرف الناس أن طه حسين لم يكن يترفع عن ملاحاة زكى مبارك ، وإنما كان يخاف ، فلما رأى أن زكى مبارك أصبح فى قيود الوظيفة أمن واطمأن ، واندفع يناوشه و يلاحيه بلسان شجاع وقلب جبان

يادكتور طه ، سلام عليك !

لقد كان النساس يحسبونك جبانا حين كنت أستغضبك فلا تغضب ، وأطعنك فلا تهتاج ، فما بالك اليوم تشجعت وشغلت نفسك بمحاربتي في صحيفتك السوداء ؟ أتحسب أن الوظيفة تحولني إلى رجل جبان كما فعلت بك في الآيام السوالف ؛ معاذ الله أن يكون ذلك، وسترى كيف أجعل لحي حراماعليك ، وكيف أخرسك فلا تنطق و لا تبين ، لقد كانت بيني وبينك عمود رعيتها بأدبي حق الرعاية ، وهأنذا أراك تحللت من جميع ما كان بيني وبينك من عمود فاذهب فقد ألقيت حبلك على غاربك ، ولن أرعى لك بعد اليوم عهدة ولن أدعك تنهش لحي ، وهل من البر أن نصفح عن الغادرين ؛

يادكتور طه!

كيف نسيت فضلى عليك ، يوم نبذك الناس نبذ النواة ، ولم يكن لك نصيرسواى ؟ أتذكر يوم كان أصحابك يفرون منك كا يفر السليم من الأجرب ؛ أتذكر كيف كنت وحدى صديقك الذى لا يغدر ولا يخون ، وكان إخوتك وأصدقاؤك بين خائف يترقب ، وحاسد يتربص ؟

يادكتور طه!

ماذا تملك من السلطان حتى تهدد و توعد و حدثنى ماذا تملك فقد ضقت ذرعا بوعيدك؛ هل تملك غير الدسائس التى تسطرها ضدى فى صحيفتك السوداء؛

إن هذه الدسائس لن تفضح أحدا غيرك ، لأنها أظهر تك على حقيقتك ، وبينت للناس أنك بعيد كل البعد عن أخلاق الأشراف كل ما تملك هو الانتساب إلى العلم والعلماء ، ولست من ذلك في كثير ولا قليل ، ويجب أن تعلم أنى أزاحمك برأس أرجح من رأسك ، ومنكب أضخم من منكبك ، وساعد أقوى من ساعدك ، وستندم يوم لاينفع الندم ، فاعرف قدرك ، ولا تطمع فى أن ألاينك ، فانى أو من بالله وحده وهو نعم المولى و نعم النصير، أماأنت فلا تعرف أنصارك إلا فيمن يزحفون فوق الأرض . تذكر ربك من واحدة ، ياغافل ، فسينصر في الله عليك ، ولو خدمت ألف حزب وسيطرت على ألف جريدة ، والمستنصر بغير الله مخذول وإن أعانه الثقلان 1 على ألف جريدة ، والمستنصر بغير الله مخذول وإن أعانه الثقلان 1

شخصية وشخصية

يادكتور طه!

أنت تعجب من رجوعي إلى الجامعة المصرية ، فاتعلم أن حجتك في هذا العجب ساقطة أشنع السقوط ، لانني لم أجيء إلى الجامعة من عرض الطريق ، فقد زكيتني أنت للتدريس في الجامعة منذ تسع سنين ، واشتغلت بالتدريس في الجامعة ثلاثة أعوام بجانبك ، ولم تؤ اخذني بهفوة واحدة ، وكتبت عنى تقريراً كان يومئذ يمثل نزاهتك فقلت إنى أؤدى عملي تأدية موفقة وأنك راض عنى وعن عملي كل الرضا ، وأنت تذكر يادكتور طه أن إرادة فوق إرادتك أخرجتني من الجامعة ، وتذكر أنك مثلت دور الرجل الكريم فجزعت لخروجي من الجامعة أشد الجزع ، ورشحتني للرجوع اليها بعدذلك مرتين ، ومن حسن الحظ أن ذلك كله مسجل في أوراق رسمية متشهد عليك إن أنكرت

فيا أيها الغادر بأخيه كيف تنسىكل ذلك ليصح لك الزعم بأن رجوعى إلى الجامعة لم يكن إلا مكرمة خالصة من معالى الاستاذ حلى باشا عيسى، مع أن حلى باشا لم يصنع أكثر من تحقيق رغبة صالحة أعلنتها أنت مرتين !! ومع ذلك، فبأى حق تكون أنت أولى منى بمناصب الجامعة المصرية ؟

الیك الفروق الواضحة بین شخصیة زکی مبارك ، وشخصیة طه حسین :

لقد ذهبت أنت فأتممت دراستك فى باريس ، وذهبت أنا فأتممت دراستى فى باريس ، فهل تعلم ما الفرق بينى و بينك و السمم أيها الصديق القديم البالى :

ذهبت أنت على نفقة الجامعة ، ومضيت أنا متوكلا على الله فأنفقت ما ادخرت من عرق الجبين

واتصلت أنت بالمسيوكازانوفا ففرض عليك آراء فرضا ، ولم تكن رسالتك عن ابن خلدون إلا نسخة من آراء ذلك الاستاذ ، واتصلت أنا بالمسيو مرسيه ، ففرضت عليه آرائى فرضا ، واتصلت بينى وبينه الخصومة فآذانى إيذاءاً شديدا ، ولكن قناتى ظلت صلبة واستطعت أن أقوض كبرياه فى عقر بيته وفوق كرسى السوربون ولم تمر هذه المعركة بلا غنيمة ، فقد وقف المسيو ماسينيون يوم أديت امتحان الدكتوراه ، وقال : « إننى حين أقرأ أبحاث طه حسين أقول : هذه بضاعتنا ردت الينا . وحين أقرأ أبحاث زكى مبارك أشعر بأنى أواجه شخصية جديدة »

فان كنت فى ريب من ذلك فاسأل من حضروا امتحاني فى السور بون ، وكانوا مئات ، وفيهم مدير البعثة المصرية فى باريس ،

ولك أن تسأل المسيو ديمومبين ليخبركأن المسيو مرسيه صارحه بهذه العبارة « إنى لاأستطيع أن أمنح زكى مبارك ما يصبو اليه : فاني أقرأ في وجه هذا الفتى آيات الطموح الجارف وأخشى أن يجى عداً ومعه سفير مصر ليطالب بكرسى من كراسى السوربون »

وأنت يادكتور طه تعلم من هو زكى مبارك ، وتعلم أنه لايخاف الاالله المتفرد بالعظمة والجبروت ، وقد عرفت منى ماسرك وساءك والدنيا أفراح وأحزان

ثم ماذا ? اسمع أيها الصديق:

لقد اشتغلت أنا بالصحافة ، واشتغلت أنت بالصحافة ، واليك الفرق بين الشخصيتين:

كنتأنا رئيسا لتحرير جريدة الافكار ، وكانت تدافع عن مبادى الحزب الوطنى ، وكان يشرف عليها عبد اللطيف بك الصوفانى ، فكنا نختلف ونختصم فى كل صباح ، لاني كنت آبى أن أكتب غير ما أراه فى التقلبات السياسية ، وكان يتفق أن أخرج من الجريدة قبل أن أتم مقالى ، فيخرج الصوفاني بك يبحث عنى ويترضانى وأنت اليوم رئيس تحرير جريدة وفدية ، فهل تدرى ماذا تصنع وأنت اليوم رئيس تحرير جريدة وفدية ، فهل تدرى ماذا تصنع تدخل إلى مكتبك فلا تكتب سطراً قبل أن تتصل تليفونيا بهذا أو بذاك لتتلقى الوحى ، ثم تكتب ما يلقى عليك وكأنك الببغاء ؟!

ثم ماذا ؛ اسمع أيها الصديق:

اشتغلت أنت بالتأليف واشتغلت أنا بالتأليف ، واليك الفرق بين الشخصيتين: مضيت أنت فانتهبت آراء المستشرقين و توغلت فسرقت حجج المبشرين ، و كان نصيبك ذلك التقرير الذى دمغتك به النيا بة العمومية .. وأنت تعلم أن ليس لك رأى واحد وصلت اليه بعد جهد و بحث ، وقد تحديتك في كتاب النثر الفنى ، فسكت و تخاذلت لانك تعلم أن بيتك أوهى من بيت العنكبوت

واشتغلت أنا بالتأليف فكانت آرائى كلها مبتكرة ، ولم يستطع أحد أن يتهمنى بالسرقة من فلان أو فلان ، كما اتهموك بالسرقة من من جميع الناس

ومؤلفاتك تموت يوم تولد؛ ولكأن تسأل لجنة التأليف لتخبرك أن كتاب الآدب الجاهلي لم يبع منه شيء بعد النسخ التي فرضتها أنت على طلبة كلية الاآداب

أمامؤلفاتي فهي في جميع الآيدي ؛ وتعـاد طبعاتهـا وتطلب في جميع الأوقات.

شم ماذا و

كنت أنا فى الجامعة وخرجت ، وكنت أنت فى الجامعة وخرجت فهل تدرى ماكان منى وماكان منك ؛

خرجت أنا من الجامعة فـلم أعتمد على غـير الله، وأنت تذكر پادكـتور طه أن الاستاذ سليم حسن سألني بحضرتك عما عملت، فأجبت انت ، وكنت يومئذ رجلا شريفا :

« لقد عمل زكى مبارك ما يعمل الرجــل: رآني أتجنى، ورآى، لطفى بك يتدلل ،فتركنا ومضى يجاهد جهاد الرجال »

خرجت انا من الجامعة فاشتغلت بالتدريس والصحافة الأدبية ، وجمعت من المال الحلال ما أتممت به دراستي في باريس ، وطبعت عددا عظيما من المؤلفات ، وكتبت في الأدب و الاجتماع صفحات تعد بالالوف ، والحمد لله رب العالمين

وخرجت أنت من الجامعة فانزويت في بيتك وأخذت تبحث عن سيد ، وطالت حيرتك في تخير سيدك الجديد ، فكنت تراه تارة من هؤلاء ، ورأيت أخيرا أن مائدة الوفد أشهى من غيرها وأمتع ، فذهبت وقدمت اليها نفسك ، وهددت الدكتور هيكل بكشف أسرار الدستوريين

أفرأيت الفرق بين شخصية زكى مبارك وشخصية طه حسين ثم ماذا ۽

كانت لى آراء جريئة ، وكانت لك آرا. جريئة

أما أنا فكنت لاأذيع الرأى إلاحين أعتقد صحته ، وماكان يهمنى مطلقاأن أعادى الجمهور بلا موجب ، أما انت فكنت لوحة اعلانات لا تذيع الرأى الالتغيظ الجمهور ولتصبح حديث الناس فى الاندية والمجتمعات

ُلقد أخرجت كتاب الشعر الجاهلي في سنة ١٩٢٦ وكتبت في

مقدمته فقرات تتحدى فيها الرأى العام و تعلنه بالحرب الشعوا. ، ثم اتفق أن ذهبت لحضور المؤتمر التاريخى فى الشام ، ورجو تنى أن أحفظ لك ما بكتب ضد الكتاب ، فلما عدت سألتنى فأخبر تكأن الكتاب قوبل بالاعراض ، فأظلم وجهك لحظة ، واصفر لحظات ، لأن أملك خاب فى تهييج الجمهور ، ثم سعيت سعيك فى لفت الأنظار الى كتابك . أفتذكر كيف كانت العاقبة الها الرجل الشجاع ؟

كانت العاقبة أن دعاك مدير الجامعة و امرك بالاستغفار فخضعت وأذعنت ، ونشر قلم المطبوعات على الصحف المصرية هذه التوبة النصوح:

«أشهد أنى أومن بالله وملا تكته ورسله وكتبه واليوم الآخر». « طه حسين »

وكان حادثًا مضحكا أخزيت به العلم وآذيت كرامة العلماء أنت تؤمن بالله وكتبه يادكتور طه وانت تكذب التوراة والقرآن اعتمادا على رأى خاطى. سرقته من احد المبشرين م يحزننى والله أن أذكرك بهذا يادكتور طه ، فانا اعرف كيف

تؤلمك هذه الذكرى، ولكن ماذا أصنع، وقدنقضت العهد، و هدمت ما بنيناه من صروح المودة في عشر سنين ؟

وليتك وقفت عند هـذا الاستغفار العجيب بـل ورطت مدير الجامعة حين اكدتأنك لم تلق تلك الآراء الخاطئة على الطلبة فذهب مـ ٣٣ بد – ج ٢

يحكى ذلك فى مجلس النواب، وقام القائلون فعارضوه، ونقـــلوا عنكتابك هذه العبارة:

« ألقيت هذا البحث على طلبة الجامعة وليس سرا ما أذعته على ا اكثر من مائتين »

أبعد هذا تحدث نفسك بمناوشتى وملاحاتي ، وأنا أملك من أسرار حاضرك وماضيك ما يصعب عليك الفر ارمنه ، ولو اعتصمت بشواهق الجسال !!

ثم ماذا ؟

عدت أنا الى الجامعة فى عهد الوزارة السابقة، فهل يستطيع أحد أن يثبت أنى توددت مرة واحدة الى وزير المعارف السابق، وأقسم ماعرفت يوما منزل حلمي باشا لافى القاهرة ولافى الريف مع أن أهله من جيران سنتريس، ولا رأيت الى اليوم وجه عبد الفتاح يحيى باشا، ولا كتبت سطرا واحدا فى جريدة الشعب أو جريدة الاتحاد

فهل تعرف أنت شيئًا من هذه الكرامة يادكتور طه ، وأنت لم تترك حزبا الاخدمته ، ولاجريدة حكومية الا توددت اليها . بعدد عديد من الرسائل الطوال؟!

الحقد آن أن تعرف أن هناك فرقا عظيما بـين شخصية زكى مبارك وشخصية طه حسـين ، وآن لك أن تنزجر وتخشى عواقب التعرض لعداوات الرجال

أكتب هـذا وأنا أعلم أن ستنكمش ، لأن مثلك لايطغى إلا حين يأمن،فاذا خوفناه خاف !

* *

وزير المعارف الجديد

وقد ترامت الينا الأخبار بان الدكتور طه يعتز اليوم بصداقة وزير المعارف الجديد وأنا أعرف أن الاستاذ نجيب الهلالى يعطف على الدكتور طه كل العطف، لأن له أوطاراً لا تقضى إلا باصطناع ذلك الفأر الجبان ، ويسرنى والله أن يتقدم فيؤيد عطفه عليه بوظيفة تريح منه الصحافة ، وتريحه من الصحافة ، فقد كاد يفسد الجو الصحف إفسادا لا إصلاح بعده، ولم يستطع مطلقا أن يربح من الصحافة ما يغنيه عن شكوى الزمان

ولكن طاش سهمك يادكتور طه إن كنت تحسب ان نجيب الهلالى بك لن يكون له هم ولا وسواس إلا أن يتسقط مواقع هواك او يتلمس مساقط رضاك ، إن الوزراء لهم هموم أعلى وأشرف من شفاء أحقاد الموتورين ، وسترى أن نجيب الهللى أعز على نفسه وعلى حاضره وماضيه من أن يقيم وزنا لوشايات العابثين ، ودسائس الحاقدين ، إن كان فيه شيء من نخوة الرجال

ليس بيني وبين وزير المعارف الجديد صداقة ولاعداوة ، ولو كنت من أعدائه لما خشيت شره ، فلسنا في القرون الوسطى يادكتور طه حتى نخاف الوزراء، فكفكف من أوهامك وتذكر أن إنصافك ليس معناه أن يظلم غيرك لتكون وحدك فارس الميدان

ما الذى تصبو اليه يادكتور طه ? أثريد أن تعود الى الجامعة ؟ أهلا وسهلا!

ولكن تذكر انك كنت السبب فى تأخر التعليم فى كلية الآداب وأنصح لك إن رجعك اليها الوزير الجديد أن تفهم أنه لا يجوز لاستاذ أن يواجه الطلبة إلا بعد أن يعرف موضوع الدرس. فانت تعرف ماضيك فى التعليم و تعرف جيدا أنك لم تكن بالاستاذ. الذى ينفع الطلاب

فان أ نكرت هذا الذي أدمغلك به ، أو حاولت تجريحي في صحيفتك السوداء، فسأكون في حل من سرد ماأعرف من أساليبك. في الدروس والامتحانات ، وفي بعض ذلك ما يخرسك ، وسيكون ذلك في رسائل علنية ، لاأني أكره الدسائس ، ولا أحب العمل الافي ضوء النهار . . . افهمت أيها الاحمق الجهول ؟!

يادكتور طه ا

أنت اليوم تبحث عمن يردك الى عملك ، فلايكن سبيلك الى ذلك. أن تسعى لا يذا عفيرك ، فقد يغضب الله عليك فلا تظفر بقديم و لا جديد والبغى يصرع أهله والبغى مرتعه وخيم وسيرى الناس أن العاقبة لمن يعملون في صدق و اخلاص ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

الالم والحياة

قرأت فى «البلاغ» فقرة مترجمة جاء فيها أن شارلى شابلن قال: « إن بعض الناس يدهشون لاصرارى على الظهور فى رواياتي بمظهر الشريد البائس المتألم، ولكن أليس فى الألم كل معنى الجمال؟»

فتذكرت اننى قرأت لأنانول فرانس منذ أعوام كلمة نفيسة عن الآلم وفضله على الحياة ، فعدت إليه فرأيته يقول ما ترجمته بتصرف يسير :

«بين الوهم الدائم الذي يحيط بنا يبدو شيء واحد محقق: ذلك هو الألم، وهو حجر الزاوية في الحياة، وفوقه قام بناء الانسانية، وكل شيء ما عداه وهم ، وهو وحده اليقين . . إننا نعرف أننا نتألم ولا نعرف شيئا غير ذلك، وهنالك القاعدة التي بني عليها الانسان كل شيء نعم فوق صخور الألم أقام الانسان صرح الحب والشجاعة والبطولة والرحمة والفضائل والقوانين، ولو انعدم الألم لاسودت تلك الجوانب الجميلة من الحياة وسقطت في هاوية الفناء، وعند الانسانية شعور مظلم بضرورة الألم ، ومن أجل ذلك وضعت الحزن بين فضائل الأخيار والقديسين . فيا أسعد الذين يتألمون وما أشقى السعداء الوقد عاش الانجيل ألنى سنة في العالم لآنه زفر

بصرخة الآلم وأشاد بأحزان البائسين »

وقبل شارلی شابلن وأناتول فرانس کان ألفرید دی میسیه یقول:

« الألم هو الذي يصيرنا عظماء »

فهل في ذلك شيء من الحق ،

الألم أساس النفع وأساس النجاح ومصدر العظمة ، على شرط أن لا يكون نوعا من القلق العليل ، فهناك ناس يستريحون إلى الحزن المبهم ويرون فيه لونا من السلوة والعزاء ، ومثل هذا الألم لا يصل بالمتألمين إلى ربح جزيل ·

الآلم النافع هوألم الرجال. والرجل قد ينألم ولكنه لايصرخ وكم فى العالم من رجال محزونين ولكنهم لا يفارقون الابتسام وهؤلاء يدركون معاني الحياة ويعرفون طعم السراء والضرا. ، وتكويهم المحن والخطوب ، ولكنهم يستكبرون على الجزع والشكاية ، ويرون الناس أصغر وأهون من أن ينتظر منهم الكريم كلمة رثا.

الآلم المشروع هو الآلم فى الحب: لأنه نوع من العطف والحنان ، وهو كذلك نوع من الاشفاق على الجمال ، والجمال أشتى الموجودات فى العالم مهما استطال أهله و نشروا ألوية العتو والكبرياء فالعاشق يحزن ويتألم ، ولكنه فى ألمه وحزنه قوى متين

أما الآلم في سبيلُ المجد فرذيلة ، وليس للرجل أن يتألم حين

يفوته الحظ اللائق به ، ولكن عليه أن يحقد ، وهذا هو الموطن الذى أرى الحقد فيه فضيلة ، وحاشا للقارى ان يظن أنى أدعو إلى الحقد السافل الذى يتسلح به الجبناء والأوغاد، إنما أدعو إلى الحقد الشريف الذى يفرض على أصحابه أن يستعدو الكبت خصومهم فى ميادين الجد والنضال والكفاح. وهل هناكحظ أطيب وأشرف من أن تشعر خصمك بأنك أقوى منه نفسا وأشد مراسا وأصلب عودا ، إن ذلك لهو الفوز المبين.

۱۳ نوفمبر سنة ۱۹۳۱

دواعي الشعر^(۱)

- 1 -

أيها السادة

إن القمر الزاهر الذي يغازل الشعراء كما يغازلونه ، والبحر الزاخر الذي يعجب الأدباء بأمواجه المتلاطمة ، كما يعجب بأفكارهم

⁽۱) مطلع هذا البحث كان في الأصل خطبة ألقيت في فندق شبرد سنة ۱۹۱۸ في حفلة اقامها طلبة الجامعة المصرية لشكريم أستاذ اللغة الانجليزية ثم رأى الكاتب ان يتابعه في جريدة الأفكار في صيف سنة ۱۹۹۹ وكانت الثورة مشبوبة ، فاشترك السيد حسن القاياتي في المناقشة وغضب الشاعر احمد نسيم فارسل إلى الكاتب قصيدة هجاء بامضاء (الاخطل) وهذه الرسائل في جملها تصور ماكان عليه الشعراء في ايام الثيرة المصرية من النهيب والانزوا.

المعجزة ، والروض الضاحك الذي يبسم الكتاب لأزهاره الشائقة كما يبسم لكلماتهم المتناسقة ، تلك الظواهر الطبيعية التي تبعث على الشعر ، و تدعو إليه ، هي هي في كل قطر ، وفي عيني كل كاتب ، وفؤاد كل شاعر : وذلك ما أوجد التشابه في خيالات الشعراء، وأفكارالكتاب، وجعل الفرق غير بعيد بين قديم الشعر وحديثه، وطارف النشر وتليده، فاذا قال قائل: إن العقل البشرى سائر نحو الارتقاء في كل سبيل إلا من حيث الخيال الشعرى ، فاعلم أن ذلك ليس لعجز في القوى البشرية ، أو تقصير من الشعراء أنفسهم ، إنما كان ذلك لأن دواعي الشعر خلقت مع الانسان يوم خلقه ، بل قبل أن يخلق بأجيال ، فلا بدع إذا أن يظل امرؤ القيس شاعر العرب وهوميروس شاعر اليونان، وإن طال العهد وبعد الأمد، ولا كذلك ما عدا الشعر من الفنون والصناعات. فان موجباتها خلقت مع الحوادث شيئًا فشيئًا ، ولا تزال ، فليس عجيبًا بعد تُذ أن يقف الشعر أو يسمر سيرا هادئا في حين أن باقي الفنون تسابق الظل، موتجاري الربح في السير نحو الـكمال.

تلك أيها السادة : علالة المتعلل وحجة الضعيف المغلوب ، موكيف تكون دواعى الشعر بالأمس هى نفسها دواعيه اليوم ، نعم إن السهاء ما زالت كهيئتها يوم خلق الله السهاوات والأرض ، وإن البحار مازالت زاخرة عجاجة على نحو من العظمة والجلال يتشابه أوله مع آخره ، وإن الرياض ما زالت تلبس فى الحاضر أثوابها فى

الماضى، ولكن هل بنبغى أن يكون شاعر اليوم كشاعر الأمس الكلا والله فان الناس من قبل كانوا ينظرون إلى السهاء من بعد؛ فأصبحوا يتبينون خفاياها بالمراصد ، وكانوا يعجبون بالبحر وهم وقوف على شاطئه ، فأصبحوا اليوم يخوضون أحشاءه ويسبرون أغواره ، وكانوا ينعمون بالرياض وهى حسنا، مهلهلة الثياب فأصبحوا يلهون بها عذراء غضة

« تأود تحت الحلى فى الحلل الخضر »

فهل یلیق بشاعر بعد ذلك أن یقنع بما يمده به خاطره من المعانی القديمة ، و الخواطر العهيدة ؛ هذا و الله ضعف و انحطاط فلا تكثروا ذكر الزمان الذي مضي

فذلك عصر قد تقضى 'وذا عصر

وما أشبه حالنا مع من تقدمنا من الشعراء إلابشاعر عاشق رأى فى النومطيف حبيبه فأصبح وقد ملا الدنيا غزلا و نسيبا ، فلما أتيح له أن يراه رأى العين أفحم ، وكذلك رأى أسلافنا ظواهر الطبيعة فقالوا وأبدعوا ، ووقفنا نحن على حقيقة الكون وأسرار الوجود ولكن لم نشعر كأن لم نشعر !

وقدو جدت مكان القول ذاسعة فان وجدت لسانا قائلا فقل إلا أنه اذا كانت تلك الظواهر الطبيعية هي الينبوع الأول الذي تتفجر منه الخيالات الشعرية والمعاني الأدبية ، فان الشاعرية لتزداد بالنظر فيما ترك الشعراء والكتاب من بديع الشعر ، وطريف النثر مسلم على المدينة الشعر ، وطريف النثر مسلم المدينة الشعر ، وطريف النثر مسلم المدينة الشعر ، وطريف النثر مسلم المدينة الشعر ، وطريف النثر ما كا المدينة الشعر ، وطريف النثر ما كا المدينة الشعر ، وطريف النثر المدينة الشعر ، وطريف النثر المدينة الشعر ، وطريف النثر المدينة المدينة الشعر ، وطريف النثر المدينة المدينة المدينة المدينة المدينة المدينة الشعر ، وطريف النثر المدينة المد

فان فيماترك أولئك الكرام الكاتبون لجنات وأنهار الموشموساو أقمار ا توحى الى المر. من ساحر الحيال ، وفاتن القول ، ما تعجز عن مشله الأنهار الجارية ، والرياض الحالية، والسهاء الصافية ، وإذاعر فنا حاجتنا الى النظر فيما ترك الشعراء والكتاب فلا بدأن نعرف أيضا أن ذلك لا يختص بأمة دون أمة ، أو إقليم دون إقليم .

وإن الذي يريد أن يتكمل في الشعر والأدب يجب أن ينظر فيها ترك الأدباء في مشارق الأرض ومغاربها ، من الا ثار الأدبيه والطرائق العلمية . إذكما لايمكن للرجل الواحد أن يخترع علما شم يكونأول الناس وآخرهم فيه ، فكذلك لايمكن لأمة واحدة أن تقوم بحاجة البشر في فن من الفنون ولاسيما في الآداب التي هي خلاصة الأفكار ونتيجة الخواطر · لذلك رأىرجال الجامعة المصرية ، وهم من نعرف في بعــد النظر ، وأصالة الرأى ، أن تدرس آداب اللغة الانجلىزية والفرنسوية، بجانب آداب اللغة العربية. فكان ذلك فضلا الى فضل ، وأدبا الى أدب. وإذا لاحظنا أن أدباء الانجليز من أحرص الناسعلي العلم والآدب وأعلمهم بلغات الآمم وآدابهم وأشدهم عناية بتقييد الأوابد، وضم الشوارد، وأكثرهم ضربا في الأرض، وسيرا في الأقطار، وأكثرهم تعرفا لأحوال الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين أشكالهم، إذا لاحظنا كل ذلك عرفنا أن آداب اللغة الانجايزية انما هي خلاصة آداب الأمم ، إذ كانت نتيجة التجارب العـديدة ، والمشاهـدات المختلفة ، في أكثر بقاع الأرض

وأغلب أنحاء المعمورة . وكذلك يكون العارف بآداب هذه اللغة عارفا بآداب أمم عدة لا أمة واحدة . وإذا لاحظنا أيضا أن آداب اللغة العربية إنما هي آداب أمم مختلفة جمعها الدين وألف بينها الاسلام كاأن آداب اللغة الانجليزية آداب أمم شي؛ عرفنا أن العارف بآداب اللغتين العربية والانجليزية من أغزر الناس مادة في الأدب وأرسخهم قدما في عالم الشعر . فهنيمًا لاخو اننا الذين تمكنوا من آداب لغتهم العربية ثم تكملوا بآداب اللغة الانجليزية ، فشربوا من الكائسين، وتحلوا بالفضيلتين ، والسلام

- Y -

القيت خطبة فى فندق شبرد تكريما للمستر ورتهام أستاذ آداب اللغة الانجايزية ، فى الجامعة المصرية ،رددت فيها على القائلين بوقوف الحركة الشعرية ، لوجود الدواعى متماثسلة متشابهة فى كل العصور ، ووازنت بين دواعى الشعر بالامس ودواعيه اليوم ، وأنحيت باللائمة على الشعراء الجامدين ، الذين لايزالون يترسمون خطوات من سبق وهم عن الجديد معرضون

غير انى نظرت الى تلك الدواعى من الوجهة الطريفة ، فجعلتها في الرياض الزاهرة ، والبحار الزاخرة ، وفي البدور الطوالع ، والشموس السواطع ، وأضفت الىذلك مايكتسبه الفكر من النظر في الاتداب الاجنبية التي قد تزيد أدبنا وضوحا وبيانا ، إذا عرفناأن

الناس من نفس واحمدة ، وأنهم يسعون إلى غرض واحمد : وهو فهم حقيقة الكون والثناء على الله

واليوم أقول: إن تلك الدواء السالفة انما هي لقوم بلغوا من الحضارة والرق ما يسمح لهم بالتفكير في الجمال ، والتفنن وصف غرائبه ، من الظباء النوافر ، والحسان الأوانس ، ورأوا من قومهم نفوسا عاشقة لطرائف الحسن ، وقلوبا تائقة لبدائع الشعر ، فقالوا في وصف الرياض والأزهار والبحار والانهار ، والقصور المشيدة ، والصروح الممردة ، وخاطبوا النفوس الناعمة ، والقلوب الوادعة ، وانتقلوا من عالم الحس إلى عالم الخيال ، فوصفوا أحلامهم اللذيذة وأمالهم الحلوة ، الى غير ذلك مما يجد في قلوب، أهل السعة ونفوس أهل الرغد ، ميدانا يمرح فيه ، وروضا يأنس به ، وكذلك نفوس الشعراء ، في أيام الرخاء

أما دواعى الشعر فى هدذا البلد، وفى هدذه الآيام، فهى غير أسبابه تلك، لما ترى من الفرق الظاهر بدين عامتنا وخاصتنا، وقلما يتغنى الخاصة بالشعر، إن لم تصغ العامة إليهم، ويفتحوا لهم آذانهم وقلوبهم

وهل يطربالناس للشعر وهو يصف مالايحسون به، ويتحدث عما لم يستطيعوا إليه السبيل!!

ولقد كان عجبا عند الشاعر حافظ إبراهيم أن يجيد العربوصف الناقة وهي تلك المركب الصعب ، ولانجيد نحن وصف ذلك المركب

الذلول (الأو تومبيل) ولولحظ أن الشاعر العربى ماأطنب فى وصف الناقة إلا لأنهاكل شيء عنده ، ولأن أهله ورفاقه يعرفون من صفتها ما يعرف لعلم أن السر فى عجزنا عن وصف الاتومبيل ، ليس هو ضيق اللغة كما زعم ، بللاننا ننظر الى هذه المخترعات فى الارض. كاننا ننظر إلى الشمس فى السماء .

مالنا ووصف هذه البدائع الفتانة والنفائس الخلابة ، ونحن لاننعم بها ، ولا شيء فيها من صنع أيدينا؟ إذن فلنترك وصفها وتقريظها لشعره الغرب أولئك الذين يجدون من السرور بركوبها ماكان يجده العرد وقد علا ظهر البعير البازل ، أو تسنم الناقة الهوجاء.

وقد كان أستاذنا الشيخ محمدالمهدى يقول وهو يتحدث عما أبدع الشعراء فى وصف الشمعة : لاأدرى ماكانت تكون حالهم لوشاهدو اغرائب هذه الآيام ? إنى لا أشك فى أنهم كانوا يجيدون .

وليسمح لى أستاذى أن أقول: إنهم لو عاشوا إلى عصرناً لعجزاو عجزنا فان الأمركما قيل:

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ، ولكن الرماح اجرت وكما قال ابن الزيات :

لك أن تبدى لنا حسنا ولنا أن نعمل الحدقا فان قومنا لم يفكروا فى مجاراة الآمم المولعة بأعاجيب الصناعة حتى نجاريهم فى أفانين البلاغة

وإنا لجديرون بأن ننشط الىالافتنان والابتداع ، إن نشطوا الى

الابتكار والاختراع ، وإلافليلوموا أنفسهم إنكانوا منصفين

---Y---

قل لى بربك ، ماأنت صانع لو زرت الأهرام ، وكنت بمن رزقوا الشعر الفصيح ، و الخيال البديع : أتغرب في وصفها بالوسامة الشاملة والقسامةالكاملة ، وتتغنى بارتفاعهاالباهر ، وانساعها النادر. فتسلك سبيل الفاهمين منآهل مصر القديمة ، والغافلينمن أهلمصرالحديثة أم أنت سالك غير تلك السبيل ، وخائض في غير ذاك الحديث مازلت أسميع الشعراء من حولى يتغنون بالحضارة القديمة ، ويشيدون بذ ىر الفراعنة ، ويلهجون بمجد العرب ، كأن مصر مازالت سيدة العالم وكائن رجالها مازالوا خير الرجال، وكائن العرب ماز الوا سادة المشرقين وقادةً المغربين! قاتلكم الله ! تضحكون في موضع البكاء، وتفرحون في موقف الحزن، ولو كانت لـكمضمائر شاعرة ، و بصائر ناظرة ، لبكيتم مع الباكين ، و نحتم مم النائحين، فقد ذلت هذه الآثار بذلكم ، وضعفت بضعفكم ؛ وأضحى هرم خوفو كائن الصبا توفى نذورا إذا انبرت

تراوحه أذيالها وتباكره

لقدكثر شعراء مصر ، وتوفروا على معنى واحد ، كما تكثر الاشجار فى بقعة واحدة ، فيأكل بعضها بعضا ثمم لا تزهر ولا تثمر! وقصارى أحدهم أن يفتخر بأنه مصرى أوعربى ، يريد أنه من

جِمَايًا الفراءنة ، أو من سلالة الأقيال

أهؤلاء الجبناء ، الذين يخافون ظلهم ، ويهابون طيفهم ، من ذرية أولئك الذين أخضعوا الأرض وهموا بمحاولة السماء ، فحاربوا الناس تارة ونازعوا الآلهة تارة أخرى ؟

أهؤلاء من سلالة ذلك الذي قال: ياهامان 1 ابن لى صرحا، العلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى

تعالى الله فى سمائه 1 وكفر فرعون وهامان ! ولكن أليس من العجب أن ينتسب هؤلاء الأصاغر إلى أولئك الأكابر ، وهم أذل من قراد بمنسم ، وأضيع من الأيتام على مائدة اللئام

ولقد يذكرون ان المأمون قال لوزرائه يوم زار اهرام مصر: إنها مبان جليلة ، ومنازل شامخة ، ولكنها لا تستحق أن يحاول صاحبها السهاء لينازع الاله · فقال له بعضهم : ياامير المؤمنين إن الله يقول : (ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون)

فاذا كانت هذه بقايا ما دمر ، فكيف كانت تلك العروش فهت المأمون وسكت

يقولون إن الولد سر أبيه . فما بال أبناء النيل فى ذلة ، واحفاد العرب فى ضعة ؛

ایستطیع احد مرب شعرائنا الآن ان یقول کما قال قیس ابن الحطیم:

وكنت امر. آلاأسمع الدهر سبة أسب بها إلا كشفت غطاءها

فانى فى الحرب الضروس موكل باقدام نفس ما أريد بقامها متى يأت هذا الموتلاتلف حاجة لنفسى إلا قد قضيت قضاءها

اين شعرا. الوطنية ؟ ؛ اين عشاق الحرية ، 1

فهذا أوان الشعر سلت سهامه معابلها والمرهفات السلاجم

لقد مات منهم من مات ، واغترب من اغترب ، وبتى جماعة يقلون عند الفزع ، ويكثرون عند الطمع

رضوا بصفات ماعدموه جهلا وحسن القول من حسن الفعال

-- £ ---

يكتب صاحب العزة على بك فهمى كامل مقالات شائقة تحت عنوان « لوكنا مستقلين » جاء فى اولها قوله: « لوكنا مستقلين لعم العلم الديار ، وراجت الصناعة فى كل الأمصار ، وحل اليسر محل البوار ، واصبح المصرى فى كل مكان يشار إليه باطراف البنان » وانا اضيف إلى كلماته الجملة الآتية : لوكنا مستقلين لكثر شعراء الحماسة ، وقل شعراء الخلاعة ، ولعادت للشعر مواقفه المشهودة ، ومشاهده المعروفة ، يوم كان بيت يبعث الحرب،

وقصيدة ترجع السلام ا

ويقول الـكاتب مصطفى المنفلوطي في مقدمة مختاراته :-(وأحسب الن ما يتعلق من الشعر بالحماسة ووصف الحروب واسلحتها ودمائها وغبارها واشلائها هوآخر ما يحتاج إليه المتأدب في هذا العصر)

ومعنى ذلك ان عصر البطولة قد مات ؛ وزمن الرجولة قد باد، ولم يبق إلا أن يلبس الشعراء اثواب الندماء ، فيقضون الليل في خمر ، والنهار في خمار

ولست ألوم المنفلوطي على أن جعل مختار اته خلوا من الحماسة ولا أعذل الشعراء على ما فرطوا في جنب البطولة فان ذلك نتيجة الاستعباد؛ وعاقبة الاسترقاق

وكيف يتوفر علىالشعر الحماسي شعب يرىأنه غير مكلف بالدفع عن بلاده ، والذود عن حياضه ، ام كيف يتمدح بالشجاعة من يوصف بالطيش إن أقدم ، و بالحزم إن أحجم ؟

ولقد كثرت احاديث الناس عن فتوى الشيخ بخيت ضد البلشفية ، وفاتهم ان هذا أثر من آثار التبتل الذي جنته علينا الذلة ، ورمانا به الهوان

والذى يتأمل ماكان من فتوى الشيخ يعلمأنه تأثر بالحكمةالقائلة إن العاقل لا يرضى لنفسه إلا ان يكون مع الملوك مكرما او مع الزهاد متنسكا ، وأنه رضي لنفسه حظ ديوجين الـكلي

ولقد ساءه أن ينفرد الحلفاء بمحاربة البلشفية ، وأن لا يكون للصر حظ فى دفع هذا البلاء ، فرمى بفتواه فى صدر هذا المذهب الجديد ليعود وهو صريع

والذى نعرفه من قوة فتاوى الاستاذ ومن حججه الدامغة أن تلك الفتوى كانت جديرة بمحو البلشفية ، لو انها صادفت قلوبا كقلوب المصريين الذين يبجلون الشيخ و بعظمونه ، ولكنها نشرت بين قوم ينكرون مصر وعلماء مصر ، و يعدونهم من سقط المتاع وإني لاخشى أن يصبح علماؤنا وما يعرفون غير السبحة والسواك

يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة و من إساءة اهل السوء إحسانا كائن ربك لم يخلق لحشيته سواهم من جميم الناس إنسانا كا أخشى ان يصبح شعراؤنا وما يحسنون غير الهزل، ولا يجيدون سوى المجون

--- 0 ---

فى مصر اليوم جماعة من الشعراء ، تغنو اكثيراً فى الليالى الخوالى عوم كان الناس يسمرون فى المنازل ، ويسهرون فى البيوت ، وكان الرجل يعرف بالشعر، ويوصف بالآدب ، لبيت يقوله فى تحية رب القصر ، او تكريم السامرين ، وربما وصف بالعبقر بة لطرفة ينسبها

إلى دعبل ، او حديث ينقله عن أبي نواس

مم قضى الله ان يرسل إلى بعض القلوب رسول الوطنية فانتقل الشعر من الخصوصيات إلى العموميات، إلا ان الشعراء كانوا معذلك مقيدين بقيود من الرياء، فكان حافظ إبراهيم لا يطرب للشعر، ولا يخفله، إلا بحضرة الاستاذ الامام الشيخ محمدعبده، وكان احمد نسيم يمزج وطنياته بمدح محمد ابراهيم هلال، وكان شوقى يشوبها بمدح صاحب السمو أمير البلاد، وكنت لا تسمع للشعراء شيئا عير متايدعون اليه يوم الاحتفال بفتح مدرسة، او تشييد معهد، فير متايدعون اليه يوم الاحتفال بفتح مدرسة، او تشييد معهد، . (او فتح باركما فعل فلان) إلى غير ذلك بما يساق اليه الشعراء سوقا بدافع الشهرة، او دافع المال

وكانت الأحزاب قدكثرت في مصر: فكان لكل حزب شاعر وكانت الأهواء، إذ كان ولكل شاعر اشياع ، فتنافرت الآراء ، وتناكرت الأهواء ، إذ كان الشعرا. يستمدون وحيهم من سادنهم وكبرائهم ، وكان سادتهم منشقين مختلفين ، فكانوا يضلونهم سواء السبيل

ثم شب جماعة آخرون لم يقدر لهم ان ينتموا إلى بعض الأحزاب فرضوا بالخول، واكتفوا من الشعر بأبيات يقولونها فى الوصف، او نتف يجيدونها فى النسيب، وربما التفتوا إلى ما ينعم به إخوانهم من السعة فى العيش، والبسطة فى الجاه، فأخذوا فى شكوى الدهر و تأنيب الزمن ووصفوا الادب بأنه رفيق الفقر وحليف المسكنة، وكان بجانب هؤلا. جميعا جماعة من النقاد ينقدون اللفظ والمعنى .

ويعرضون عن النحلة والمذهب ، فكنت تقرأ ما يكتبه الشيخ طه حسين فى نقد حافظ : فتراه جملة من المذاهب النحوية ، والمباحث اللغوية وربما رأيت طائفة من ألفاظ السباب فى خلال تلك السطور وضعها الكاتب حلية لبحثه ، وزينة لنقده ، وكان الويل كل الويل لمن يغفل عرب ترضية اولئك الناقدين فيمسى وهو مقذوف وكذلك كان الشعراء يأخذون طرائق التفكير عن الاحزاب ومسالك التعبير عن النقاد ، ولم يكونوا فى انفسهم شيئا مذكورا ثم كان ما كان من الحوادث التى شتت شمل الجميع . فخفت كثير من أصوات اهل النقد و السياسة ، وعاد الشعراء إلى السكون ألا إنسا فى حاجة إلى شعراء ينظرون بعيونهم ، ويسمعون .

-- T --

قرأنا (دواء , الشعر) فاذا بصاحبها الاستاذ زكى مبارك قد نال من شعراء العصر شديدا ، وطأطأ من كرامتهم ما شاء ، حتى كاد يبتعث الحفائظ ويوغر القلو ب . فقد جاء فيها عن الشعراء حيث يهتف بهم قوله: « قاتلكم الله ! تضحكون في موضع البكاء ، وتفرحون في موقف الحزن ، ولو كانت لكم ضمائر شاعرة ، وبصائر ناظرة ، لبكيتم مع الباكين ، ونحتم مع النائحين ، فقد ذلت هذه الآثار بذلكم وضعفت بضعفكم »

وجا في موضع ثان منها قوله : « لقد كثر شعراء مصر ، وتوفروا على معنى واحد ، كما تسكثر الأشجار في بقعة واحدة فيأكل بعضها بعضا ، ثم لا تزهر ولا تثمر » وقال في غير هذين الموضوعين « أهؤلا الجبناء » وجاء في محل ثان قوله « لقد مات منهم من مات ، و اغترب من اغترب ، و بقى جماعة يقلون عند الفزع و يكثرون عند الطمع »

لشد مانال الاستاذ من الشعراء ، وغلا فىالازدرا. بهم ، على ان هذا لميس من النقد فى شى.

إنا لنطالب الأستاذ جد المطالبة ، ونأخذه أخذا شديدا، بأن يخرج بالمعذرة من تلك البادرة ، وذلك اكبر الظن بأدبه ؛ والعهد يه ، والسلام

حسن القاياتي

-- V --

قرأت ما كتبه الأستاذ السيد حسن القاياتى عن (دواعى الشعر) فحمدت له غيرته على إخوانه الشعراء ، ورفقائه الأدباء ، وسرنى أن كان اول الذائدين عن حياضهم ، والرافعين للوائهم ، فكان كا قال الشاعر :

لوكان في الألف مناو احدفد عوا من فارس و خالهم إياه يعنونا ثم عجبت ، وحق لى ان اعجب ، من رغبته في أن أعتذر

وهل أذنبت يا صاح ۽

ألزمتنى الذنب آلذى جئته صدقت! فاصفح أيها المذنب لا تنس ياصديقى أن كرامة الوطن فوق كرامة الأدب ، وأن. الشعر وسيلة لا غاية ، وأننا جميعا نسعى إلى غرض واحد هو تحرير البلاد

فمن كان اكثر الناس إشادة بذكر الحرية وتغنيا بالاستقلال فهو شاءرنا المفلق، وكاتبنا المبدع، وإن كان شعره منحل العقد، ونثره مختل البناء

انت شاعر ، ولكن فى أى عصر ؟ فى العصر الذى قلت فيه : كائن وساما يعتلى صدر جاهل جنى من الريحان يحمله قبر وحافظ شاعر ، ولكن فى أى زمن ؟ فى الزمن الذى قال فيه :

لقدكان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظلما منظها كنتم شعرا. يوم كانت قصائدكم تهيم فىكل واد ومعانيكم تدب فىكل قلب، ويوم كان الطلاب فى مدارسهم والعمال فى مصانعهم

يشيدون بذكركم النابه ويتغنون بشعركم الجميل

فأما اليوم وقد جنحتم إلى السكون وركنتم إلى الهدو، وهجعت منكم تلك البر اكين الثائرة ، وتو ارت تلك الشموس الباهرة ، وأخليتم الميدان لـكل مجر بالخلاء ، ومستأسد بالعراء ، ثم طويتم اللواء ، وفررتم من الهيجاء ، فأنا ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ، وكما تركتم الأدعياء يصدعون الرؤوس ، ويزهفون النفوس ، يغتصبون الشهرة

اغتصاباً ، و يستلبون المجد استلاباً ،كأن ليست للنقد عين ساهرة ، وكأنكم لا تسمعون

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد يجب أن تعتذرانت ياصديقي وأن يستغفر إخوانك فقد فرطتم في جنب الوطن ونسيتم حق البلاد

أين الشعراء وأين الأدباء وإني والله

أودهم ودا إذا خامر الحشا أضاء على الأضلاع والليل دامس ولكن ما العمل و والدهر عابس، والوقت عصيب، ويكاد المرء ينسى أباه إن خذله، ويهجر أخاه إن خلاه، فهل بقى فى قوس الصبر منزع، أوعادت المرجاء بقية، وهذا البلاء يتطاير من كل جانب والأمل ينهار فى كل واد ؟ ؟!!

ياصديقي إن شموخ الأهرام، وجلال النيل، وجمال مصر به وما إلى ذلك من المعاني الني أوحت اليك و إلى إخوانك الشعر تنطلع اليكم بعين كلها أمل وقلب ملؤه الرجاء، فهل فيكم اليوم من مسعد أو هل لديكم من معين ؟؟

واحر قلباه!!

- A -

عاتبنا الاستاذ زكى مبارك على نبوة كانت منه إلى الشعراء، وهنات اعتمدهم بها في مقاله « دواعي الشعر α : وأخذناه بأن ينزل على حكم الحق من بذل المعذرة ، وإعطاء النصف من نفسه ، فاعتبنا فى الأفكار بكلمة جافية حديدة كائها الكائس الأولى ، لولا سما يلطفها به من مزاج التودد والازدلاف إلى ناحية من المرضاة ، فسامحنا فيها أوحش منها لما آنس ، واغتفرنا ما أحفظ لما أرضى ، فكانت كائسا شربناها على قذاتها ، وعتبى صديق تقبلناها على علاتها . فلم نكد نقول : آها منه ! : حتى قلنا : واها له

ومن لك يوما بأخيك كله!

لاذ الاستاذ منا بالوطن: فذكر بحقوقه ، وأرى من نفسه بحق أن غضبته للوطن كانت ، ومحاماته و نضحه إنما كاناحمية له ، وأنه زرى على الشعراء لتفريطهم في جانبه ، و نومهم عنه فيما يقول

مهلا قليلا أيها المذكر بالوطن وحقه ، فما ذكرت ناسيا ، ولا نبهت غافلا ، إن بنا من الوجد على ذلك الوطن و الحدب عليه . مثل حما بك ، غلة تحرق ، وجوى يؤرق

وتلك طريق لست فيها بأوحد

ذلك حق كله . ولكنك تعلم أننا قدغشيتنا غاشية ، ودهمتنا حال تركت إفصاحنا فى النوجع ، وبياننا فى التفجع ، كبيان الطير تهفو إلى موطن ، وحنين الابل تغدو الى عطرف

شجو حزين، ومنطق لايبين

بنفسى وأهلى من إذا عرضواله ببعضالاذى لم يدركيف يجيب شاهدى على ذلك مقالك أنت . ألست القائل آنفا: « ولكن

ما العمل والدهر عابس ، والوقت عصيب »

على أن أحدنا لايزال يرفع صوته فى الفينة بعد الفينة ، بالكلمة كأنها دمعة يتيم ، وعبرة مهجور ، ينطق بها لحنا ، ويرسلها فى حذار ورقبة ، ثم يجس على أثرها رأسه ، هل طاز عن جسده ؟

أترى نعيش إلى انطلاق الألسن و

مابالك أيها الاستاذ تشركنا فى العمل وتفردنا بالتعجب، كما يقولون:

و تلك شكاة ظاهر عنك عارها:

إن لك بيانا ولسانا ، فأين الذى لهما من أثر فى هذه الآونة ؟ إن قلت قلنا ، وإن سكت سكتنا ، وليس بنا أن نجحد فضلك !

لقد هجت عجبا، وأحدثت طربا، حيث تقول « فمن كان أكثر الناس إشادة بذكر الحرية، وتغنيا بالاستقلال، فهو شاعرنا المفلق وكاتبنا المبدع وإن كان شعره منحل العقد ونثره مختل البناء »

إن للغربان والضفادع أوطانا ، وفى الحقان يذودكل ذى وطنن عن وطنه ، بيد أنه ليس بحسن ولا جميل نعيب الغربان ونقيق الضفادع !! أكل صائحة تطربك أيها الاستاذ؟ رويداً لا يسمعك الادعياء والمتشاعرون، فتملاها علينا نعيباو نقيقا ! لا والله لا يحسن الذياد عن الوطن ولا النضح عنه حتى يكون قولا عليه مسحة السحر وله أخذ كا خذ النفث في العقد ، ينزل على حكمه العصى ويصحب الجموح! أين أنت من البلابل المغردة والطيور الساجعة ، أمشال

كتاب (الأفكار) ولا أمثال لهم 12

عدعن ذا ، كما يقول الشعراء ، وتعال إلى حديث بشاشة واحسان بعد حديث عتب وإعتاب لقد علمت أن جريدة الأفكار أندى الجرائد صوتا بالحق ، وأرحبها صدرا للحرية ، فبعثت اليها بكلمة طريفة في سبيل الوطن، وأكبر ظنى أن رئيس تحريرها النبيل متفضل بنشرها فان نشرت فلن تمترى ، إن كنت من الممترين ، فى أن الشعراء يفون لوطنهم بعض الوفاء وأن لهم قلوبا ترعى كرامة الوطن ، وكرامة الأدب ، ولعلك تقول مكان ، واحر قلباه ا ، واطرباه ! والسلام حسن القاياتي

--- **9** ---

لقد سبقت كلمتنا في إعتاب السيد حسن القاياتي ، وكنا حسبناه أكبر ما شرحناه ، إجلالاللوطنية ، وأحمد ماكتبناه ، إعظاما للحرية فاذا به يدأب في العتب ، ويصر على المحاسبة ، كان ليس لنا عندهمن عذر وكان الشعراء ليسوا بخاطئين

أراد السيد حسن أن يعتذر عن إخوانه الشعراء، وأن يغسل عنهم عار الكسل والخول، فذكر من عنت الدهر، وريب الزمن، ماظنه شافعا في سكوتهم، مبررا لجمودهم، كائن في ضم الفكرة إلى مثلها، ووضع البيت بجانب البيت، شيئًا من التجمهر يأباه القانون ونوعا من المظاهرة تحاربه السلطة، وكأن القصيدة ذات القوافى

الكثيرة ، والفكر العديدة ، شبيهة بالعصبة تجمع فى طريق و احد ، لغرض و احد ، وكأن الشاعر الشاكى الخيال ، شبيه بالثائر الشاكى السلاح .

قد يكون الشعر الباهر ، كالسيف القاهر ، وقد تكون القصائد البارعة ، كالقنابل الرادعة ،وقد يتهيب جانب الشاعر، فوق ما يتهيب جانب الشاعر، فوق ما يتهيب جانب الفارس ، فيكون من كل هذا عذر لاخواننا الشعراء ،و رفقائنا الأدباء ، و يكون سكو تهم من الجبن أبعد ، و إلى الحزم أقرب

•ولكن ألا يحب صديق السيد حسن أن يكون لعصرنا من طريف الاستعارات ، وحديث المجازات ، ما يرفع ذكرنا فى الأواخر ويلحقنا بالأوائل ، بمن لبسوا لكل حالة لبوسها فصر حوا تارة، ولمحوا أخرى ، ونالوا بالمثل الحرافى ، مالم ينالوا بالشعر الحماسى ، فكانوا بقومهم ناهضين ، ولاعدائهم قاتلين ؟

فهبنى اعتذرت عما نسبت اليهم من الجبن، ورجعت عماوصفتهم به من الحوف ، أترانى لا أنعتهم بضيق الحيلة ، وضعف الوسيلة ، وأنهم لا يعرفون من القول إلا أظهره ، ومن الشعر إلا أشهره ، وأن مقاتلهم بادية ، ومطاعنهم ظاهرة ، حتى لاسلامة لحياتهم ، إلا بسكوتهم ، ولا داعى لحتفهم غير نطقهم

ضفادع فى ظلماً الله تجاوبت فدل عليها صوتها حية النهر لعلك ياصديق تذكر ما فعل الأعرابى الاسير ، ولعلك تذكر ما أرسل الرجل مع عبديه ، إلى طفلتيه ، وما قال القبعثرى للحجاج

وِما أجاب به عبد المسيح خالد بن الوليد. ثم لعلك ولعلك..

أتريد ياصديق أن لاتكون لنا شخصية معروفة ، وأن لا يعثر القارى. في الآداب العربية على طرفة أبدعناها ، أو بدعة أحدثناها ، كأن القول لايخرج من التصريح ، إلى التلميح. وكأن الزمن لم يلجئنا إلى الاشارة بعد العبارة . أو كأننا لا نعرف مقامات الكلام ، ومقتضيات الخصام .

لك ياصديقي أن تعتذر عن إخوانك. وعلى أن أشكر لك هذه الغيرة. ولـكن حذار أن تظن أنا عملنا كل مايمكن، وفعلنا كل ما يستطاع.

ولقد عجبت منقولك (ان لكبيانا ولسانا ، فان قلت قلنا ، وان سكت سكتنا)كأنك تحسبني لا ألوم نفسي

ألا فلتعلم وليعلم إخوانك، أن التبعة واقعة على وعليكم، وأننا جميعاً في جنب الوطن مفرطون، ولمجد النيل ناسون

ما أنصفتك جفونى وهي دامية ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

الحديد في دم الاديب(١)

فى أخبار الأدب الفرنسى أن أديبا كان يكتبكل يوم قصة ويرسلها إلى إحدى الجرائد ، وكان يتمنى فى كل صباح أن تنشر له قصة فيأخذ عليها أجرا ينتفع به فى معاشه ، ولكن الجريدة التى كان يرسل إليها أقاصيصه لم تنشر له شيئا ، وكذلك كان يستقبل كل صباح بأمثل خائب وإحساس مطعون

واتفق له يوما أن يتأمل أحوال البيت الذي يعيش فيه فوقف على أخبار طفل يتيم دمعت له عيناه ، فكتب فيه أقصوصة سهاها « اليتيم » وأرسلها إلى تلك الجريدة التي أهملت كل ما كتب، وكان يخشى أن تنال تلك الأقصوصة مانالت أخواتها السوالف من الاهمال ثم فوجيء بظهور تلك الأقصوصة في صباح اليوم التالى ، وما كاد ينتهى من مراجعة الجريدة حتى جاءه خطاب فيه صك بمبلغ من المال مكا فاة على قصته ، وفي الخطاب فوق هذا كلمات من طيب الثناء

وأراد ذلك الأديب أن يحاسب نفسه وأن يقارن بين ماكتب بالأمس وما كتب اليوم ، فرأى أن أقاصيص الأمس كانت من وحى الحياة ،وهذا هو السر فيها ظفرت به من كريم القبول

⁽١) فصل من كتاب , أكواب الشهد والعلقم ،

ولكم بعد هذا أن تراجعوا حظوظ من عرفتم من الأدباء، فسترون أن أبلغهم أثرا فى أنفس الجماهير، وأقدرهم على أسر القلوب وغزو العقول، وامتلاك النفوس، هم الأدباء الذين ابتلتهم الحياة بصنوف الأرزاء، وعرفواكيف تقسو الدنيا وكيف تلين، أولئك هم الذين يكتبون و فى كل حرف سر ظاهر أو غرض دفين

أما الآدباء المدللون الذين حبتهم الدنيا بألوان من الترف والنعيم فهم ينظمون ويكتبون وكأنهم يلعبون ، وليس للا ُلاعيب في عالم الآدب بقاء

الحياة هي كتاب الأديب ، ومن حظه أن يعرف البؤس والشقاء وأن يدرك كيف يكون الضجر والاكتئاب ، وأن يشهد بعينيه كيف يرتفع السفلة والأغبياء، وكيف يطيش الحظ الأهوج فيظلل بجناحيه رءوس الممرورين من أهل الجاه المزيف والمجد المكذوب

إن أراجيف المرجفين، وأكاذيب المضللين، وتنسك الماجنين وتعالم الجاهلين، واستنسار البغاث، واستذآب الكلاب، واستبسال الجبنا. ،كل أولئك بما يؤرث نيران الحقدفى صدر الأديب الموهوب ويحوله إلى طاغية غشوم يبطش بأهل الكذب والرياء والنفاق

والأديب الذى يتهيب الحياة ويخاف مجاهلها هو أديب رخو ضعيف ليس أهلا لمجد القلم ولا شرف البيان

الأدب الصادق ليس إلا حومة قتال، ولكن أى قتال؟ قتال في سبيل الحق والخير والجمال. والحياة لم تكن يوما دار سلام،

إنما السلام فى المقابر، فمن شاء أن يستريح فليمت، أما الآحياء فقد كتب عليهم أن يناضلوا ويقاتلوا ويصاولوا ما بتى فيهم عرق ينبض وقلب يثور، فان جنحوا للسلم فقد استسلموا إلى سكرات الموت، وبئس المصير!

أتفهمون هـذا ياطلاب الآدب الفحل الذي يحطم الآسداد ويهدم الحصون؟

خذوا وحيكم من الحياة ياطلاب الآدب، وتذكروا دائما أن وقود عقولكم وقلوبكم لايكون إلا من الآلم ومن الصدق، فأن أعوزكم هذان العنصران فلن تصلوا إلى شيء، وهل يصل الوادعون والكاذبون إلى حظ أفضل من حظالسيد فلان! إنه حظ لا أشتريه بخمسة قروش وإن بهركم ما يملك من الجاه ومن المال!

الأدب الصادق هو الذي يحمى صاحبه من بريق الزيف والبهرج، ويصونه من الحضوع لأرباب الألقاب ، ويقنعه بأن المجدالحق لا يكون إلا في ظلال الشهامة والصدق، وشرف القول والفعل، وطهارة القلب والوجدان

وأديب واحد بهذه الخلال أنفع لأمته ووطنه من ألوف العبيد الذين يلبسون ثياب السادة وهم أذلاء ، ويتشدقون بأخبار الفضائل وهم فى أنفسهم من أهل البغى والفسوق

إن الأديب الحق هو الذي ينقل قراءه من ضلال إلى هدى ۽ أومن هدى إلى ضلال ، هو الذي يبدد مافي أنفس قرائهمن الأمن والسكون، ويشغلهم بعواطفهم ونوازعهم وأهوائهم، ويقيم الحرب بينهم وبين مافى قلوبهم من أصول الشر والخير والغدر والوفاء، لأن الأمن والسكون لم يكونا إلا منصور الجود، ولو شتت لقات من صور الموت، وإن غضب الفيلسوف فلان

أكتب هذا وقد سئل فلان عنى: فشاء له أدبه أن يقول « إن مذهب زكى مبارك فى الأدب سيفسد عشرة أجيال » وأنت ياهذا ماشأنك حتى تعادينى فى سبيل ما سأفسد من الأجيال ؟ إنك لرجل ميت ، والعداوة بينى وبينك هى العداوة بين الموت والحياة، إن كان يستطيع الموت أن يعادى الحياة

أنا الذي سيفسد عشرة أجيال ؟ إذن ما بالكم تسرقون كل ما أكتب وكل ما أقول ، إنكم لتنهبون منى كل شيء حتى الألفاظ والتعابير، ولوشئت لدللت الناس على آثارى فيما تكتبون و ماتقولون وسترون إن امتدت الخصومة بيني وبينكم كيف أسقيكم كأس الهلاك وكيف أوردكم موارد الحتف وإن اعتصمتم بشاهقات البروج

إن الذين يعادونني لا يعرفون عواقب ما يصنعون ، انهم لا يعرفون أن العداوات تمد دمى بفيض من قسوة الحديد، انهم يجهلون أن الهدوء يفسد أمعائى و يحوجني إلى زيارة الطبيب ، فأوغلوا ما شتم في البغضاء فان لى في ذلك مغانم كثيرة تصل على أيديكم بلا جزاء ولا ثواب

وأنتم ، ياقرائى؛ ما رأيكم ? أتروننى من الآشرار ؟ وكيف وما

كنت فى حياتي باغيا و لا عاديا ، لقد ابتدأت حياتى الأدبية بأناشيد الحب والجمال ، ولو خلانى الناس وشأنى لعشت بلبلا وديعا لا يسمعون منه غير أنغام الحنين ، ولكن لؤماللمام حولنى إلى إعصار عاصف يمحق ما يصادف من اليابس والاخضر، والطير والحيوان، ولا أذكر الانسان فما سمعت بأخباره فى هذا الزمان!

أما بعد فلله نعمة فى كل شى، ومن أجل نعمه على الأديب أن يخلق له من المكاره ما يوقظ حسه ، ويرهف وجدانه ، ويقهره على حمل السيف. وقد جربت ذلك فى نفسى وفى قلمى ، وهل من القليل أن يشعر الرجل بأن حياته هول يقاسيه الخصوم فى اليقظة والمنام؟ انظروا فسترون أن « فلانا » الذى ذكرته فى هذا المقال سيفزع من أجله الف فلان ، فليس لى عدو واحد و إنماهم ألوف ، وقد يكون أبعدهم عن البالهو الذى سيعانى أخطر الأهو ال بعد قراءة هذا المقال فلا تجزع يافلان فلست أعنينك ، إنما أعنى رجلا غيرك يتجلد فريتصبر فى بعض الأحيان .

فان لم يكن بد من التخصيص _ لتهدئة الرأى العام فى صفوف الأعداء _ فأنا أصرح بأننى لاأعنى إلا ذلك الرجل الجليل الذى زعم لمحدثيه أن مذهب زكى مبارك فى الادب سيفسد عشرة أجيال ، فان لم ينزجر فسنرجع اليه باسمه الصريح (وفى هذا بلاغ لقوم يعقلون) موليه سنة ١٩٣٥

الى الاستاذ سلامه موسى

قرأت كلمتك الطيبة التي تدل على ما فطرت عليه من أدب وذوق ، وعز على أن تقول في شرح ما شجر بيني وبينك من خلاف:

« ولو لم يكن الجدل بيننا على صفحات القرطاس فى الشؤون الأدبية لانتهى فيها أظن بأن يمسك كل منا بخناق الآخر »

ولك أن تطمئن من هذه الناحية فان تلك الزوابع التي ثارت بيني وبينك لم تستطع أن تكدر ما في القلوب ، وما أذكر أني اقتحمت معركة أدبية إلا وأنا أعتقد أني أجاهد في سبيل الحق ، فاذا كنت خاصمتك مرة أو مرتين فاني لم أفعل ذلك حبا في الجدل والملاحاة ، وإنما صنعت ما صنعت وأنا طاهر القلب والوجدان ، ومن واجبك أن ترحب بالعنف حين يوحى به الصدق ، ولا سيما إذا تذكرت أني لا أكيد ولا أغتاب ، ولا أسمح لنفسي بالهجوم على أحد في السر إلا بقدر ما أستبيح الهجوم عليه في العلانية ، واسمح لي بعد هذا أن أقول إنك شرحت صدري بما كتبته عنى ، ويسرى أن أسمع من مثلك كلاما مثل الذي قلته عن كتاب النثر ويسرى أن أسمع من مثلك كلاما مثل الذي قلته عن كتاب النثر الفني ، وهذه الشهادة لا أستكثرها عليك ، فقد تفضلت بتقديم الفني ، وهذه الشهادة لا أستكثرها عليك ، فقد تفضلت بتقديم

مؤلفاتي إلى قرائك مرات كثيرة قبل أن ترانى ، وفى هذا دليل على أنك تهتم بالفكرة قبل أن تهتم بالأشخاص ، وذلك خلق عظيم وقد وقفت عند قولك عن مؤلف النثر الفنى

« يجب بالحق أن نخجل من مجازاته على هذا الاحسان بمحاربته في عيشه وعمله

ولست أشك في أن الجامعة المصربة تخسرباخراجه منها أكثر عا يخسر هو ، فان رجلا له مثل كفاءته يستطيع أن يجد العيش الرحب والفرصة المواتية لحدمة الأدب في مدرسة فرنسية أو أمريكية بالقاهرة ، ولكن هذا الايلام للنفس يعكر صفوها ويشكك الانسان في القيمة التي تعود عليه من الاخلاص والجد » وأنا أقول إني لن أشك يوما في قيمة ما يعود على الرجال من الجد والاخلاص ، وقد درست نفسي غير مرة فرأيت حالى أحسن الأحوال ، وما أذكر أني كنت أعرف ضيق العيش إلاوأنا موظف في الحكومة المصرية التي خدمتها نحو خمس سنوات فلم أصب منها غير سوء الجزاء

وأقسم مافكرت فى المنافع المادية حين توليت التدريس بالجامعة المصرية وإنما كان همى أن أغرس الشوق إلى الدرس فى نفوس تلامين ، وقد ألقيت فى صدورهم جذوة لن تخمد ولن ينالها سكون ، ولئن قضت الأغراض بأن أبعد عن الجامعة فان زملائي سيذكرون دائما أنى تركت فى أنفسهم آثارا أطيب من المسك،

وقد حزنوا لفراقى حزنا أليها .

أما الاحقاد التي تتلظى في صدر طه حسين فستقضى عليه شرقضاء، وستنكل به تنكيلا، ولن تدوم له أيام الطغيان، ولن يبقى له فلان وفلان، والكرسى الذي يجلس عليه في الجامعة هوأقل ما أنتظره من الجزاء في المستقبل القريب، وما العدل على الله بعزيز إنما هي محن يبتلينا بها لنظفر برياضة العقل والقلب والروح، فله الحد على ما قضاه

إن أعظم منصب فى الجامعة المصرية لاينيلنى من المجد وثيل ما انالنى كتاب النثر الفنى ، وستفنى أحجار الجامعة المصرية وتبيد ذكرياتها ، ثم يبقى ذلك الكتاب على الزمان

والذين يحاربونني لم يطمعوا في محاربتي إلا لظنهم أنني رجل أعزل، لاأنحاز إلى حزب من الاحزاب، وليس لى في الحكومة عم ولاخال

ولكن خاب ظنهم، فان الحق أعز وأقوى، وسيرون كيف أزلزل أرواحهم، وكيف أملاً قلوبهم بالرعب، وكيف أريهم عواقب ما يصنعون

إن النصر سيكون حليف من يصلون النهار بالليل فى تثقيف عقولهم، أما الثرثرة الفارغة التى يعتصم بها أمثال طه حسين فلن يكون لها فى عالم الجد بقاء

بعد فأنا أعرف أن أمامي مصاعب كثيرة ، وأعرف أني أقف

وحدى فى ميدان القتال ، ولكنى لن أحزن ولن أضعف ، وحسبى من النصر أن أكون غصة فى حلوق المبطلين والمرجفين ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٥

قصيدة حافظ في حشمت باشا

نشرت جريدة السياسة في ١٧ يونيه سنة ١٩٢٦ قصيدة عينية للشاعر الكبير حافظ بك إبراهيم في رثاء المغفور له نصير اللغة العربية أحمد حشمت باشا. ولقد قرأت تلك القصيدة مرات كثيرة وقيدت ما فيها من جيد المعنى ورائع الخيال، ثم بدا لى أن أكتب عنها كلمة وجيزة وفاء لهذا الشاعر الذي انفرد بالاجادة في مواقف الوفاء

ولنذكر أولا أن الشاعر لم يجد بهذه القصيدة إلا وهو موجع حزين، وهوفى حزنه هذا يشعر القارى، بأنه صادق اللوعة مجروح الفؤاد ، ولقد يندر أن تجد نفساً تصدق صدق حافظ فى بكاء الناهبين من الاصدقاء إلى عالم البقاء ، ولننظر كيف يقول فى المطلع حبس اللسان واطلق الدمعا ناع أصم بنعيك السمعا وكيف أشاد باحسان الشيخ محمد عبده إليه مع تقادم العهد لك منة قد طوقت عنق ما أن أربغ لطوقها نزعا مات الامام وكان لى كنفا وقضيت أنت وكنت لى درعا

فلیشمت الحساد فی رجل آمست مناه و أصبحت صرعی ولتحمل الآیام حملتها غاض المعین و أجدب المرعی ولیتاً مل القاری، روعة التعبیر فی قوله یبکی نفسه « أمست مناه و أصبحت صرعی » ولینظر کیف دق المعنی حین جمع الشاعر بین اللفظتین « أمست » و « أصبحت » فهو یشیر إلی انه موصول الیاس دائم القنوط ، وقد أکد هذا المعنی بقوله بعد ذلك « غاض المعین و اجدب المرعی » و هو خیال بدوی ، و لکنه جمیل . ثم قال المعین و اجدب المرعی » و هو خیال بدوی ، و لکنه جمیل . ثم قال

إنى أرى من بعده شللا بيد العلى وبأنفها جديًا وأرى الندى مستوحشاً قلقاً وأرى الروءة أقفرت ربعا قد كان فى الدنيا ابو حسن يولى الجيل ويحسن الصنعا ان جاء ذو جاه بمحمدة وترا شآه بمثلها شفعا فاذا نظرت الى أنامله تندى حسبت بكفه نبعا سلنى فانى من صنائعه وسل المعارف كم جنت نفعا قد أخصبت أم اللغات به خصبا أدر الأهلها الضرعا تالله لولا أن يقال آبى بدعا لطفت بقبره سبعا ثم أخذ يشكو ظلمات الحياة بعد ذهاب الأوفياء فقال:

یفقد أحبته یضق ذرعا فیه الشرور و لا أری دفعا وکائن تحت ثیبابه أفعی عنی مسارب حیة تسعی

قد ضقت ذرعا بالحیاة ومن وغدوت فی بلد تکنفنی کم من صدیق لی بحاسننی یسعی فیخنی لین ملسه

اصبحت فردا لايناصرنى ولرب حر عابه نفر

كم حاولت هدمي معاولهم وأبي الآله فزادني رفعا غير البيان واصبحوا جمعا ومناهمو أن بحطموا بيدى قلما اثار عليهم النقعـــــا لا يصلحون لنعله شسعــــــا

وتلك نفثة قد تبدو نابية عن السياق. ولكنها في الواقع وصف لغربة الشاعر في الحياة . وفي تلك الغربة الموحشة تتبين النفس قيمة-الصديق الغالى الذي تقفر بموته مذاهب الايناس. ثم عاد الشاعر إلى موضوعه فقال :

من ذا يواسيني ويكلؤني في هذه الدنيا ومن يرعي لا جاه بحميني و لا مـــد عني يرد الكيــد والقذعا بك كنت أدفع كل عادية وأجيب في الجلي إذا أدعي, وأقيل عثرة كل مبتئس وأفى الحقوق وأنجح المسعى حتى نعى الناعي أبا حسن فوددت لوكنت الذي ينعي وفي هذه الأبيات يذكر الشاعر أنه كان يدفع كل عادية ، و يجيب فى كل شدة ، ويقيل كل عثرة ، ويغي كل حق ، بفضل ما كان لذلك الفقيد من وافر المعروف · أحسن الله له الجزاء

ولم يفت الشاعر أن يذكر أن صلته بذلك الوزير لم تسلم من كيد الوشاة ، ولكنها كانت أعز وأمنع من أن تذهب بها الأعاصير غيظ العداة فحاولوا سفها منهم لحبل ودادنا قطعـــآ رامواله بتا _ وقد حملوا ظلماً _ فكان لوصله أدعى ﴿ تم الجزء الثاني من كتاب البدائم ﴾

فنشرس

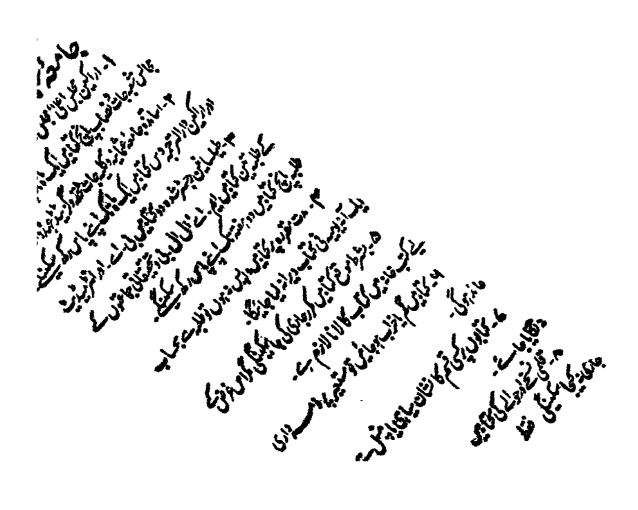
﴿ الجزر الثاني من كتاب البدائع ﴾

الصفحة الموضوع ١٠٦ الحياة الحرة . ١٩ الأدب عند الأحيا. ۱۱۳ ذکری صدیق ١١٩ مومس تستبق الخيرات ١٢١ المحدث حافظ ابراهم ١٣٧ خطر بهدد الثقافة المصم ١٢٧ إله الحب و إلهة الجمال ١٤٨ ظلم العواطف ١٥٦ الأمل الضائع ١٥٨ الوطن الذي يحفظ الجميل ١٩١ أسماء عربية ٩٦٢ أسماء مصرية لمكلاب فرنسية! ١٩٤١ الاستعار على كف عفريت ١٦٥ العرب واليونان ۱۹۷ ساعة حب «قصيدة» ١٦٩ طه حسين بينالبغي والعقوق ۱۷۹ نجیب الهلالی وزیر آخر الزمان ١٨١ الآلم والحياة ۱۸۳ دواعی الشعر ٠٠٥ الحديد في دم الا ديب ٠١٠ إلى الا ستاذ سلامه موسى ٧١٣ قصيدة حافظ في حشمت باشا

االصفحة الموضوع "٢ الاحسان جميل. ولكن الى من؟ من الأعا ينافق الضعفاء ادب محمد السباعي ١٧ كلمة تستحق الحلود المواساة الروحية للمؤلفين 11 النباتيون في باريس 44-اللحم والشهوات 72 المسلمون والأقماط 47 ضجيج المعروف YV الائمم والحكومات 47 أنا أكابد زمانى gry. الوطن الغالى ٣ź .۳۵ قهوة سوفليه المكتبة المصرية 44 بعض الحقائق 49 بين الورق والذهب 13 بعض المدارس الأملية £4. التعليم في فرنسا £Y' والد المؤلف 07. خطاب الشيخ ابراهيمالدباغ 70 لغة العرب قبل الاسلام スト العيد في سنتريس Y4. شوقی ۸۸.

النباتيون في باريس

14



To: www.al-mostafa.com